المركز القومى للترجمة

كاليستينيس المزيف

حياة الإسكندر

ترجمة وتقديم وتعليق : محمود إبراهيم السعدنى

2180

هذا هو أول كتاب مترجم مباشرة عن اللغة اليونانية القديمة للنص الأدبى الأسطورى "لحياة الإسكندر" لمؤلفه مجهول الهوية، والذى أسماه النقاد المحدثون: كالليسثينيس – المزيف، تيمنا، من ناحية، بذكرى وعمل المؤرخ الأصلى المعاصر للأسكندر، ومن ناحية أخرى، تمييزا له عن سابقه.

اعتمد صاحب هذه الرواية الأسطورية، التى بين أيدينا، أسلوبا فريدا فى الكتابة التاريخية، وهو الاعتماد الكلى على الكلام المباشر، وليس السرد، فاستنطق شخصياته التاريخية الحقيقية بكلام وأحاديث، مما بعث روحا جديدة لحكاياته وحواديته، وجعلها أقرب إلى المصداقية !!

بهذا الكتاب مبالغات عديدة ومغالطات تاريخية كثيرة، قمنا بالتنويه عنها فى حينها فى هوامش إضافية لنا ، مما يجعل عملنا متفردا وموضوعيا عن بقية الترجمات العربية عن الإنجليزية أو الفرنسية!!

تصميم الغلاف: عبدالحكيم صالح

حياة الإسـكـندر

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2180
- حياة الإسكندر
- كالليستينيس- المزيف
- محمود إبراهيم السعدنى
- اللغة: اليونانية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة كتاب:

Αλεξάνδρου Βίος

ΨΕΥΔΟΚΑΛΛΙΣΘΕΝΗΣ

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة
شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

حياة الإسكندر

تأليـــــــــف : كاالليستينيس المزيف

ترجمة وتقديم وتعليق: محمود إبراهيم السعدنى

2015

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

المزيف، كاالليسثينيس.
حياة الإسكندر: تأليف: كاالليسثينيس المزيف، ترجمة وتقديم وتعليق : محمود إبراهيم السعدنى.
ط١ ، القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٥
١٩٦ ص ، ٢٤ سم
١ - الملوك والحكام.
٢ - الإسكندر الأكبر، ٣٥٦ - ٣٢٣ .
(أ) السعدنى، محمود إبراهيم (مترجم ومقدم ومعلق)
(ب) العنوان ٩٢٣,١

رقم الإيداع ٢٠١٢/٨١٨٢
الترقيم الدولى 978-977-216-062-4
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

مقدمة المترجم 7

تصدير 27

الكتاب الأول

١ – تربية الإسكندر وتعليمه 40

٢ – نشاطاته وحيويته 46

٣ – بداية حكم الإسكندر 53

٤ – إعداد الحملة العسكرية على الشرق 56

٥ – الإسكندر فى مصر 58

٦ – الإسكندر فى سوريا 64

٧ – تطور العمليات العسكرية بين الإسكندر ودارا 71

٨ – الإسكندر يغزو مدن آسيا الصغرى 75

٩ – الإسكندر فى اليونان (مرة أخرى) 76

١٠ – تدمير طيبة 77

١١ – الإسكندر فى كورينثوس 83

الكتاب الثانى

١ – الإسكندر فى بلاتايا وأثينا 95

٢ – الإسكندر فى إسبرطة 104

٣ - الإسكندر فى ميديا وأرمينيا 107
٤ - الإسكندر واليهود 127
٥ - الإسكندر فى مصر 129
٦ - الإسكندر وبلاد العجائب 133
٧ - خطابات الإسكندر إلى أمه وأستاذه 149
٨ - الإسكندر والهنود 152

الكتاب الثالث

نهاية الإسكندر الدرامية

١ - الإسكندر والبراهمة 163
٢ - خطاب الإسكندر إلى أرسطو 167
٣ - الإسكندر وكانداكى 172
٤ - الإسكندر والأمازونيات 179
٥ - الإسكندر وغرائب أسطورية شتى 181
- ملابسات قتل الإسكندر بالسم 186

مقدمة المترجم

حول المؤلف والكتاب

إن التـاريخ، (وحكمـه على مـا فـات من الزمـان، والمكان، والإنسـان) ليس، دائمـا حكمـا عـادلا، وذلك لقلة الأدلة المؤكـدة، وتضارب آراء المؤرخين القدامى والمحدثين، وفق قرب أو بعد هذا أو ذاك من الحدث التاريخى، ثم وكان ذلك هو أهم عناصر التأثير وتوجيه الرواية وجهة محددة حجم المصلحة أو الفائدة أو العائد المادى والمعنوى للمؤلف مما يكتب!.

فـالحق، إننا لا نزال نعيش ازدواجيـة فكرية مـقيـتـة، وندعى، بغير الحق، أننا حريصون على هدف الموضـوعيـة، فى الكتـابة، وهو مـا لا يوجد على أرض الواقع، فـلا مـوضـوعـيـة فى العلوم الإنسـانيـة، وهاكم نموذج الدور اليـهـودى المراوغ، فى ضـوء المصادر الكلاسيكية، بعد أن فـضحـهم عداؤهم ضد الرومـان، ودور المؤلف فى الدفاع عنهم.

ولكن المشيئة الإلهية تفضح نيَّاتهم المزيفة تجاه ملوكهم، وتجاه المجتمعات التى يعيشون فيها، فيتبدل الحال وتسوء أوضاعهم، بسبب أطماعهم وسوء طويتهم، مع الاحتلال الرومانى لمصر عام ٣٠ ق. م، ولذلك نراهم يتآمرون فيحدثون فتنة عام ٣٨م[١]، وتقوم اضطرابات بينهم وبين العنصر اليونانى (أكبر جالية أجنبية كانت تعيش على أرض مصر حينئذ) ويحاول كل طرف أن يكسب الإمبراطور الرومانى إلى صفه بكل الطرائق الشرعية وغير الشرعية. وكان طبيعيا أن يُرسل الإمبراطور كلاوديوس (Claudius) رسالة تهديد ووعيد إلى الطرفين؛ لكى يعيشا فى سلام ووئام، ولكنه يُكشِّر عن أنيابه لليهود "الذين ينشرون الفساد فى كل مكان هم فيه كالوباء الشامل[٢]".

هنا كانت بداية الصدام بين اليهود ورموز السلطة الإمبراطورية فى روما، حيث تمت تعريتهم تمامًا فى أعظم رسالة دبلوماسية، مباشرة، لطرفى الصراع داخل الإسكندرية، إذ إن كلاوديوس أكد أن اليهود:

١ – يجب عليهم "ألا يضيِّعوا جهدهم فى السعى وراء حقوق أكثر مما حصلوا عليه من قبل".

٢ – "وألا يرسلوا، بعد اليوم، سفارتين، كأنهم يعيشون فى مدينتين".

٣ – "ألا يقحموا أنفسهم فى مباريات معاهد التربية أو منظمات الشباب ".

٤ – "الإسكندرية هى مدينة ليست مدينتهم، وفيها خيرات جمَّة يمكن أن يتمتعوا بها".

٥ – "ألا يستقدموا أو يستدعوا يهودًا من سوريا أو من باقى أنحاء مصر عن طريق النهر".

ثم أطلق الإمبراطور تهديده ووعيده الصريحين جدا إليهم بقوله كما سبق أن قلنا قائلا:

"... وإن لم يمتثلوا لأنتقمن منهم بكل الوسائل، بوصفهم قومًا ينشرون الوباء الشامل فى أنحاء المعمورة[٣]".

وتؤكد بردية مؤرخة باليوم الرابع من أغسطس عام ٤١م أن العداوة مع اليهود قد زادت واتضحت بسبب أعمالهم الربوية الصعبة، فقامت بالتحذير منهم قبل الوقوع فى براثن مُرابيهم[٤]، وتقول بعض سطورها:

"من سرابيون إلى هيراكليديس، (المقيم) فى الإسكندرية.... قل له... إن دائنينا كثر، فلا تخرب بيوتنا، وتوسل إليه كل يوم، فربما يشفق عليك، فإن لم يفعل، فلتأخذ حذرك أنت أيضًا، من اليهود، كما يفعل سائر الناس[٥]".

ثم يحدث الصدام الثانى بين روما واليهود، بعد ذلك بقليل، عندما يفتعلون ويتآمرون على عاصمة الإمبراطورية نفسها، روما، والقصر الإمبراطورى نفسه! **يا لها من جرأة متناهية، وحقد دفين،** هنا يذكر لنا تاكيتوس[٦] (Tacitus) بعض أوصاف هذه الجماعة المتآمرة لحريق روما، مستغلة غياب الإمبراطور نيرون عن العاصمة فى عام ٦٤م، وكعادتهم يفعلون كل أفاعيلهم، بمكر وخديعة، وفى الظلام كالخفافيش، ويحرصون على ألا يُخلِّفوا وراءهم أدلة إدانتهم!

يقول تاكيتوس، (شاهد العيان الرومانى الوحيد) عند طفولته، الذى سجَّل الأحداث بدقة وموضوعية متناهيتين، ولكن دون إدانة محددة لفريق بعينه) واصفًا تلك الجماعة التى تسببت فى الحريق وحرصت على إضرامه واستمراره بما يلى:

١ - "كانوا يقفون متحفزين ليمنعوا كل من يحاول التدخل لوقف امتداد النيران".

٢ - "كانوا يقذفون بالمشاعل المتوهِّجة بالنار فى تحد صارخ".

٣ - "وكانوا يدَّعون، ويُعلنون على الملأ، أنهم يفعلون ذلك بناء على أوامر صادرة إليهم[٧]".

وتستمر المواجهة بين اليهود والرومان بعد ذلك بسنوات عدة. حقًا لقد وضعت ثورة اليهود الكبرى، منذ عام ١١٦م، أوزارها بقرار من المجلس الإمبراطورى فى روما ومحاكمات زعماء السكندريين فيما بين عامى ١١٧م و١٢٠م، وهى التى انتهت إلى الحكم بإعدام أحد زعماء الإسكندرية، وهو باولوس (Paulos)، وهنا يشير تاكيتوس بوضوح تام بأن عملية إعدام السيد المسيح حدثت فى عهد تيبريوس (١٤م - ٣٧م)، وتحت حكم الوالى الرومانى بونتيوس بيلاتوس (Pontius Pilatus)، فى يوديا (Judaea)، إلى أنه كان **"نكسة مؤقتة"** للمسيحية(٨)، وكذلك اعتبر مئات الشهداء المسيحيين، من بعد ذلك **كبش فداء** (piaculum)، كان قد صنعه نيرون ليُسكت به ضوضاء الشائعات المنتشرة فى روما وبلبلتها، آنذاك، حول دور نيرون المشبوه فى الحريق، وكيف أنه كان حريقًا متعمدًا(٩).

لقد كان الاتهام الموجه للمسيحيين، آنذاك، من قبل الإدارة الإمبراطورية فى روما وقصر نيرون، هو أنهم **"جماعة مكروهة من الجنس البشرى"** (كما قال تاكيتوس):(١٠) "odia humani generic"

ولكن الحقيقة، والواقع التاريخى المؤكد، يثبتان بيقين تام، أن هذا الاتهام لم يكن موجهًا فقط للمسيحيين، ولم يكن مقصورًا عليهم، بل كان موجهًا، أيضًا، لآخرين، وأشارت إليهم كلمات تاكيتوس باسم "alii"، أى "الآخرين"، **وكان المقصود بهم** - كما أكدنا نحن فى دراستنا التحليلية الآنفة الذكر - **هم اليهود، وليس غيرهم، أولئك الذين وصفهم تاكيتوس بثلاث صفات تفضحهم حيثما كانوا، وبشكل كامل، وهى**(١١):

١ - التخطيط الماكر.

٢ - الإصرار والعناد.

٣ - الجرأة.

وإن كان هذا المؤرخ الرسمى، والمسئول الرومانى، لم يشأ أن يكون صريحًا صراحة تامة ويسميهم بأسمائهم، نوعًا من الدبلوماسية الواجبة، ولا سيما عقب

أحداث الحرب اليهودية الكبرى (١١٦ - ١٢٠م) وتداعياتها الرهيبة، وضرورة إخماد تلك الفتنة الكبرى التى أراد بها اليهود إحراج الرومان فى ولاياتهم الشرقية، وإظهار ضعف الإدارة الرومانية فيه. وهنا يصدق (مع تحليلنا لنص تاكيتوس) ما توصلت إليه واحدة من علماء التخصص، هى تيسا راجاك (Tessa Rajak) - التى قالت: "THE JEWS HAPPENED TO BE PROTECTED BY A SPECIAL LEGAL STATUS , FIRST CONFERRED BY JULIUS CAESAR AND THEN REGULARLY RENEWED FOR OVER A CENTURY[١٢] " ....".

إذن، فنحن أمام سياسة رومانية رسمية، شبه دائمة لصالح اليهود، منذ يوليوس قيصر، وحتى ترايانوس وهادريانوس، باستثناء كلاوديوس وتيتوس بن فسياسيانوس[١٣].

وهكذا أيضًا تضافرت قوى الشر القديمة مع بعضها، الرومان من ناحية، واليهود من ناحية أخرى، ضد الديانة المسيحية الناهضة، ورموزها الكبار من الشهداء الأبرار، الذين كانوا يرددون الاعتراف دون خوف أو فزع بأنهم مسيحيون: (Christianus sum)، رغم علمهم المسبق، بمصير محتوم إما بالحبس والتعذيب، مدى الحياة، وإما بالإعدام فورًا. إنها قوة الإيمان الحق، بالله الواحد الأحد، وهنا نستعير شهادة واضحة من أحد علماء التخصص الأوائل، وهو أستاذى الدكتور مصطفى كمال عبد العليم[١٤]، حول المكايد اليهودية والتلوّن والنفاق لسادتهم الأقوياء الرومان، حيث قال بصريح العبارة:

"... وهكذا بينما كان اليهود فى السر، يلعنون الرومان، كانوا فى الجهر يسبحون بحمدهم، ويظهرون الولاء لهم، كما كانوا لا يكترثون بشعور جيرانهم بقدر ما يحرصون على إرضاء السلطة الحاكمة[١٥]".

وهكذا، أيضا، كان طبيعيا ومنطقيا أن تختلف نوعية العلاقة بين اليهود والرومان، باعتبارها علاقة متأرجحة بين مصالح السيد الرومانى الكبير، والمهيمن على العالم

القديم كله، وبين المسود اليهودى، القليل الحيلة، والقليل العدد، فتارة تتوازى تلك المصالح ويساير بعضها بعضًا، وتارة أخرى تتصارع، وتتنافس، لدرجة العداوة والبغضاء.

لقد كان هناك رأى واضح لأحد أقطاب علماء التاريخ الرومانى، من المحدثين، وهو مايكل جرانت[١٦] (M.Grant) عندما أكد أن الإمبراطور نيرون، خلال حريق روما، كان قد اتهم وأدان المسيحيين آنذاك، ومن ثم كان هناك - كما قلنا من قبل - سياسة لإستراتيجية دينية عليا فى القصر الإمبراطورى فى روما لعدة قرون تلت، بعد الميلاد، وكانت، فى الغالب، حتى مطلع القرن الرابع الميلادى، واعتراف قسطنطين الكبير بالمسيحية، كديانة رسمية لكل رعايا الإمبراطورية، شرقًا وغربًا. وإيجازًا لما سبق، فقد عاش المسيحيون الأوائل منذ أواخر القرن الأول الميلادى وحتى أواخر القرن الثالث الميلادى، قرون اضطهاد وتعذيب واستشهاد منهم على أيدى الرومان، حتى أرخ مسيحيو الشرق لدينهم بأيام الإمبراطور دقلديانوس وتنفيذ اضطهاده الشامل والواسع لهم.

والآن، نحن هنا، أمام إحدى حلقات التآمر اليهودى، ممثلة فى كتابة "وصية الإسكندر" بقلم كاهن يونانى سكندرى - يهودى الديانة لم يعلن عن اسمه، قاصدًا، وهو المعروف باسم كاالليسثينيس المزيف:[١٧] Pseudo-kalliș thenes.

فلماذا، إذن، هذا التخفى؟ ولماذا هذا التأبين الآن لأعظم قائد نشر الحضارة اليونانية شرقًا؟ ولماذا الإصرار على تزييف التاريخ؟

نحو أواخر القرن الثالث الميلادى، وفى الغالب أثناء وجود الإمبراطور الرومانى دقلديانوس فى الإسكندرية، وذلك ضمن مادة شبه تاريخية أو بالأحرى، من خياله الخصب - متخذا من سيرة الإسكندر مطية لما يريد أن يقوله، وموجهًا حديثه، كلية، إلى العنصر اليونانى، فى الإسكندرية، فى مجاملة ظاهرة، وبخاصة عند تأبين الإسكندر، وهو ما سنتناوله هنا، بالترجمة الحرفية إلى العربية، ثم إضافة تعليق نقدى للمضامين

التاريخية والحضارية الواردة فى نص ذلك التأبين الماكر، الذى كان يهدف إلى إقامة جسر من جسور التفاهم والود وتكوين جهة واحدة بين اليهود واليونان، ضد المسيحيين الذين يزداد أعداؤهم فى الإسكندرية، وكانوا لا يزالون يتمسكون بدينهم رغم الاضطهاد الرومانى لهم. هذا هو التوقيت فى رأينا وهدفه غير المعلن.

فماذا جاء فى هذا الكتاب: (سيرة الإسكندر)؟ لصاحبه المجهول، والذى اتفق العلماء على أن يسموه كاليستينيس/ المزيف، وذلك لما فيه من زيف وبهتان لأخبار كثيرة عن الإسكندر، الذى اختزل سيرته، وفق أولوياته بوصفه مؤلفًا، كاهنًا يهوديًا، يكتب باليونانى من أكاذيب وأباطيل تخدم أغراضه هو؟

أولاً: التعريف بالكتاب نفسه : (Alexandrou - Bios)

١ - يتكون الكتاب/ السيرة/ من أربعة أجزاء، أو كتيِّبات:

الأول: مولد الإسكندر وشبابه وحملته ودخوله طيبة[١٨].

والثانى: وصوله كورنثوس وقيام الحلف، وزيارة معبد الربة أثينة، وحتى دخوله مصر، ووصوله إلى آسيا بعد هزائم الفرس[١٩].

الثالث: غزو الهند واقتفاء أثر الملك بوروس، وعبور الصحراء الكبرى.. وبوادر الرغبة فى العودة لدى الجنود والضباط... وصوت الإسكندر، ثم قصيدة تأبينه[٢٠].

والرابع: وهو الأخير، عبارة عن وصية مزيفة باسم[٢١] "e diatheke tou Alexan-drou" أى "وصية الإسكندر"، فى صفحات قليلة، حيث يدَّعى فيها المؤلف - عن لسان الإسكندر المباشرة، أوامر الإسكندر كعادته تنفيذ أعمال كثيرة - بعد وفاته ومنها ضرورة تطبيق وصيته تلك.

وهو عمل بعيد كل البعد عن كونه عملاً تاريخيا، بل هو قصة رومانية، من وحى خيال المؤلف، الداهية، الذى ملأ عمله بحكايات وحواديت، فى كل حين، داخل إطار السيرة الذاتية لبطل عظيم، وقائد فذ، هو الإسكندر فيليبوس المقدونى، وهاكم بعضًا من ادعاءات مؤلف "سيرة الإسكندر"، كالليسثينيس/ المزيف على سبيل المثال، لا الحصر:

١ - الإسكندر هو ابن نيكتانيبو، آخر فرعون مصرى، الذى كان، أيضًا ساحرًا، وهرب إلى مقدونيا وخالط الملكة أوليمبياس، زوجة فيليب الثانى - فى صورة الإله آمون - فأنجبت الإسكندر. (راجع صفحات متن الأصل اليونانى: ٣٥ - ٥٢).

٢ - يذكر المؤلف اليهودى المجهول، للمرة الأولى والوحيدة فى سيرة الإسكندر، أنه عبر من إيطاليا إلى أفريقيا، حيث استقبله، على عجل، قادة الأقطار الأفريقية، وتضرعوا له بألا يهاجم مدينتهم، فأمرهم أن يدفعوا الضريبة، وذلك بعد أن كان الرومان فى إيطاليا، قد قدموا له (مساهمة منهم لحملته) ألفين (٢٠٠٠) من رماة السهام (toxotes)، فضلاً عن ٤٠٠ (أربعمائة) تالنت[٢٢].

٣ - عند تأسيس الإسكندرية، وبعد رؤية الإله آمون / الليبى فى المنام، يقول للإسكندر "يا بنى، يا إسكندر، إنك ولدت منى أنا" قام الإسكندر بتقديم القربان لآمون، وأنشا محرابا له وقام بعملية تذهيب لتمثال له من الخشب (xoanon)، وأهداه للإله، بعد أن كتب عليه النقش التالى: (من الإسكندر إلى والده الإله آمون- patri theo - Ammoni , alexandros).

٤ - يدَّعى المؤلف أن الإسكندر، بعد بناء أكبر مساحة من سور الإسكندرية ووضع الأساسات له، حفر على نقش حجرى حروفًا، هى a.b.c.e وكانت مشفوعة بالكلمات التالية:

١ – ألفا = الإسكندر: Alexandros :(A).

٢ – بيتا = باسيليوس (الملك) basileus :(B).

٣ – جما = جونوس (سلالة) gonos :(C).

٤ – دلتا = ديوس (رب الأرباب) dios :(D).

٥ – إبسيلون = ektise polin aeimmesto :(E).

بمعنى: "قد بنى مدينة خالدة"، ومن ثم فالحروف الأولى الخمسة لهذه الكلمات كانت تعنى: بنى (مدينة خالدة)"، وربما كان ذلك هو الحق الأوحد الذى أتى فى سيرة ذلك الكاتب اليهودى الماكر، مجهول الهوية حتى الآن.

كما بنى الإسكندر لنفسه مذبحًا لتقديم القرابين عليه للآلهة، وهو الذى يسمى حتى اليوم "مذبح الإسكندر"[٢٣]، وهو أثر لم يشر إليه أحد من قبل، ولا حتى إسترابون.

٥ – يعلى المؤلف المزيف قدر الكهنوت اليهودى عند مقابلته للإسكندر، وكيف أنه "خاف"، من مقابلتهم ونظام حياتهم وأزيائهم الكهنوتية، وعندما سألهم عن إلههم الذى يعبدون أجابوا بأنه: **"لا يوجد إنسان يستطيع أن يصف ذلك الإله"**، فعلق الإسكندر على ذلك بقوله:

"باعتباركم خادمين لهذا الإله الحق، اذهبوا، اذهبوا، فى سلام، فإن إلهكم هو إلهى أيضًا، ولسوف يكون بينى وبينكم سلام، لن أدمركم، كما فعلت مع بقية الأمم والقوميات، لأنكم تخدمون الإله الحق[٢٤]".

وكاليسثينيس / المزيف، هنا هو المصدر الوحيد القديم لمثل تلك المعلومات الأحادية والمنحازة تمامًا لجنسه وديانته، حيث قرر وأورد أحداثًا لم تقع أصلاً، ولم

يحدث أن أشار إليها أى مؤرخ تناول سيرة الإسكندر من قبل مثل بلوتارخوس أو أبيانوس، المؤرخ العسكرى السكندرى، وهو بذلك استعاض عن زيارة الإسكندر المؤكدة لواحة سيوة، ومقابلة الكهنة المصريين بتلك الرواية، وهكذا جعل هذا الكاهن (السكندرى اليونانى الثقافة واليهودى الأصل) الإسكندر يؤمن برب "اليهوا" "يهودا" ويحترم كهنته، مضيفًا، زيفًا على زيف، **أن الإسكندر هو الذى أدخل عبارة هذا الرب اليهودى، منذ تأسيس المدينة، إلى الإسكندرية القديمة**(٢٥).

٦ - حب اليهود وشغفهم بالذهب والفضة والغنائم، ويتضح تمامًا فى قائمة الهدايا التى أرسلتها الملكة كانداكى، ملكة مروى (بالسودان)، ردًا على خطاب للإسكندر بمقابلته عند الحدود؛ ليقدموا القرابين معًا للإله آمون، وكان الرد من جزءين:

الأول: "ألا تعتبروا لون بشرتنا نقيصة فينا، لأن أرواحنا أكثر بياضًا، وأكثر بهاءً من أولئك الذين هم بيض البشرة لديكم؟"(٢٦).

والثانى: قائمة الهدايا الملكية المرسلة، مع سفراء كانداكى جاءت كالتالى:

(١٠٠) شريحة ذهبية مطروقة، و(٥٠٠) طفل إثيوبى، غير بالغ، و(٢٠٠) ببغاء، و(٢٠٠) تمثال لأبى الهول (sphinxes)، دونما ذكر لأحجامها ولا مواد صنعها، ولا الغرض منها و(١٠) سلاسل مختومة، و(٨٠) علبة من العاج للحفظ، و(٣٠٨) من الأفيال البرية، و(٣٠٠) ضبع، و(١٣) وحيد القرن، و(٤) من الفهود، و(٣٠٠) من الكلاب الفتاكة، أكلة لحوم البشر، و(٣٠٠) ثور وحشى، و(٦) من سن الفيل، و(٣٠٠) من جلود الضباع، و(١٥٠٠) من العصى الأبنوس. وهذا الإحصاء الغريب، لمواد غريبة، من البيئة الإفريقية.

مما يذكرنا بما سجله يوسيفوس لنا، أيضًا وهو أهم المؤرخين اليهود المزيفين لتراث المنطقة وتاريخها منذ نهاية القرن الأول الميلادى(٢٧).

ثانيا: الترجمة إلى العربية

(أبيات شعرية إيامبية (مهداة إلى الإسكندر)

١ - أيها الصديق، إن مباهج هذا العالم ليست شيئا ذا بال،

٢ - ذلك لأنها بمجرد أن تبرع جيداً، فإنها إلى زوال،

٣ - مثلما الحال للزهرة، وكذا للعشب، وللأحلام الظلال،

٤ - ولكنما الأشياء السيئة هى أكثر بقاءً من الطيبات الزلال،

٥ - ذلك لأن تلك الطيبات تذهب أدراج الرياح قبل أوانها،

٦ - وهنا لا شىء جديد، أيها الغريب، يوجد فى داخلها،

٧ - فهى بمجرد أن تُزهر، فسرعان ما تذبل، وتفقد بريقها،

٨ - وسريعًا ما تصبح شوكة، وتصير كنَبْتٍ قذر أو كأصل لغيرها،

٩ - ولقد أينَعت، ولكنها، بالفعل، قد فقدت عظمتها،

١٠ - وهى فى مرات عديدة فإن ضوء النهار يُخفيها،

١١ - ويترك وراءه رجالا، فى عزلة، كانوا هم أسيادهم،

١٢ - إن هناك شيئًا واحدًا عظيمًا، يبقى ويظل:

١٣ - هذى هى الفضيلة، تلك الذكرى الطيبة، التى لم ينل،

١٤ - منها، حتى الزمان، القاهر لكل شىء، وفيها لم يفل، فهل،

١٥ - تريد، إذن، أيها الغريب، لك أن أقول:

١٦) لماذا أخبروك بكل هذه الأشياء؟ فلتعلمها، إذن، ككل:

١٧ - إنه الملك الإسكندر، سيد العالم، بالكلية،

١٨ - هو ابن أوليمبياس، تلك الزهرة، ذات الرائحة الذكية،

١٩ - والمضمخة بدماء، ذات أصول ملكية،

٢٠ - وهو البطل، الذى تجاوز كل الأرقام القياسية، والنبيل، والغضوب كالأسد،

٢١ - وهو الذى، من سيفه، ارتعدت فرائص الأقوام الأجنبية،

٢٢ - وهو الذى، من رمحه، خافت الفرق الفارسية،

٢٣ - وهو الذى مَرَقَ من بين كل البرابرة (الأجانب) مروق العاصفة المدوية،

٢٤ - وكذلك مرق من بين كل من يقطن الأفق، فى أركان المعمورة الأربعة.

٢٥ - إنه هو ذلك النجم، الذى تميز وبرز من بين أصوله المقدونية.

٢٦ - واحسرتاه! لقد مضى وراح قبل أوانه،

٢٧ - مثلما يختفى لجام لامع تحت مكيال الحبوب لنا.

ثالثاً: المضامين التاريخية والحضارية للنص اليونانى

١ - التأبين جاء كاملاً فى ٢٧ (سبعة وعشرين) سطراً، باللغة اليونانية القديمة، ضمن كتاب **سيرة الإسكندر** (Alexandrou Bios) وتحديداً فى آخر الجزء (الكتيب) الثالث من تلك السيرة، وقبل الختام الذى أراده المؤلف / المزيف، بادعاء لم يسبقه فيه أحد من المؤرخين السابقين عليه، **أن الإسكندر كان قد ترك وصية مكتوبة سجل فيها كل رغباته** وأوامره لقادته المقدونيين، ينفذونها، حرفياً، من بعده وهو ما لم يحدث.

٢ – مقدمة التأبين، ولاكثر من نصف حجمه، فى نحو ١٥ (خمسة عشر سطراً) جاءت صوفية، وعاطفية جياشة، وحزينة تجاه ذلك القائد، الذى أخذه القدر قبل أوانه.

٣ – التأبين، جاء شعراً يونانياً قديماً، فى الوزن الأيامبى – تلك التفعيلة الطويلة، لتتيح للمؤلف (الكاهن / السكندرى / اليهودى) مما ينم عن ثقافة راقية جداً لصاحبها، وتعكس تمكناً كبيراً منه لتلك اللغة والثقافة العالمية لقرون عدة.

٤ – يوجِّه المؤلف حديثه المباشر، إلى كل يونانى، هو فى تقديره صديق له (Phi-los)– وإن كان يسميه، فيما بعد، بـ "أيها الغريب" (Xenos)، ويزيد الأمر أكثر شمولاً وتعميماً.

وهنا نستطيع أن نحدد بعض المضامين الحضارية، التى تعكس واقعًا اجتماعيا، أو دينيًا، أو ثقافيًا، مثلما الحال فيما يلى:

(أ) الكاهن، المؤلف، يعلن فى أول سطر، عن رأيه الشخصى فى حال الدنيا وموقفه منها، وهو أن مباهج الدنيا ليست ذا بال، بل إنسان متدين، مؤمن بالآخرة، وبالتالى يعيش فيها متصوفًا وراضيًا، وقانعًا بما وهبه الله من خير.

(ب) المؤلف يشبه بطريقة وأسلوب عمليين مقنعين، حال الدنيا بالزهرة، التى ما إن تُزهر حتى تدخل فى مرحلة أخرى فتذبل، وتذهب أدراج الرياح! مما ينم عن شخصية متفكرة فى خلق الله وراصدة لخلقه، من حوله، ويملك ناصية التعبير اللغوى، ووسائل الإقناع، عند الخطابة، بأمثلة حياتية وعملية.

(جـ) هنا حكمة الكاهن تتضح بجلاء (فى السطر ١٢)، حيث يؤكد أن هناك شيئًا واحدًا، فى الدنيا، هو الباقى والأكثر خلودًا، وهو الفضيلة، التى تقدر

على قهر الزمن وتظل طيبة عطرة بالضبط، كما قال بذلك، من قبله بقرنين، المؤرخ يوسيفوس.

أما المضامين التاريخية، الواردة فى النص التأبينى فيمكن حصرها فيما يلى أيضًا:

١ - كان الإسكندر، الملك، سيدًا للعالم القديم بأسره، وهذا فى حد ذاته، مبالغة شديدة، للواقع التاريخى المعروف من مؤرخين آخرين سجلوا لنا سيرته وأعماله، وإنجازاته العسكرية، وهى - فى الحقيقة - لم تشمل لا كل أوربا ولا كل آسيا ولا كل أفريقيا.

٢ - هنا الإسكندر، الملك، هو ابن أوليمبياس، ذو الأصول الملكية، ولم يذكر (خلافًا أيضًا للمؤرخين السابقين عليه) نسبه لأبيه الملك فيليب الثانى المقدونى، ليروج لحكايته الأسطورية، الأحادية الرواية، بأنه ابن الملك الفرعونى المصرى، الساحر والكاهن، بيكتانيبو (Nectanebu).

٣ - كان الإسكندر بطلاً حقيقيا، كسر الأرقام القياسية فى الغزو، وضم أراضى البلدان المقهورة، وهابت سيفه ورمحه كل البلدان الأجنبية (البرابر)، مما يعكس لدى الكاهن / السكندرى / اليهودى ثقافة يونانية، أصيلة يعرف أولها ونهايتها.

٤ - هنا نجد الإسكندر الأكبر نجمًا بارزًا حتى بين الأسرة الملكية المقدونية نفسها، وهذا حقيقة تاريخية يؤكدها، فى تلك المدة الزمنية القصيرة (خلال ١٠ سنوات فقط)، حيث يمكن إيجاز ذلك الإنجاز التاريخى فى عدة نقاط، من أبرزها، ما يلى:

١ - أنهى الوجود الفارسى فى آسيا للأبد.

٢ - كسر الاحتكار الفارسى لثروات مصر.

٣ – دمَّر الإمبراطورية الفارسية، واحتل عاصمتها، وبالتالى قضى – تمامًا – على العدو التقليدى الأول، فى الشرق، للحضارة الغربية الرائدة، التى كان الإسكندر يمثلها آنذاك.

ويختم المؤلف / المزيف / المجهول [السكندرى / الكاهن / اليهودى، كلامه بالحسرة والأسى على موت الإسكندر، فيقول (سطر ٢٦) **"واحسرتاه، لقد مضى وراح قبل أوانه"**(٢٨). مما يعكس شخصية مسئولة تشعر بفقدان البطل، القدوة، والتى فقدها هو وصول الإمبراطور الرومانى دقلديانوس للإسكندرية، لإنهاء محاولة الحاكم الرومانى دوميتيوس دوميتيانوس للاستقلال بمصر، وحصار الإسكندرية وقتل الثائر الرومانى، وعمل إصلاحات إدارية خذورية فى كل الولايات الرومانية الشرقية من بعد ذلك، وذلك منذ أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الميلاديين، وهو التاريخ نفسه الذى يؤرخ به علماء التخصص لهذا النص كله من (سيرة الإسكندر)، لذلك الكاتب اليهودى، السكندرى، الكاهن. ويبدو مقبولاً جدًا أن نستشعر من هذا المؤلف محاولة إحياء تراث الإسكندر وإنجازه، فى توقيت غير مناسب للسادة المحتلين، الجدد، الذين حرموا الإسكندرية من مجدها الماضى العريق، وأفقد الجميع من سكانها كل امتيازاتهم الاجتماعية والسياسية، وبدأت مشوار النسيان مع غدْر الزمان.

ومن عجب أن معظم المادة التاريخية البردية، وكذا الشعبية والقصص اليهودية، والفلسفية، المكتوبة باللغة اليونانية، لم تكن بالضرورة من أعمال مواطنى الإسكندرية نفسها، بل هناك برديات جاءتنا من عواصم الأقاليم، مثل أوكسيرينخوس والفيوم، من بعض اليهود والمسيحيين المثقفين، صفوة المجتمع آنذاك، سواء أكانوا مواطنين سكندريين أم لا، ولذلك يقول جيمس كارلتون باجيت:

"Finally , we should note that : (J. Carleton paget it is not clear how Representative Of The Jewish And Christian Communities These Supposedly Alexandrian works are(٢٩).

والمفاجأة الأخيرة، هى أن الصفوة المسيحية من رجالات الكنيسة، والفلاسفة المسيحيين هم الذين حفظوا لنا التراث الأدبى والدينى اليهودى، المؤرخ بالقرنين الثانى والثالث الميلاديين، فتلك هى السماحة المصرية الأصيلة، حتى مع الأعداء، وذلك - دون شك - بفضل الحضارة المصرية الخالدة، التى تعاملت، بذكاء شديد مع كل الآلهة القديمة، وها هى تضرب أروع المثل فى الرقى الفكرى والإيمان النقى، وسعة القلب المصرى الربانى.

أ.د. محمود السعدنى

الهوامش

(١) عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية، الطبعة الطلابية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، ١٩٨٩، ٥ - ٢٤، وكانت النتيجة لهذه الفتنة واتهام الوالى الرومانى، فلاكوس (Flaccus)، هى غضب الإمبراطور كاليجولا (Calligula) عليه - بسبب صداقته لأمير اليهود أجريبا- والأمر بإدانته، وكذا مصادرة أمواله ونفيه إلى جزيرة أندروس (Andros)- وسط البحر الإيجى - حيث تم إعدامه هناك لاحقًا: راجع أيضًا. josephus : In flaccum , 125 , 126.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣١.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) P. Lond . 1912 . 73 - 104 & B . G . y . , 1079 & Hunt - Edgar , Sel. Papyri , I : 107

(٥) عبد اللطيف أحمد على، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٦) محمود إبراهيم السعدنى، "نيرون واليهود: قراءة فى حوليات تاكيتوس"، مجلة المعهد العالى للحضارات، الزقازيق، العدد الثانى (١٩٩٥م)، وكذلك، للمؤلف نفسه، تاريخ مصر فى عصر الرومان، القاهرة ٢٠٠٨ (طبعة طلابية)، صص ٦٤ - ٧٨.

(٧) المرجع نفسه، صص ٦٥ ، ٦٦.

(٨) المرجع نفسه، ص ٦٨.

(٩) المرجع نفسه.

(١٠) المرجع نفسه، ص ٧٠.

(١١) المرجع نفسه.

(١٢) Rajak,T., " Was there a roman charter for the Jews?" , J . R . S . , 74 (1984) , pp 107 - 123.

(١٣) السعدنى، المرجع السابق، ص ٧٢.

(١٤) اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان (رسالة دكتوراه غير منشورة) جامعة عين شمس. القاهرة ١٩٦٨، ص ١٤٥.

(١٥) المرجع نفسه، وكذلك ص ص (١٤٢ – ١٩١) لثورات اليهود ضد الرومان.

(١٦) Tacitus , The Annals of Imperial Rome , Penguin Classics 1966 (Rep . 1971) , p . 366.

(١٧) Asonites . A . M . , Pseudokallisthenes : Alexandrou Bios , Athenai, 1 st edition 1999.

(١٨) Ibid . , pp . 33 - 125.

(١٩) Ibid . , pp . 127 - 229.

(٢٠) Ibid . , pp . 231 - 301.

(٢١) Ibid . , pp . 303 - 330.

(٢٢) Ibid . , pp . 79.

(٢٣) Ibid . , pp . 85.

(٢٤) Ibid . , pp . 185.

(٢٥) محمود إبراهيم السعدنى، سيرة الإسكندر الأكبر: (تاريخه، وقبره، وأثاره) رقم (٢٥)، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٢٩.

(٢٦) Asonites , op . cit . , p . 255.

(٢٧) محمود السعدنى: "يوسيفوس والقدس"، دراسة تحليلية فى المنهج لكتابه XI "من الآثار اليهودية" & تاريخ مصر فى عصر الرومان، المرجع السابق، ص ص ٤١ ، ٤٢.

(٢٧) Hirst,A. - Silk , M . , Alexamdlria , Real and Imagined, (Ashgate). Great Britain 2004 , p . 101 (J. Rowlandson & A. Hanleer)

حيث يشير المؤلف إلى قيام دقلديانوس بعمل معسكر لقواته داخل معبد الأقصر، وهو أمر كان عُرضة للنقد والتجريح ضد الرومان، وربما كان ذلك بسبب سماح الإمبراطور الرومانى لليونانيين بعمل سباقات عربات بالخيول على أرض كانت – يومًا ما – وقفًا خاصًا للمعابد وتقديس الآلهة.

(٢٨) Ibid., pp. 94 - 99.

حيث يدور الحديث عن الأهمية السياسية والاجتماعية للنصوص البردية الأدبية "أعمال السكندريين (Acta ALexandrinorum)، وأمثلة عديدة لمكانة وامتيازات شخصيات مسئولة عن عهد التربية" الجيمانزيوم، مثل أسيدوروس وأبيانوس، اللذين حضرا المحاكمات أمام الأباطرة الرومان، وكيف أنهما تشبثا بزيهما الرسمى، حتى عند الإعدام.

(٢٩) Ibid., pp. 144.

تصدير

(من المترجم)

تقديم ضرورى

• شاءت إرادة الله، منذ القدم أن تُبتَلَى مجتمعات الشرق القديم بالوجود اليهودى بين ظهرانيهم، فى ربوع فلسطين، ولكنهم متقوقعون حول مستعمرتهم الأقدم يهوديا (Ioudaia)، منذ القرن العاشر "ق. م" وسلط الله عليهم - بما عملته أيديهم جزاءً وفاقًا- نبوخذ نصر، الملك البابلى، فأسرهم ودمَّر عاصمتهم، ومزَّقهم شر ممزَّق، ولكنهم عادوا فجمعوا شتات أمرهم، وتسربوا إلى الإسكندرية البطلمية، وأقاموا فى حى مستقل بهم، وهو الحى الرابع "D" (دلتا)، فى أعظم وأكبر عاصمة عالمية آنذاك، وصار لهم كيان، ومجتمع حر يمارسون فيه طقوسهم وعقيدتهم، برعاية ملكية بطلمية. ثم نجحوا، كعادتهم فى التودد والمسكنة واختلاق الأعذار والعلل، فى إقناع الملك البطلمى بضرورة كتابة توراتهم وترجمتها إلى اليونانية، فحدث ذلك فى عهد بطليموس الثانى (فيلادلفوس) - مطلع القرن الثالث ق. م، وظهرت الترجمة السبعينية "Septuagenta"، كما نعرف جميعًا من أهل التخصص.

الكتاب الأول

BIBLION (1)

"وفيه سرد جميل، وعرض للعمليات الفكرية للإسكندر، ملك المقدونيين، وابن فيليب وأوليمبياس".

لقد تولى الإسكندر الأكبر المقدونى عرش مملكته، وكان- فيما أعتقد - هو أفضل الرجال وأشجعهم، الذين استطاعوا بمفردهم أن ينجزوا كل شىء، وكانت العناية الربانية وعطف الآلهة عليه دائمًا يساعدانه، حتى يتمكن من أن يستفيد، تمامًا، من فضائله وخصاله الحميدة، وإلى أقصى درجة. ولقد قضى زمنًا طويلا يحارب ويقاتل كل القوميات دون استثناء، لدرجة أن الوقت لن يكفى المؤرخين؛ لكى يسجلوا تاريخ المدن التى استولى عليها وغزاها.

وبمجرد أن انتهى قائد الجيش من عمله، ضحك نيكتانيبو (Nectanebu)، لمدة طويلة من الوقت، وبعدها وجَّه حديثه إليه قائلاً: "أيها القائد، إن أسلوبك وعملك طيبان ومنطقيان، وهو ما تعتقد أنت أنه هو المطلوب والمفروض لتأمين مواقعنا، التى عهدت بها إليك، واستأمنتك عليها". ثم أضاف:

"ولكنك قد تحدثت بجبن وهلع، وليس بروح العسكرية القتالية. وذلك لأن القوة لا تُوجد فى الزيادة العددية فحسب، لأن أسدًا واحدًا، فقط، يمكنه أن يلتهم قطيعًا كاملاً من الأغنام. عُد، أيها القائد، إلى معسكرك، وحاول أن تحافظ على وحدتك العسكرية

وتحرسها. أما أنا، فإننى بنفسى، وبكلمات منى فقط، لسوف أُغرق بيدى، فى اليم، أى عدد من الأجانب مهما كثر." بهذه الكلمات شجع نيكتانيبو القائد العام لجيشه.

وبعد ذلك قام الفرعون، نيكتانيبو، من مجلسه، ودخل إلى قصره، وظل داخله وحيداً، وكان ينظر، بحذر شديد، إلى إناء، آملاً أن يجد فيه، تارةً أخرى، عونه ومساعدته عند اللجوء إليه.

وبينما كان يرى الآلهة المصرية وهى تُوجِّه السفن والقوات الأجنبية المعادية، أدرك نيكتانيبو، وهو العالم الخبير والمتمرس فى أعمال السحر، والمدرَّب على مخاطبة الآلهة، أن نهاية مملكته فى مصر قد اقتربت، وبمجرد أن انتهى من تجميع ذهب كثير، وحلق رأسه وذقنه، وتخفَّى، حتى بدا إنساناً آخر، فإنه هرب من ميناء بيلوزيون[١]، ثم أقام هناك واستقرَّ، فى مكان ما، وقدَّم نفسه للقصر الملكى على أنه طبيب فيلسوف، وفلكى، ومنجم مصرى عرَّاف.

وفى تلك الأثناء، كان أعداء مصر من الأجانب قد انتصروا على المصريين فعلاً فى معارك ضد نيكتانيبو الذى لم يجدوه فى أى مكان، مما ألجأهم إلى الآلهة. عندئذ، أشارت إليهم أن يعرفوا مصير مليكهم، أنَّى كان، ولا سيما بعد أن احتل الأجانب كل مصر. ومن داخل قدس الأقداس لمعبد الإله سيرابيس[٢] (Serapis) نطق الإله بالنبوءة التالية: "**إن هذا الملك، الذى هرب، سيعود تارة أخرى، إلى مصر، ولكنه سيرجع شاباً، وليس شيخاً، عجوزاً كما أنهُ سيقضى نهائياً على الفرس، أعدائنا**"[٣].

وكان المصريون، عندئذ يتساءلون عما كان يعنيه هذا الوحى، وتلك النبوءة. ولما كانوا عاجزين عن إعطاء تفسير ما لذلك، فإنهم قد سجلوا ذاك الوحى محفوراً على قاعدة تمثال ضخم، أكبر من الحجم الطبيعى لملكهم نيكتانيبو[٤].

وإبان تلك الفترة، كان نيكتانيبو قد أصبح شخصية معروفة فى كل أنحاء مقدونيا، وكان يعطى نبوءات لكل المواطنين، هناك، دون استثناء، وبلغت شهرته درجة كبيرة،

حتى وصلت إلى أسماع الملكة أوليمبياس (OLympiás)، والتى جاءته وزارته فى بيته، أثناء الليل، عندما كان زوجها، الملك فيليب، غائبًا فى حرب خارج المملكة، وبمجرد أن علمت ما كانت تريده من نيكتانيبو انصرفت راضية بما عرفت. ولكنها بعد أيام قليلة، أرسلت إليه تدعوه للحضور إلى قصرها، ولما دخل عليها نيكتانيبو ورأى الملكة أوليمبياس، وهى التى كانت جملية للغاية، أحس تجاهها بانجذاب عاطفى، وبينما كان يمد لها يده قال: "تحيةٌ عليك، يا ملكة المقدونيين. "فردت عليه أوليمبياس قائلةً: **"وتحية عليك أيها العرَّاف، يا أكثر الناس طيبةً وتبجيلاً، وتفضل بالجلوس ما دمت حضرت إلى قصرى". ثم واصلت حديثها إليه بقولها: "إنك، إذن، عالم الحساب[٥]، والرياضيات، المصرى، الذى منه تَعلَّم الحقيقة كلها كل من زارك واستمع إليك، ولكننى أنا نفسى قد اقتنعت بكلماتك". ثم أردفت قائلةً:**

"ومع ذلك، قل لى بأى أسلوب، وبأية طريقة تستطيع أن تتنبأ وتتوصل إلى الحقيقة؟ عندها أجاب نيكتانيبو قائلاً ما يلى: "أيتها الملكة، إن عملية الخطوات الذهنية، التى توصلنى إلى تلك النتائج، هى فعلاً معقدة". ثم أضاف بقوله:

"ذلك لأنه، بالتأكيد، هناك – كما تعلمين أنتِ علم اليقين– فلكيون وقارئو الطوالع، ومفسرو الأحلام، وعرَّافو الطيور، وقارئو الكف وتواريخ الميلاد، فضلاً عن أولئك الذين يُسمَّوْن بالسحرة، والذين تنتشر محلاتهم، وأماكن نبوءاتهم، فى كل مكان." وبينما كان يقول ذلك، نظر، بإمعان، إلى أوليمبياس، التى لاحظت عليه ذلك وقالت:**"أيها العرَّاف، لقد نَظرتَ إلىَّ مَليًا وبتركيز كبير"** وعندئذ أمَّن نيكتانيبو على ذلك، وأردف قائلاً: **"نعم، أيتها الملكة لقد نظرتُ إليكِ هكذا،لأننى تذكَّرت نبوءة كانت قد أعطيت لى من الآلهة المصرية، يوما ما، وهى أننى يجب علىَّ أن أعطى نبوءة لإحدى الملكات، وها هى، الآن، تغدو حقيقة. ولهذا السبب، إذن أرجو ألا تترددى، وأن تخبرينى عما تشائين".**

ويمجرد أن وضع نيكتانيبو يده داخل ملابسه، عند صدره، حتى أخرج لوحًا صغيرًا، مصنوعًا من العاج المذهب، وهو أمر لا يمكن أن يفسره منطق، ذلك لأن اللوح

كانت له سبعة نجوم:" واحد للأبراج، وواحد للشمس، وواحد للقمر. وبينما كان نجم الشمس من الكريستال، كان القمر من الألماس، وكان المدعو زيوس (Zeus) من الهواء، وكرونوس (Krónos)، من حجر صلد، وأفروديتى (Aphrodite) من حجز الزفير، وهيرميس (Hermés) من اليشب، كما كانت قاعدة مسارات الأبراج من رخام مرمرى ناصع البياض. هنا أصاب أوليمبياس الذهول من فرط فخامة وعظمة صنعة اللوح، فقامت من مجلسها، وجلست إلى جوار نيكتانيبو، آمرة كل خدم القصر أن يخرجوا من المكان، ثم وجهت حديثها إليه قائلةً: **"أيها العراف، حاول أن تركز كل طاقة فكرك فى يوم ميلاد فيليب، وكذا فى يوم ميلادى، ذلك لأن هناك شائعة تقول، فى كل مكان، إنه بمجرد عودته من الحرب سيطردنى، ليتمكن من الزواج بأخرى!** فنظر إليها نيكتانيبو بإمعان وقال لها: **"أشيرى فوق هذا اللوح الصغير بأيام ميلادكما"**.

وعندئذ، ماذا عساه فاعلاً ذاك العرّاف المصرى؟ لقد وضع، كذلك، تاريخ ميلاده هو جنبًا إلى جنب مع ميلاد الملكة أوليمبياس، من أجل أن تتم له هو أيضًا عملية النبوءة والعرافة. وبمجرد أن انتهى من مرحلة التحضير والتركيز، نراه يقول لها: **"إن الشائعات التى تنتشر حول شخصك، ليست كاذبة، ولكننى أنا بنفسى، باعتبارى عرافًا مصريًا، يمكننى أن أساعدك حتى لا أدع فيليب يتركك ويخذلك"**. هنا ساور الشك قلب أوليمبياس فسألته "بأية وسيلة؟": فرد عليها العراف ردًا مباشرًا بقوله: **"إنك يجب عليك أن تضاجعى إلهًا أرضيًا، وأن تحملى منه وأن تلدى ذكرًا، وأنتِ التى سترضعينه، كما أنه هو بنفسه الذى سينتقم ويثأر لك من كل الظنون والإهانات التى ألحقها بك فيليب وخانك فيها!"**. **والملكة تسأل: مع أى إله أنام؟**.

العراف: مع الإله آمون (Ammon)، إله ليبيا[٦]!

الملكة: (تردد ما سبق): مع الإله آمون؟ وتكمل حديثها بسؤال آخر: ما هيئة هذا الإله؟

العرّاف: (يرد بتفصيل كبير) "**إنه رجل فى منتصف العمر، بشعر رأس ذهبى اللون، وذقن ذهبية، وقرون مذهّبة، تنبت من جبهته! فلتستعدى، إذن له، كما يليق بملكة وملك. إنه سيأتى إليك اليوم، ليلاً عندما تستغرقين فى النوم وتحلمين. إنك سترينه فى الحلم، وهو الإله الذى أكلمك عنه، فيضاجعكِ ويمارس معك الحب!**".

الملكة: (تتمتم بكلمات وكأنها مخمورة): "**إننى إذا رأيت حلمًا كهذا، فإننى لن أسجد لك بوصفك ساحرًا، بل إلهًا!**".

وبعدها، خرج نيكتانيبو، (العراف المصرى) من القصر مسرعًا وذهب إلى المناطق النائية، حيث جمع بعض الأعشاب، التى كان سيستخدمها لإعداد عملية تفسير الأحلام. وبعد عودته إلى مقر إقامته، قام فورًا بصنع تميمة، على هيئة نعجة، وكتب عليها اسم الملكة أوليمبياس ثم أضاء مصباحًا صغيرًا[٧] (Lykhnári)، وبدأ فى سكب السائل العُشبى، متضرعًا بأدعية وأذكار ومستحضرًا الآلهة، راجيًا منها أن تجعل أوليمبياس ترى بعض التخيلات. وهكذا ترى الملكة فعلاً، فى منامها، نفسها وهى تمارس الحب، وقد ضاجعت فى الليلة ذاتها، الإله آمون، الذى قال لها، بمجرد أن قام عنها ما يلى: "أيتها المرأة، إن ما فى بطنك هو ذكر وسيصبح هو المنتقم من أجلك!".

وتقوم أوليمبياس، من نومها فى حيرة من أمرها، وأرسلت فى الحال، تطلب حضور نيكتانيبو، ثم قالت له:"**لقد رأيت حلمًا وكذلك رأيت الإله آمون الذى أخبرتنى عنه، ولكننى أطلب منك، أيها العراف الكبير أن أخالط الإله مرة ثانية، وعليك أن ترتب أنت متى سيضاجعنى الإله، حتى أتمكن أنا أن أستعد لذلك فى الوقت المناسب**". ورد العراف عليها بما يلى: "**أيتها السيدة، يا ربة القصر، إننى أعرف بدايةً، أى حلم رأيت أنت فى منامك ولسوف يقرر الإله، بنفسه، متى سينام معك، وسيفعل ما هو ضرورى لتنفيذ ذلك. أما إذا أرادت عظمتك أنت ذلك فلتحضرى لى، هنا، غطاءً، بالقرب منك، حتى يكون وجودى أنا محفزًا له (للإله!) ويرحب بكِ**". ثم أضاف قائلاً لها: "**وإذا أردت فلتنامى هنا، فى داخل عباءتى**" عندها أبدت الملكة أوليمبياس ميلاً لذلك، وقالت: "**وإذا**

استطعت أنا الليلة، أن أحمل منك، فلسوف أقوم بتكريمك ومكافأتك، بالشكل الذى تعرف ملكة ما أن تفعل، بل سأتخذ منك أبا لمولودى!". وعندئذ، قال لها الفرعون الكاهن العرّاف، نيكتانيبو، "أيتها الملكة، يجب أن تعلمى أن مقدمات حضور الإله ستكون العلامة التالية: إذا كنت هناك، فى مخدعك، بالليل، فإنك سترين تنيناً[8] يزحف فى اتجاهك، ولذا يجب عليك، أنذاك، أن تطردى كل خدمك كى يخرجوا من عندك، وكذا عليك أن تتركى المسرجات مضاءة، وهى التى سأقوم أنا بإعدادها كيفما أعلم أنا فقط، وسأعطيك إحداها كى تضيئيها على شرف الإله، وتكريمًا لحضوره بين يديك. وبمجرد أن ترىْ ذلك التنين[9]، فعلاً فاصعدى إلى سريرك الملكى، ولتستعدى ولتخفى وجهك. وهنا يجب عليك، كذلك، أن تتذكرى الإله الذى رأيتيه فى منامك، حينما كان يتجه صوبك". وبعد أن أنهى العراف نيكتانيبو حديثه هذا، عاد إلى مكانه، وانصرف لتوه. وفى صباح اليوم التالى قامت أوليمبياس بإعطاء العرّاف المصرى حجرة نوم، بالضبط إلى جانب حجرتها (مخدعها) مباشرةً.

وفى المساء نفسه، وضع نيكتانيبو على رأسه جلد كبش طرىٍّ، له قرون مذهبة، وأمسك بصولجان من العاج، ولبس رداءً أبيض، وكذا عباءة حمراء عليه وهى التى، كانت نظيفة جدًا، وهى التى جعلته يشبه التنين، ثم دلف إلى داخل مخدع الملكة أوليمبياس، حيث كانت ممددة على سريرها، وقد غطت نفسها، ولكنها كانت تتابع ما يجرى حولها بأطراف عينيها. وعندما رأت العراف يدخل إلى حجرتها، فإنها لم تفزع، ذلك لأنها كانت قد أيقنت أنه هو الإله نفسه، الذى كانت قد رأته فى منامها! عندئذ لمعت المسارج بالضياء، بينما كانت أوليمبياس قد أخفت وجهها وغطته. وبعد أن ترك نيكتانيبو صولجانه، على الأرض، صعد إلى السرير الملكى، وقد ضمها إلى صدره ضما شديدا، وقال لها: **"أيتها المرأة العظيمة، إنك تحملين فى أحشائك ولدًا ذكرًا، سيصبح هو المنتقم لأجلك، كما سيصبح ملكًا لكل بلدان المعمورة!"**.

ثم ينزل عنها، ويحمل صولجانه، ويخرج من مخدع الملكة محاولاً أن يخفى أدوات غشه وخداعه لها! وفى الصباح تقوم الملكة وتذهب إلى الحجرة المجاورة لها، حيث كان ينام نيكتانيبو، فأيقظته. عندها سألها العراف قائلاً: **"صباح الخير، أيتها الملكة، ماذا جرى؟** وذلك بمجرد أن فتح عينه. ردت عليه الملكة مبهورة، وقالت: **"أيها العراف، إننى أشك فى أنك لا تعرف ذلك! أليس الإله لا يزال موجوداً معى؟ ذلك لأننى قد أمضيت وقتًا طيبًا جدًا معه!"**. فأجابها نيكتانيبو (بلهجة ماكرة): **"اسمعى أيتها الملكة، إننى عرَّاف، ويجب أن أنام هنا - فى هذا المكان- دون مضايقات، حتى يمكننى أن أقوم بأعمال التطهير المعتادة، وإن الإله سيأتى معك، حينما يريد هو"**. فردَّت عليه أوليمبياس بقولها: **"إنه من الآن فصاعداً، فإنك ستقيم هنا"**. وقررت الملكة ذلك، وأصدرت أوامرها أن يُعطى هذا العراف مفتاح حجرة نومه. وبعد ذلك، كان العراف، نيكتانيبو، ينام مع الملكة أوليمبياس، كلما أرادت هى، وكانت تعتقد أنه هو الإله آمون، وكان العراف قد أخفى بنجاح تام أدوات خداعة وغشه لها.

ويوماً بعد يوم، كبرت بطنها، ولذا فإن الملكة فى لحظة ما، قد قالت للعراف: **"أيها العراف، ماذا سأفعل عندما يعود فيليب ويجدنى حاملاً؟"**. **فرد عليها نيكتانيبو بقوله: "لا تخافى" فإن الإله آمون سيساعدك، وذلك بأن يظهر للملك فيليب فى منامه، وسيكشف له عما جرى، حتى يبرئك من كل اتهام"**. وهكذا، إذن أصبحت أوليمبياس جزءًا من فن السحر الذى عمله نيكتانيبو.

وبعد ذلك مباشرة أمسك العرَّاف صقرًا بحريًا صغيرًا، وأخضعه لسحره، فبدأ ذلك الصقر فى إخباره بكل ما كان يجب أن يسمعه فيليب فى منامه. ثم بعد مرور وقت غير معلوم، جهَّز العراف ذاك الصقر، بحيلٍ سحرية ماكرة كثيرة، حتى يصبح الطائر ملمًا بكل تفاصيل المهمة الموكلة إليه. قام الصقر البحرى الصغير، بعد أن أطلقه الكاهن/ العرَّاف، بالطيران طول الليل، حتى وصل إلى المكان الذى كان فيه فيليب، وظهر له فى منامه كصقر يتكلم.

ولما رأى فيليب فى منامه صقراً يكلمه استيقظ، ثم أرسل فى طلب كل مفسرى الأحلام الأكفاء، وسرد عليهم تفاصيل حلمه، بالكلمات التالية: "لقد رأيت فى منامى إلها جميلاً جداً بشعر كثيف وذقن كثة، وله قرون مذهبة فى جبهته، ماسكًا صولجانًا فى يده، وقد دخل إلى مخدع زوجتى الملكة، ونام معها، وبمجرد أن قام من فوقها، قال لها: "أيتها المرأة، لقد حملت ولدًا ذكرًا وهو الذى سيولد وينتقم لمقتل أبيه". ثم رأيته وهو يُخيِّط، على بطن زوجتى، قطعة من البردى، وختم عليها بخاتمى الذهبى، ذى الفص الحجرى الكريم، والذى تم عليه حفر شمس، ورأس أسد، ورمح صغير. وبينما كنت أنا أرى ذلك كله، شاهدت صقرًا آتيا تجاهى، فى منامى، وقد أيقظنى بجناحيه، ولذا فإننى أسألكم ماذا يعنى هذا الحلم؟".

قام مفسرو الأحلام بالرد على سؤال الملك فيليب، قائلين:" أيها الملك الأعظم، فيليب، إن منامك يتسق تمامًا مع الحقيقة، ويتطابق مع الواقع. وإن ما رأيته حول وضع ختم على بطن زوجتك، يعنى أنها قد حملت، ذلك لأن أى شخص منا يختم على الآنية المملوءة، وليس على الفارغة. أما فيما يخص ورقة البردى المخيطة، فإنك كما تعرف، أن نبات البردى لا ينمو فى أى مكان سوى فى مصر فقط، وإن البذرة، إذن، هى من مصر، وتنتمى، بكل تأكيد، إلى سلالة عظيمة وأصل مشهور، ذائع الصيت، وهو الأمر الذى يعكسه ويرمز إليه كون الخاتم مصنوعًا من الذهب، فهل هناك شىء أفخم من الذهب؟ بالطبع، لا، ولذلك فإن المتعبدين يكرّمون آلهتهم بقرابين وتقدمات نذرية من الذهب. لقد قلت إن الخاتم كان محفوراً عليه شكل شمس، فى الجزء العلوى منه، بينما كان مرسومًا، فى الجزء السفلى منه، رأس أسد، ورمحًا قصيرًا، وهذا يعنى، لدينا، أن الابن، الذى سيولد، سيصل فى غزواته حتى الشرق، محاربًا كل الأجناس والشعوب كالأسد، وسيحتل كل المدن، فتصير رعاياها، خاضعة له، وذلك يفسره وجود الرمح. أما فيما يخص ما رأيته من إله، ذى قرون كبش، فإنه هو الإله آمون، إله ليبيا[١٠].

كان الملك فيليب يستمع إلى مفسرى الأحلام بقلق وامتعاض شديدين لما قالوه له حول منامه، كما كانت أوليمبياس، هناك، بعيدا عن زوجها الملك فيليب، فى عاصمة الملك فى مقدونيا، تشعر بقلق، أيضا، ولم تهدأ نفسها قط مما فعل معها العرّاف المصرى، نيكتانيبو، وخاصة فيما أعده للتمهيد لكل الأحداث ولإخبار فيليب حول كل تلك الأحداث.

وبعد أن عاد فيليب من حروبه، وجد زوجته فى غاية الاضطراب، فقال لها: **"يا أوليمبياس، إن ما حدث قد حدث رغمًا عن إرادتك، وإن ما رأيته أنا فى منامى، فسَّره لى مفسرو الأحلام، وقالوا لى إن شخصًا آخر هو المسئول، وبأنك أنت غير مذنبة. ذلك لأننا نحن الملوك يمكننا أن نقف إلى جانب الجميع، ونساندهم، ولكننا لا نستطيع أن نفعل ذلك مع الآلهة. إننى أعلم أنك لم تنامى مع أى إنسان من الشعب، ولا حتى مع أمير ما"**. واستمعت أوليمبياس إلى هذا الكلام وتنفست الصعداء بفضل كلمات زوجها الملك، وملأ صدرها شكرا لما فعله نيكتانيبو، الذى استطاع بحرفية كبيرة أن يعد فيليب ويمهد له لتلك الأحداث، ولكن فيليب بعد أيام قليلة من ذلك، قابل أوليمبياس وقال لها: **"يا أوليمبياس، لقد قلت لى كذبًا! إنك لم تحملى من إله، ولكن من إنسان عادى! فتأكدى، إذن، واعلمى أننى سأقبض عليه سريعًا، وسيقع بين يدى!"**.

وما إن استمع نيكتانيبو إلى ذلك الحديث، جاء رد فعله كالتالى: عندما كانت هناك وليمة عظيمة، فى القصر، وذلك تكريمًا لعودة فيليب من حربه، وكان الكل يأكل ويشرب بينما كان الملك حزينًا بسبب فعل أوليمبياس، وكان العراف يلاحظ ذلك كله، وفجأة تحوّل، وسط المائدة الكبيرة، من إنسان إلى تنين، أضخم مما كان من قبل، وأصدر فحيحًا مخيفًا حتى إن قواعد القصر وأساساته اهتزت. وسُمع لها أزيز! وبمجرد أن رأى الضيوف أنفسهم أمام التنين، قفزوا من أماكنهم ومقاعدهم مرعوبين! ولكن الملكة أوليمبياس كانت هى الوحيدة التى تعرفت إلى الإله / عشيقها فمدت إليه يدها اليمنى، بهدوء فسكن التنين وهدأ، وأحاط بذيله الطويل كل من كان فى المكان. عندئذ، اقترب

منها التنين وجلس فوق ركبتها وأخرج لسانه ذا الطَّرْفين، وقبّل الملكة بلهفة شديدة، مُظهِراً وده الكبير تجاهها.

وبينما كان فيليب مرعوباً جداً ومندهشاً مما يجرى حوله كان يتابع بحذر كبير التنين، الذى تحوَّل، تارة أخرى، وفجأة إلى نسر (aetós)، فارداً جناحَيْه، ومنطلقاً حتى غاب فى الفضاء الواسع.

وكان فيليب، فى تلك الأثناء، قد غيَّر رأيه بسبب خوفه مما جرى حوله، فقال لزوجته الملكة أوليمبياس: **"أيتها المرأة، إذا كان هذا الإله، يساعدك فى تلك اللحظة الحرجة، ويؤكد على سلامة موقفك، فإننى لا أعرف من هو هذا الإله، إنه قد قدَّم نفسه إلينا، تارة فى شكل آمون، وأخرى فى شكل أبوللون، ثم تشبَّه بالإله أسكليبيوس"**. فأجابته أوليمبياس بقولها: **"إنه بالنسبة لى، عندما نام معى وضاجعنى قال لى إنه هو آمون، إله كل أفريقيا"**. أما فيليب فإنه عندما رأى كل ذلك أشفق على نفسه، وأبدى استغرابه، لأنه – ومعه كل العذر – كان عليه أن يعتبر ابنه القادم، هو ابن إله، ذلك المولود الذى ستلده زوجته.

وبعد عدة أيام قليلة، وبينما كان فيليب موجوداً فى أحد قصوره الملكية، قام سرب من طيور مختلفة بعمل دورانات فى الجو فوق رأس الملك، وهبط طائر واحد منها فجأة، على كتفه، وباض عليه بيضة! وهى التى تدحرجت وسقطت على الأرض فانكسرت وخرج من داخلها تنين صغير، ظل يلف ويدور عدة مرات، حول تلك البيضة، محاولاً الدخول فيها، مرة أخرى! ولكنه بمجرد أن أدخل رأسه فيها مات فى التو واللحظة. وبدافع الخوف والاضطراب أرسل فيليب فى طلب مفسر للطوالع، وأطلعه على تفاصيل الحادث، وبفضل هداية الإله وتوجيهه[11]، استطاع هذا الكاهن، مفسر الطوالع، أن يعطى فيليب التفسير التالى: **"أيها الملك، سترزق بولد، سيجوب العالم كله، وسيُخضع الناس جميعاً لسلطانه ولكنه سيموت شاباً، وذلك عندما يعود إلى مقر[12] (أو عاصمة) ملكه! وإن التنين هو حيوان ملكى[13]، وإن البيضة التى خرج منها هذا التنين ترمز**

إلى العالم. ولما كان، من بعدها، يحاول أن يعود إلى داخلها عندما كان يدور، مرات، حولها فكأنما كان يلف حول العالم، ولما لم يفلح مات فى الحال!". وبمجرد أن شرح ذلك مفسر الطالع وتمت مكافأته من الملك فيليب، انصرف لحاله.

وعندما حان الوقت لكى تضع أوليمبياس حملها ومولودها استرخت ممددة، على سرير الولادة[١٤]، وبعد وقت قصير جاءتها آلام الوضع، وكان إلى جانبها يقف نيكتانيبو، الذى كان - وقتها - يستطلع الظواهر الطبيعية فى السماء، واستخدم خبرته فى السحر، وعلم منها مآل بعض أحوال الطبيعة، آنذاك، ثم قال للملكة: "**تماسكى، يا أوليمبياس، لأنك إن وضعت الآن مولودك، فإنك ستلدين طفلاً ميالاً للعبودية.**" وعندما شعرت أوليمبياس، مرة ثانية بآلام الوضع، ولم تكن قادرة على تحملها، قال لها نيكتانيبو، من جديد: "**حاولى أن تصبرى قليلاً، لأنك إن وضعت الآن فسيكون طفلك ضعيفًا ومُرفّهًا**". لقد كان ذاك العراف / الكاهن/ الساحر، نيكتانيبو، يشد من أزرها، باستمرار، ويشجعها، بل ونصحها أن تُغلّق بيدها فتحة رحمها حتى تتمكن من أن تؤجل نزول المولود، بينما كان هو يراقب الميلاد، تارة أخرى، عن طريق استخدام قواه السحرية. وعندما فحص مرة ثانية مسارات الأبراج السماوية ومظاهر الطبيعة أدرك أن الكون كله قد أضاء وميّز فيه بريقًا شديداً مثل ضوء الشمس وسط النهار[١٥]، وقال لها" اصرخى، الآن للمولود بالنزول! وراح نيكتانيبو يوجّه المولود. وبعد وقت قليل، قال للملكة أيضًا، بصوت جهورى: "**أيتها الملكة ادفعى بقوة ابنك حاكم العالم**". وبعد عدة صرخات مدوية ورهيبة أطلقتها أوليمبياس ولدت طفلاً ذكرًا، مصحوبًا بحظ سعيد، وفى أثناء توقيت فلكى مواتٍ للنجوم، وبمجرد أن خرج ذاك الولد إلى العالم، سمعت أصداء رعد كثير ومتكرر، ومعها برق متصل كان يخترق أجواء الفضاء والسماء، وزُلزل العالم كله زلزالاً شديداً!

وما إن رأى فيليب، فى الصباح، الطفل الذى ولدته أوليمبياس، قال: "**لقد كنت أفكر فى ألا أحتفظ به، لأنه ليس ابنى، ولكننى أرى كيف أنه من نطفة إلهية،**

وأن ميلاده صاحَبته مظاهر كونية مؤكدة، ومن ثمّ فإننى سأربيه إحياءً لذكرى طفلى المتوفى، الذى كان قد ولدته لى زوجتى السابقة، وسيكون اسمه الإسكندر[١٦] (ALéxandros).

وبعد أن أعلن الملك فيليب عن موقفه تولى، باهتمام شديد، كل تفاصيل رعاية طفله، وبدأت فى كل مقدونيا وفى بيلا (Pélla). وكذلك فى ثراكى (Thráké) احتفالات على شرف المولود، الإسكندر. ولكننى لن أطيل حديثى عن تربيته: " فلقد كبر، وأقلع عن الرضاعة، وكان قد شب عن الطوق، وصار رجلاً لم يكن يشبه، فى ملامح وجهه، أباه ولا أمه، ولا حتى نيكتانيبو، بل على العكس كان يمثل شخصية مختلفة كلية[١٧]، أى أن شكله كان شكل إنسان، من ناحية، ولكن شعره، كان يشبه لبدة الأسد، كما أن عينيه كانتا ذات لون مختلف: فاليمنى كانت سوداء، بينما اليسرى كانت زرقاء[١٨]، وكذلك كانت أسنانه حادة كالسكين، مثل أسنان التنين فضلا عن أن انقضاضه (وقت القتال) لا يوقفه أحد بالضبط مثلما يفعل الأسد.

١- تربية الإسكندر وتعليمه

(١) التربية: وعندما وصل إلى سن الدراسة والتعلم، كانت مربيته هى لانيكى (Laníké)، أخت ميلاس (Mélas) الذى هو مربيه، وكان ليونيديس (Leonides) هو القائم على طعامه (الطاهى)، ومعلمه هو بولينيكيس (Polyneikés) هو مدرس الموسيقى، من جزيرة ليمنوس[١٩] (lémons) ومعلمه فى الهندسة هو مينيكليس (Menekles)، من البيلوبونيز[٢٠]، ومعلمه فى الخطابة (rhetorike) كان أناكسيمينيس (Anaximenes) بينما كان معلمه فى الفلسفة أرسطو (Aristotéles)[٢١].

(٢) التعليم[٢٢]: "كان الإسكندر يدرس كل الموضوعات النظرية، وكذلك علم الفلك وكان عندما ينتهى من دروسه، كان يجمع رفاق دراسته فى مكان ما ويلقى عليهم هو

درسًا أو يمارس معهم تدريبات عسكرية. وكان، حينئذ، هو الذى يصدر أمر القتال بنفسه، فإذا رأى معسكر فريق ما ينهزم من الآخر، كان على التو يذهب ليحارب إلى جانب الفريق المهزوم، ويساعده حتى ينتصر حتى ولو كان جليًا تمامًا أنه هو الذى كان سبب الانتصار. وهكذا كان الإسكندر يكبر وينضج، كما كان يشترك فى تدريبات المشاه ويمتطى صهوة جواده قافزا على ظهره مباشرة من الأرض[٢٣]! وهنا نذكر واحدًا من تلك الأيام، حينما أحضر مربو ومدربو الخيول للملك فيليب من أحد إصطبلاته حصانًا بجسد كبير جدا، مربوطا بسلاسل مزدوجة، وقدموه إلى الملك قائلين: **"يا مليكنا، إن هذا حصان، هو أجمل من بيجاسوس[٢٤] (PEGASOS)، وقد ولد وتربى فى الإصطبلات الملكية، وقررنا أن نقدمه إليك"**. نظر فيليب إلى حجم هذا الحصان، وأعجب به، والذى كان عنيفًا جدًا وهائجًا، فكان المدربون يمسكونه جميعًا؛ وقالوا فى خوف: "أيها الملك إنه يأكل لحم البشر". فأجاب فيليب قائلاً: "إذا كان الأمر كذلك فإن المثل - هنا - يصدق فعلاً، والذى يقول، عند اليونان ما معناه: **"إنه إلى جانب الخير، ينبت الشر أيضًا، وما دمتم أحضرتموه إلىّ، فإننى سأحتفظ به"**. وهنا أصدر الملك أمرا إلى مدربى الخيول أن يصنعوا له قفصًا كبيرًا من حديد، ويضعوا الحصان داخله دون لجام! هكذا أمر فيليب، وقال: **"عليكم أن تدفعوا إلى داخل هذا القفص، كل الأسرى، والخارجين على القانون، وكل اللصوص"**. وهكذا تم تنفيذ ذاك الأمر.

ولما كبر الإسكندر، وبلغ من العمر اثنى عشر عامًا، بدأ يشارك مع والده فيليب، فى التدريبات العسكرية، وكان يسهم فيها مرتديًا الزى العسكرى الكامل، وكان يهاجم وحدات العدو، وينقض عليهم بشراسة، ممتطيًا فرسه. وعندما رآه والده الملك فيليب قال له: **"يا إسكندر، يا بنى، إن شخصيتك وشجاعتك تسعدانى، ولكن ما يحزننى هو أن ملامح وجهك لا تشبهنى"[٢٥]**.

وكانت تلك التعليقات وأمثالها قد وصلت إلى مسامع أوليمبياس، وأحزنها ذلك وكان هذا طبيعيا منها، ولهذا السبب فإنها استدعت نيكتانيبو يوما، وقالت له: **"قل لى، بماذا يفكر فيليب فى أمرى؟** هنا يُخرج نيكتانيبو لوح النجوم، وينظر فيه مليا، ويركز قليلاً، وبمجرد أن رآه الإسكندر الذى تصادف وجوده بالقرب منه، سأله قائلاً له: **"يا أبتاه، إن هذه النجوم التى تشير إليها هنا، هى ظاهرة فى السماء، وتبدو فعلاً بمنتهى الوضوح"**. فأجابه العراف، الساحر، قائلاً: "نعم هى كذلك". فأكمل الإسكندر استغرابه بقوله: **"هل أستطيع أن أراها هنا، أنا كذلك؟"**.

العـراف: بكل تأكيد، تستطيع يا بنى.

الإسكندر: متى؟

العـراف: فى المساء.

وعندما دخل الليل، فعلاً، أدخل نيكتانيبو الإسكندر إلى مكان مهجور، خارج العاصمة بيللا (PELLA)، وأشار له على النجوم فى السماء، ولكن الإسكندر، الذى كان يمسك بيد العرّاف، أوصله إلى جانب حفرة ما فى باطن الأرض، وفجأة، دفعه فيها، ليسقط فى أعماقها. ولقد أصيب نيكتانيبو بسبب تلك السقطة، فى مقعدته إصابة بالغة، بينما كان واقعًا فى الحفرة، قال للإسكندر مستغربًا:

العـراف: "يا بنى، ما دفعك أن تتصرف معى هكذا؟

الإسكندر: اسأل نفسك أنت عن هذا، يا عالم الحساب!

العـراف: ولكن، لماذا؟ يا بنى.

الإسكندر: لأنك تبحث فى السماء، فى الوقت الذى لا تعرف فيه شيئًا عما يجرى على الأرض.

العـراف: يا بنى، لقد أصُبتُ إصـابة شديدة، ولكن لا يوجد شـخص مـا، آدمى (THNETÓS)، يمكنه أن يفلت من مصيره المكتوب.

الإسكندر: ماذا تريد أن تقول؟

العــراف: لقد اطلعتُ على مصيرى (MOIRA) وعلمتُ أنَّنى سيُقضىَ علىَّ من ابنى نفسـه، ولما كنتَ أنتَ الذى ضربتنى، فإن ذلك يعنى أننى لم أفلت من مصيرى.

الإسكندر: إذن، أنا، فى الحقيقة، ابنك!

عندئذ، قام نيكتانيبو برواية قصته للإسكندر، وكيف كانت خدمته الملكية فى مصر، ثم هروبه من هناك، وكيفية مقابلته لأول مرة، مع أوليمبياس، وحول تفكيرها وما يشغلها من هموم، وكيف أنه تمثَّل لها على هيئة الإله آمون، وكيف ضاجعها ونام معها، وبينما كان يحكى للإسكندر ذلك خرجت روحه ومات!

ولقد اعتصر الألم الإسكندر، (الذى كان قد اقتنع بأن كل الذى سمعه كان هو الحقيقة) عندما رأى والده يلفظ أنفاسه الأخيرة بالقرب من الحفرة، خوفا عليه من أن تأكله حيوانات المنطقة المفترسة، ذلك لأن الوقت كان ليلاً والمكان كان موحشًا تمامًا. عندها انتابت الإسكندر موجة عارمة من الحزن والشفقة وانسال منه الدمع الغزير، فقرر أن ينقذ جثة والده، فرفعها وحملها دون أن يتردد، على كتفه، وذهب بها إلى والدته. وبمجرد أن رأته أوليمبياس، سألته فى حيرة: "ما هذا يا ابنى؟". فأجابها "إننى أحمل أنخيسيس[٢٦] (ANCHISES)، مثلما فعل أينياس (AINEIAS)". ثم شرح لها، وقص عليها، بكل التفاصيل، ما قاله نيكتانيبو. ولقد أقرت الملكة، دون استغراب، كل ما فعله العراف من خدع. وبأنها، وتحت تأثير فن السحر لديه، نامت معه. ومع ذلك، فإنها أظهرت عطفًا تجاه جثة نيكتانيبو، وأمرت بفتح قبر له فى مكان ما هناك، ودفنته بما كان يليق بأب لابنها الإسكندر.

وهنا فليسمح لى القارئ أن أذكر معجزة إلهية وقعت بوصفها عناية ربانية لكلا الرجلين: لقد تم دفن نيكتانيبو المصرى في اليونان، فى مقدونيا[٢٧]، بينما دُفنَ الإسكندر المقدونى فى مصر[*].

وعندما عاد فيليب من حملته العسكرية الجديدة، وكان قد زار معبد الوحى فى دلفى (DELPHOI)، طالبًا من النبوءة معرفة من سيحكم مقدونيا من بعده، فقامت كاهنة الوحى" بيثيا (PYTHIA)، بعد أن اتصلت، أولاً بالماء المقدس فى نبع كاستاليا[٢٨] (KAS-TALIA) – وأجابت عن سؤال فيليب كالتالى:

"يا فيليب، إن ذلك الذى سيحكم كل المعمورة، ويُخضع العالم برمحه، هو الذى سيمتطى صهوة الحصان (بوكيفالوس) (Bouképhalos)، وسيعرض خلال وسط المدينة. لقد تمت تسمية الحصان باسم:" بوكيفالوس (Bouképhalos) وذلك لوجود جرح، فى فخذه، كان يشنيه رأس الثور، ولما استمع فيليب إلى نبوءة الوحى، كان يأمل أن يرى هيراكليس[٢٩](Heraklés) جديدًا. لقد كان أرسطو (Aristotelés)، معلم الإسكندر، هو المعلم الأشهر والوحيد فى تلك الفترة، وذلك العصر ومن بين تلاميذه الكثيرين كان هناك عدد كاف من أبناء الملوك، الذين طرح عليهم أرسطو، يومًا ما، السؤال التالى: "**إذا ورثت مملكة والدك، فماذا أنت عازم وكيف تكافئ أستاذك؟ فرد أحدهم عليه**": ستظل أنت معى، وستحصل على تكريم أكثر من أى شخص آخر". وسأل أرسطو السؤال نفسه لتلميذ آخر، من تلاميذه، فقال له: "**سأجعلك حاكمًا، وسأستشيرك قبل اتخاذ أى قرار**". ثم توجه أرسطو صوب الإسكندر، طالبًا منه إجابته عن السؤال نفسه، فقال الإسكندر: "**إن ذلك، الآن فى غير وقته، بأن يسأل أحد عن أشياء من المحتمل أن تحدث فى المستقبل، ما دام ليس لدى أى مؤشر عما يمكن أن يجرى غدًا،**

(*) وهذا تقرير تاريخى مهم من مؤلف هذه الرواية السكندرى، بأن الإسكندر دفن، فعلا فى مصر، دون أن يحدد مكانه ولا الكيفية التى تم بها الدفن.

فإننى لن أستطيع أن أجيب إلا حينما يأتى الوقت المناسب، أى فى حينها فقط! "فصاح أرسطو طرباً: "فلتسعد، يا إسكندر، يا حاكم العالم!"، وأضاف قائلاً له: "إنك، يوما ما، ستصبح أكبر ملك!". وبينما كان الإسكندر معروفًا، من الجميع، بأنه عبقرى ومحارب قوى، فإن أباه، الملك فيليب، كانت لديه بعض الشكوك(٣٠).

وعندما بلغ الإسكندر خمسة عشر عامًا من عمره، وتصادف أن مرَّ، يوما ما، أمام القفص الحديدى الذى كان الحصان بوكيفالوس، فيه محبوسًا سمع صهيلاً مخيفًا، فسأل: أى حصان فعل ذلك؟ فأجابه أحد رفاقه، وكان هو بطلميوس (Ptole-maios) – قائد الجيش، "إنه هو الحصان بوكيفالوس، آكل لحوم البشر، الذى حبسه والدك، فى هذا القفص، لهذا السبب". وبمجرد أن اقترب منه الإسكندر هدأ صهيل بوكيفالوس، ووقف على رجليه الأماميتين وأخرج لسانه، وكأنه يعترف بالأمان أمام سيده. ولما رأى الإسكندر، فى القفص، بقايا عظام كل من لقى حتفه داخل هذا السجن الحديدى، قام الإسكندر بإبعاد كل الحرس فى التو واللحظة، وفتح القفص، وأمسك برقبة الحصان، وقفز من الأرض فركب على ظهره، وهمزه فخرج الحصان مسرعًا، والإسكندر عليه دون سرج أو لجام! وجاب طرقات العاصمة بيللا، ولما علم فيليب بذلك، وكان خارج المدينة عاد مسرعًا وقد تذكر النبوءة، وقابل ابنه، وقبَّله، قائلاً له: "فلتسعد، يا إسكندر، يا حاكم العالم". ومنذ تلك اللحظة أصبح الملك فيليب سعيداً سعادة بالغة، بهذه الرؤية المستقبلية لحياة ابنه وقادم أيامه.

وذات يوم، وجد الإسكندر أباه فى حالة استجمام ولحظة راحة، وبعد أن قبَّله، قال له:

"أبتاه، إنى أرجوك أن تسمح لى بالذهاب، إلى بيسا (Pisa)؛ لكى أشترك فى المسابقات الأوليمبية. فقال الملك مجيباً:

الوالد: أية لعبة من الألعاب تعرف أفضل بكثير، وتطلب من أجلها أن تذهب إلى هناك؟

الإسكندر: أريد أن أشارك فى سباق الجرى بالعربات الحربية!

الملك: حسنًا، يا بنى سوف أختار لك، بنفسى، الخيول بين أيد أمينة، ولكنك، اهتم أنت - أولا - بإعداد نفسك بشكل أفضل كلما كان ذلك ممكنًا، وذلك لأن تلك المسابقات هى الأكثر مجدًا وتخليدًا!

الإسكندر: "يا أبتاه، عليك أن تتركنى وحدى، فقط، أن أشارك، وأما بالنسبة لى، فقد قمت بنفسى، فعلاً، بتدريب بعض صغار الخيل (الأمهُر) التى هى جاهزة الآن من أجل السباق.

فقبّله الملك فيليب، وقال له مقدِّرًا حماسه، ما يلى: "ما دمت تريد ذلك، يا بنى، فلتخطُ بخطوات سليمة".

٢- نشاطاته وحيويته

وبمجرد أن أخذ موافقة الوالد، الملك فيليب، على اشتراكه فى التدريبات الخاصة بالمشاركة فى المسابقات الرياضية الأوليمبية[٣١]، ذهب الإسكندر إلى الميناء البحرية، للمملكة، حيث أمر بأن يتم إنزال مركب إلى الماء، من المراكب الجديدة، حتى يتمكن من وضع العربات الحربية وكذلك الخيول، وكان قد صاحبه، فى ذلك، صديقه هيفايستيون (Hephaistion)، وبعد رحلة بحرية هادئة، وصل الجميع إلى بيسا (Pisa).

وبعد أن أنزل الجميع متاعه، من المركب إلى الشاطئ، وتمت استضافتهم من أهل إليس[٣٢] (Elis) الكرماء، أمر الإسكندر مربى الخيول الشباب أن يهتموا بها، بينما خرج هو فى فسحة يتريض فيها بصحبة صديقه هيفايستيون.

وبينما كان الإسكندر وصديقه يتربصان صاعدين ممرًا جبليًا قابلهما ابن الملك أريوس (Areios)، ملك أكارنانيا[٣٣] (Akarnania)، الأمير نيكولاوس (Nikólaos)،

المعروف بثروته وحظه، وهو الذى كان يتفاخر كثيراً ويعتمد على تكوينه الجسدى. عندها اقترب نيكولاوس من الإسكندر ، وحيّاه وقال له:

نيكولاوس: "التحية إليك، أيها المُدلَّل! الصغير!

الإسكندر: "وعليك أنت، أيضا، مهما كنتَ أنتَ، وأينما تكون أنت". أجابه الإسكندر.

نيكولاوس: (مجيبًا على الإسكندر) "إننى أنا نيكولاوس، ملك أهل أكارنانيا".

الإسكندر: "حسنًا، أيها الملك نيكولاوس، **لا تتغير هكذا ولا تتباهى مدعيًا أن لديك سندًا ما قويًا للغد، ذلك لأن الحظ يتبدل ويتغير، بل ويسخر من الطامعين"**.

نيكولاوس: (يرد على الإسكندر ملاحظًا):

"إن هذا الذى تقول فهو حق وصحيح، أما هذا الذى تُفاخر أنت به فليس كذلك، ولأى سبب أتيت إلى هنا؟ فهل أتيت لكى ترى الألعاب، أم أنك أتيت لكى تشارك فيها؟ لقد علمتُ أنك ابن لفيليب، ملك مقدونيا".

الإسكندر: (أجاب عليه قائلاً):

"إنه إذا كنتُ أنا صغيرًا فى السن، فإننى أتيتُ لكى أشارك فى سباق العربات".

نيكولاوس: "كان يجب أن تشارك، أولاً، فى المصارعة، أو فى الملاكمة".

الإسكندر: (فكرر الإسكندر كلامه السابق):

"لقد أتيت من أجل المشاركة فى سباق العربات الحربية".

عندئذ قام نيكولاوس، فى مرارة شديدة ويحقد أشد على الإسكندر، فبصق على وجهه، وقال له: **"إنك لن تحقق أى نجاح، ولن يمر الأمر لك بسلام!"**. ثم أضاف ساخراً:

"انظر، يا للمهانة التى وصلت إليها الألعاب الأوليمبية!" ولكن الإسكندر، الذى كان يملك شيمة عظيمة، وهى ضبط النفس، نظف وجهه من رذاذ البصاق، ليوقف ذلك السلوك الخارج لذاك الغرور (Hybris)، ابتسم بمرارة صوب نيكولاوس، وقال له بتحدٍ قائل: **"إننى سوف أنتصر عليك وأهزمك، وسأرسلك إلى أكارنانيا مقتولاً برمح نافذ فى جسدك"**. وهنا غادر الاثنان المكان، يهدد أحدهما الآخر.

وتفاديًا للدخول فى تفاصيل السباق المحموم بين الإسكندر ونيكولاوس بن ملك أكارنانيا، وآخرين، الذين كانوا (تسعة) إجمالاً، سأرصد فقط بعض الأخبار عنه، فيما يلى:

(أ) جاء ميعاد السباق بعد عدة أيام قلائل من ذلك الشجار.

(ب) وكان عدد المتسابقين فى العربات تسعة: أربعة من أبناء ملوك، وخمسة من أبناء جنرالات الجيش والحكام.

(جـ) بدأ السباق بفتح الأبواب الحاجزة ورفع الحواجز أمام الخيل.

(د) بعد تمام الدوران أربع مرات حول مضمار السباق (stadion) بدأت مظاهر التعب والإرهاق على بعض الخيل.

(هـ) كان الإسكندر، حينها، فى الترتيب الرابع، ومن بعده نيكولاوس الذى كان مهتمًا أكثر بالانتقام من الإسكندر، لأن والده كان قد قُتلَ على يد فيليب فى معركة بينهما.

(و) وبعد الدوران، مرتين أخريين سقط الحصان الأيمن لعربة نيكولاوس وجر معه بقية الخيول، فوقعوا جميعًا على الأرض، ومات السائق وكذلك الخيل، ومعها نيكولاوس نفسه!.

(ز) ظل الإسكندر فى استكمال الدوران، ووصل إلى النهاية، وحده، على رأس السباق.

وفيما يخص نيكولاوس، الذى لقى حتفه، فيمكن أن ينطبق عليه المثل القائل: **"من يتمنى السوء لغيره، سيلقى الشر هو بنفسه[٣٤]"**.

وعاد الإسكندر إلى مقدونيا منتصراً، بعد أن ألبسه كاهن زيوس[٣٥] (Zeus) الإكليل الأوليمبى المقدس "كوتينوس (Kutinos) قائلاً ومهنئًا للإسكندر:

"فلتسعد، لأنك الذى قهرت نيكولاوس، ولسوف تحقق انتصارات كثيرة فى الحروب".

وعند عودة الإسكندر إلى بلده، وجد أمّه وقد طردها أبوه، الملك فيليب، الذى كان على وشك الزواج من الأميرة كليوباترا، أخت ليسياس. وتصادف أن وصل الإسكندر فى اليوم نفسه. وكان لا يزال لابسًا تاج / إكليل النصر الأوليمبى على رأسه، فدخل إلى القاعة الرئيسية؛ حيث كان يُقدم العشاء للضيوف فقال لأبيه:" يا أبتاه، تقبَّل منِّى أول مكافأة لمجهوداتى، إنه إكليل النصر، وعندما أزف أمى أوليمبياس إلى ملك آخر، فإننى سوف أدعوك إلى حفل زواجها.

ولكن ليسياس (Lysias)، الذى كان يجلس إلى جانب الملك فيليب، التفت إليه وقال له:" اليوم، أيها الملك، نتمم حفل زواجك على أختى كليوباترا، والتى منها ستنجب أبناء خُلّص، والذين سيشبهونك تمامًا فى ملامح وجوههم." وبمجرد أن سمع الإسكندر ذلك حتى هاج، ورمى بإناء شراب، كان يمسك به فى اتجاه ليسياس، مما أصابه فى وجهه وقتله! ولما رأى فيليب ذلك نهض من مكانه ثائرًا، وشاهرًا سيفه البتَّار فى يده، فى اتجاه ابنه، ولكنه يتعثر فى درجة سلم للمنصة - التى كان جالسا عليها - ثم يقع على الأرض! وهنا ينفجر الإسكندر فى الضحك، بعد أن رأى أباه على هذه الحال، ثم يشير إليه بإصبعه ويقول: **"إن فيليب يستعجل أن يحتل آسيا كلها، وأن يفك عُرى أوربا ويدمرها، ولكنه لم يفلح فى أن يصعد درجة سلم"**! وقبل أن ينهى كلماته يخطف الخنجر من والده، ويخرج به كل ضيوف الحفل ومدعويه. وهنا حدث هرج ومرج، فالبعض وقع أسفل مناضد العشاء، والبعض الآخر اتخذ من بعض الطاولات ستاراً

يؤمن نفسه، وكان هناك غير هؤلاء وأولئك، من اختبأ فى بعض الأماكن المظلمة، وكانوا يتبعون الإسكندر وكأنه أوديسيوس الجديد، الذى عاد وراح يشتت خُطّاب زوجته بنلوبى[٣٦]، الأميرة الوفية، وخرج الإسكندر من المكان كله.

راح الإسكندر يبحث عن والدته، أوليمبياس، حتى وجدها وذهب بها إلى القصر الملكى، بعد أن أخرج منه عروس أبيه كليوباترا منتقمًا، بذلك من الفرح الذى كان يريده. وفى الوقت نفسه، كان حرّاس الملك فيليب قد حملوه، فى حالة سيئة جدًا، وأراحوه فى سريره، واحتاج الموقف إلى مرور عشرة أيام؛ لكى يذهب الإسكندر ليرى والده وقد جلس إلى جواره وقال له: "أيها الملك فيليب، أتيت إلى هنا، ليس باعتبارى ابنًا لك، ولكن باعتبارى صديقا، حتى نجد حلاً بخصوص الظلم الذى تسببت فيه لضرر زوجتك". فقال فيليب بمرارة: "إنك يا إسكندر، لم تفعل خيرا قط، عندما قتلت ليسياس، لمجرد أنه تكلم باستفزاز".

ورد الإسكندر سريعًا: "بينما أنت فقد فعلت خيرًا، عندما سحبت خنجرك ضد ابنك! وكنت تريد أن تقتلنى، وأن تتزوج بسيدة أخرى فى الوقت الذى ليست لديك أية شكوى من زوجتك، قم الآن من سريرك، وحاول أن تستعيد ذاتك، إنى أعلم جيدًا لماذا أنت فى حالة نفسية سيئة، فى الفترة الأخيرة، ولسوف ننسى كل الأخطاء الماضية، كما سأرجو من الملكة أوليمبياس، أن تتصالح معك. إن والدتى سوف تسمع لى، أنا ابنها، حتى ولو كنت أنت لا تريد أن تكون والدًا لى".

وبمجرد أن قال الإسكندر ذلك، حتى ترك القصر ذاهبًا إلى أمه، وقال لها: "أماه أرجو ألا تُعانين أكثر مما فعله زوجك، لأنه لا يعلم شيئًا عن خيانتك[٣٧] الزوجية له، ولكننى أنا سأظل، دائما موضع خجلك وعارك، ما دام أبى كان هو العراف المصرى، فلتقومى الآن، واطلبى منه العفو والصفح. إن الزوجة يجب أن تخضع لزوجها".

وفعلاً يقود الإسكندر أمه الملكة أوليمبياس إلى مكان أبيه فيليب ويقول له: "يا أبتاه، يجب أن تعود إلى زوجتك، كما أنى سأناديك أبى، لأنك - الآن فيما أعتقد -

قد اقتنعت بأننى ابن أصيل لك. إننى رجوت والدتى كثيراً أن تأتى إلى هنا، تنسى كل ما حدث من قبل، ولذلك أرجو أن يحتضن أحدكما الآخر، وألا تشعرا بالإثم بسببى، ما دمتما قد أنجبتمانى". وبهذه الكلمات استطاع الإسكندر أن يصالح والديه، وأن يكسب بهذا التصرف إعجاب كل المقدونيين. ومنذ تلك اللحظة، فإن الوالدين كانا يتفاديان حتى مجرد ذكر اسم ليسياس.

وبعد موقف الإسكندر الرزين والعاقل، رغم صغر سنه مع أهل ميثونى (Methóne) الذين هبوا ثائرين ضد سلطة فيليب وحكمه لهم، وكان الملك قد أرسل الإسكندر على رأس جيش كبير لإخماد تلك الثورة، فخاطبهم بلين وعقلانية حتى استمعوا إليه وصدّقوه وأرضاهم بسياسة وحنكة.

ولما عاد الإسكندر من ميثونى، وجد والده الملك محاصرا بمجموعة من الرجال يلبسون ملابس أجنبية فسأل: "من هؤلاء؟" فرد فيليب قائلاً: "إنهم ولاة الملك داريوس الفارسى". فسأله الإسكندر، ثانية: "ولماذا أتيتم إلى هنا؟". موجهًا حديثه إلى أولئك الأجانب، الذين أجابوا عليه قائلين: "حتى نطلب الضرائب المعتادة من والدك". فرد عليهم الإسكندر بقوله: " إنه ما دامت الآلهة قد وهبت، مجانًا، كل الخيرات لبنى البشر، فإن داريوس، بمطالبه هذه منّا يكون قد استولى على منحة الآلهة"، ثم قال لهم، بعد ذلك فى حوار فيه خبث والتواء، ما يلى: " وكم تقدر كمية هذه الجزية (أو الضرائب)؟".

ولاة دارا: "تصل إلى مائة بيضة[٣٨] من ذهب، ووزن كل بيضة منها عشرون لترا".

الإسكندر: "فلتسمعوا منى..." بصوت جهورى وحاد، ثم أكمل بقوله: **"ليس ممكنا أن يكون فيليب، ملك المقدونيين، قد دفع ضرائب أو جزية لأجانب، وأن من يدّعى أنه يستطيع أن يجعل اليونانيين عبيدًا، يجب أن يعلم أنه لن يخضعهم[٣٩] أو يذلهم أبدًا.** ثم أكمل حديثه قائلاً، بلهجة آمرة: **"اذهبوا، وقولوا لداريوس إن الإسكندر، بن فيليب، يخطركم بأنكم**

أخذتم الجزية من فيليب قبل أن أولد أنا نفسى. ولكننى ابن فيليب لن أدفع لكم مرة أخرى، وبقدر ما دفع لكم حتى الآن والدى، فإننى، أنا بنفسى، سأحاول أستردها منكم". بهذه الكلمات طرد الإسكندر المبعوثين الفرس، آملاً أن يكون، بذلك قد أرسل مجرد رسالة إلى داريوس، وبذلك أيضا سعد فيليب وفرح بابنه، وأصبح متأكداً من الجرأة الكبرى نهاية ملك:" وكان، فى تسالونيكى[٤٠] (Thessalonike) رجل ثرى جداً وذو مكانة عظيمة يدعى باوسانياس (Pausanias)، وكذلك كان أقوى من أى إنسان آخر. وكان باوسانياس قد أحب الملكة أوليمبياس، وأرسل إليها بعض أصدقائه؛ ليعلنوها بذلك ويحاولوا أن يقنعوها لتترك فيليب، حتى يتزوجها هو، بينما كان يرسل إليها فى الوقت نفسه، بهدايا وأموال كثيرة، لكن الملكة لم تتعاطف معه وتسايره، فجاء باوسانياس بنفسه إلى حيث كان فيليب موجودا بعد أن تأكد، بالطبع أن الإسكندر كان غائبًا فى حرب ما[٤١].

وبينما كان باوسانياس، حينئذ حاضراً ومشاركا فى مسابقة مسرحية، داخل المسرح الأوليمبى وتحت رعاية الملك فيليب دخل فجأة إلى المسرح حاملاً سيفه فى يده ويصحبته عدد كبير من الرجال المسلحين بهدف أن يقتلوا فيليب، ويخطفوا الملكة أوليمبياس، وعند دخوله إلى المكان رأى فيليب فهاجمه وطعنه بالسيف فى جنبه ولكن لم يقتله، وعندئذ ساد فى المسرح اضطراب شديد، وأسرع باوسانياس فى ذاك الوقت إلى القصر لكى يخطف أوليمبياس.

ولكنه تصادف فى اليوم نفسه، أن عاد الإسكندر من حربه منتصرا، ولما رأى تلك الاضطرابات فى المدينة العاصمة سأل عما يجرى فقال له: إن السبب هو وجود باوسانياس فى القصر الملكى، قاصداً أن يخطف أوليمبياس فجرى مسرعًا إلى هناك ومن خلفه رفاقه وأتباعه، وعند وصوله إلى القصر رأى باوسانياس وقد خطف بالقوة

الملكة التى تصرخ يائسة، عندها فكر الإسكندر فى أن يقتله فى الحال، ولكنه خشى من أن يصيب كذلك أمه، التى كان باوسانياس يمسك بها أمامه متخذًا منها درعًا ليحمى نفسه بها، استطاع الإسكندر أن يجذب باوسانياس من أوليمبياس، ويصيبه بجرح من سيفه، ولما علم أن فيليب كان لا يزال حيًا ذهب إليه وجلس بجانبه قائلاً: "يا أبتاه ماذا تريد أن أفعل مع باوسانياس؟ فأجابه فيليب" أحضره إلىّ هنا". وعندها أتى الإسكندر بسكين ووضعه فى يد فيليب ثم جر باوسانياس إلى حيث يجلس أبوه، وأمسك بالجانى أمام فيليب الذى أعمل السكين فى رقبة باوسانياس وذبحه.

وبعد ذلك وجه حديثه للإسكندر قائلاً: **"يا بنى إننى لن أندم إذا مُت، لأننى سأكون قد انتقمت لنفسى، وقتلتُ أنا بنفسى قاتلى. لقد كان آمون، محقا إذن،** حينما قال إن والدتك ستلد ولدًا سينتقم بنفسه، لموت والده!". وبهذه الكلمات لفظ فيليب أنفاسه فى حضور كل المقدونيين.

٣ – بداية حكم الإسكندر

وبمجرد أن استقرت الأوضاع وساد النظام فى العاصمة، بيللا، وقف الإسكندر أمام التمثال الضخم[٤٢] لوالده، وقال بصوت قوى: **"يا شباب بيللا، أيها المقدونيون واليونانيون، الذين تشاركون فى حلف أمفيكتيونى، ولا كيدايمون، وكورينثوس، كذلك أهل أثينا وطيبة، وكل الآخرين الباقين، يجب عليكم أن تتماسكوا. وتتحدوا وتتبعونى أنا، وكذلك جيوشكم وتعالوا نكوّن لنا معًا، حملة عسكرية ضد البرابرة، وأن نحرر أنفسنا من عبودية الفرس، ذلك لأنه ليس ممكنا أن نكون نحن اليونانيين[٤٣] عبيدا للبرابرة.**

وعندما انتهى الإسكندر من حديثة السابق، أصدر قرارات ملكية وثبتها فى كل أنحاء المدينة[٤٤]، وكان كل اليونانيين (من تلقاء أنفسهم، وكأنهم قد استمعوا إلى نداء إلهى) قد بدأوا فى التجمع معًا فى مقدونيا! ثم قام الإسكندر بفتح مخازن الأسلحة

الملكية، التابعة لوالده ووزع تسليحًا كاملاً للشباب، وبعد أن انتهى من ذلك، نادى الإسكندر في المدينة كلها فجمع كل الجنود، كبار السن الذى كانوا يخدمون فى جيوش والده فيليب وقال لهم: "يا قدامى المحاربين، وجنودنا الشجعان، فلتشرفونا وتزينوا الجيش المقدونى بحضوركم معنا، وأن تسيروا معنا فى حملتنا العسكرية على الفرس". فأجابه ممثل قدامى المحاربين قائلاً: "أيها الملك الإسكندر لقد بلغنا من العمر عتيًا بعد أن حاربنا إلى جانب والدك فيليب، وأصبحت أجسادنا غير مؤهلة للحرب، ولذا فإنه لهذا السبب لا يمكننا أن نشاركك حملتك العسكرية الخارجية". وردّ عليهم الإسكندر بقوله: "أنا، بنفسى سأذهب إلى الحرب معكم حتى ولو كنتم كبار السن[٤٥]". "وراح الإسكندر يجادلهم جدلاً منطقيًا، وشرح لهم مميزات الشيخوخة والسن الكبيرة. فى التعقل والروية، على عكس الشباب، الذين يعتمدون على قوة الجسد التى يمكن أن تغرى صاحبها، وتوصله إلى التهلكة وتسلمه إلى مخاطر غير منظورة أو متوقعة. ثم أكد أن العنصرين - الشباب والكبار - سيساعدان فى رفع الروح المعنوية والقتالية للجيش[٤٦].

وبعد أن بلغ الإسكندر من العمر ثمانية عشر عامًا ورث عندئذ مملكة أبيه، وكان أنتيباتروس (Antipatros) قد استطاع إخماد الاضطراب الذى وقع عقب مقتل فيليب، وكان ذاك القائد واحدًا من أقدر جنرالات الجيش المقدونى وأكثرهم التزامًا وهدوءًا، وكان هو الذى أسرع فى التو واللحظة بأن وَجَّه الإسكندر بكامل تسليحه العسكرى، إلى مسرح المدينة، وراح يتكلم مع الجماهير ولوقت طويل حتى يقتنع المقدونيون بالإسكندر، وأن يطلب منهم مؤازرته.

ولكن الإسكندر قد أظهر أنه كان أقدر وأكفأ من والده؛ لأنه كان أقوى من الجميع[٤٧]، وكان لا يتردد فى أن يعلن عن اعتراضه لأى موضوع مهم، وكانت خطواته التالية السريعة كما يلى:

(أ) قام بتجميع كل الجيش المقدونى السابق، الذى كان لوالده.

(ب) وقام بترتيب كل القوات وإحصائهم، فوجدها:

(*) ٢٥,٠٠٠ ألفًا من المشاه.

(*)٨,٠٠٠ (ثمانية آلاف) من الفرسان (من المقدونيين).

(*)٣٠,٠٠٠ (ثلاثون ألفا) من فرسان الحلف الأمفيكتيونى، أى من إسبرطة (Sparte)، وكورينثوس (Korinthos)، ومن المدن الأخرى.

(*)٦٥٠٠ (ستة آلاف وخمسمائة) من الرماه بالقوس، أى (ToxÓtai) كانوا فى جيش والده.

وعندما تم جمع كل الوحدات العسكرية وجدها، تقريبًا (٧٠) سبعين ألفًا، ووجهها كلها فى حرب ضد أهل الليريا (ILLyria)، وبابونيا (Paionia) وتريباللى (Triballoi)، أولئك الذين كانوا قد شقوا عصا الطاعة عن المملكة المقدونية، ولكنه بمجرد أن خاض الإسكندر هذه الحرب، ثارت كل المدن الباقية فى اليونان.

وما إن انتشرت شائعة بأن الإسكندر قد قُتل فى تلك الحرب حتى قيل بأن الخطيب ديموستينيس[٤٨] (Demosthenes) أحضر إلى اجتماع الجمعية الشعبية أحد المصابين، الذى أخبرهم بأن أحد المواطنين الأثينيين قد رأى الإسكندر مقتولاً. وبمجرد أن علم أهل طيبة (Thebai) ذلك، قاموا بذبح الحرس الذى كان الملك فيليب قد تركه فى إقليم كادميا (Kadmeia) وذلك منذ معركة خايرونيا (Chaironeia)[٤٩].

ويقال - فى هذا الصدد - إن ديموستينيس كان هو الذى حرّك أولئك الناس من أهل طيبة، مما أوغر صدر الإسكندر، وجعله يعود بسرعة، ويحاصر طيبة وبعدها ظهرت فعلاً فى المدينة علامات وقوع الكارثة كالتالى:

(أ) قيام عنكبوت كبير بتغطية معبد ديميترا (Demetra) بخيوطه[٥٠].

(ب) تحول مياه نهر ديركى (Dirke) إلى اللون الأحمر كالدم، وكان الإسكندر قد احتل المدينة واستولى عليها كلها وأضرم فيها النيران فيما عدا فقط منزل الشاعر بنداروس (Pindaros).

وكان يقال أيضا إن الإسكندر أرغم عازفًا للناى أن يعزف على آلته، بينما كان هو يدمر المدينة[٥١]، عندها خاف اليونانيون وأعلنوه زعيمًا لليونان، وسلّموه السلطة عليهم.

٤ - إعداد الحملة العسكرية على الشرق

وعندما عاد الإسكندر إلى مقدونيا، أخذ يجهز الحملة على آسيا[٥٢]. وبمجرد الانتهاء من بناء سفن صغيرة (Libernoi) وأخرى كبيرة[٥٣] (Triereis)، فضلاً عن السفن الحربية، فإنه أمر بإنزالها إلى الماء، وأن يركب فيها كل الجيش مع أسلحته، ويتم تحميل كل الأدوات والمعدات المساعدة للقتال، وكان الإسكندر قد أخذ معه (٥٠,٠٠٠) خمسين ألفا من التالنت (Talanta) الذهبية وأبحر الأسطول بفضل هبوب رياح جنوبية مواتية، حتى وصل شمالاً، إلى ثراكى (Thrake)، حيث انضم إليه خمسة آلاف من الجنود المتميزين، وكذلك خمسمائة تالنت من الذهب، وكانت كل المدن تستقبل الإسكندر بمظاهر التكريم والاحتفاء، توجه الأسطول جنوبا صوب مضيق الهيلليسبونت (Hellespont) وعندما وصل إلى الشاطئ الآخر، قفز الإسكندر من سفينته متخطيا بذلك من أوربا إلى آسيا، ولذا فقد غرس رمحًا فى أرض الشاطئ، وقال واثقا إنه قد تملك، بذلك آسيا بسن الرمح[٥٤].

ومن هنا، انتقل الإسكندر بجيشه إلى واد فى جرانيكوس (GranikÓs)، حيث كان هو المعبر إلى داخل آسيا الصغرى[٥٥] (Mikrá Asia)، وكان تحت سلطة وإدارة جنرالات الملك الفارسى داريوس (Dáreios).

وبعد معركة انتصر فيها الإسكندر بشجاعة كبيرة تسيّد وهيمن على الإقليم، ومن غنائمه فى تلك المعركة أرسل هدايا إلى الربة أثينة (Athénâ) وإلى أمه الملكة أوليمبياس وقرر استمرار الحملة وإخضاع المدن الساحلية أولا. وهكذا استولى على إيونيا (Ionia) ومن بعدها كاريا (Karia) وليديا (Lydia)، وفريجيا (Phrygia)، وليكيا (Lykia)، ثم بامفيليا (Pamphylia)، حيث حدث فيها شىء غريب كالتالى: تقدم الإسكندر بجيشه دون الأسطول، لأن البحر كان قد انفلق إلى شطرين، وصار هناك ممر برى لكى يعبر الإسكندر وقواته من المشاه[٥٦].

ومن هناك، انحرف الإسكندر بقواته إلى أسبندوس (Aspendos)، حيث التقى بأسطول، وأبحر حتى وصل إلى صقلية (Sikelia)، وفيها أخضع بعض الخارجين على سلطانه، ومنها عبر إلى الجهة المقابلة، وصولاً إلى الأراضى الإيطالية (Italia). وفى الحال، أرسل له الرومان، مع قائدهم ماركوس[٥٧] إكليلاً من أزهار المارجاريتا، وكذلك بعض الأحجار الكريمة، قائلين له: "**إنا نتوجك أيها الإسكندر، ملكًا للرومان، ولكل أراضى العالم**". وأعطوه، أيضا، خمسمائة (٥٠٠) جنيه[٥٨] (Litra) من الذهب. قبل الإسكندر هذا التكريم ووعد بأن يجعل منهم قوة عظمى، وكان قد تسلم الرومان ألفين (٢٠٠٠) من رماة القوس، ومعهم أربعمائة (٤٠٠) تالنت.

ومن إيطاليا[٥٩] عبر الإسكندر إلى إفريقيا قاطعًا البحر الذى بينهما، وهناك قابله، على وجه السرعة، قادة الأفارقة، وركعوا أمامه ضارعين له بألا يهاجم مدينتهم قرطاجة[٦٠]. ولما كان الإسكندر مدركًا لنقطة ضعفهم، إزاء وطنهم، قال لهم: "**إما أن تكونوا أقوى من ذلك، وإما أن تدفعونا ضرائب وجزية لمن هم أقوى منكم**". وبالطبع فقد أخذ منهم الجزية.

٥ - الإسكندر فى مصر

وغادر الإسكندر قرطاجة وعبر كل ليبيا حتى وصل إلى مصر (وكان عبادة آمون) وكان معظم جيشه أو كله تقريبا قد ركب سفن أسطوله، آمرًا إياهم أن ينتظروه فى جزيرة بروتيدا (Proteida)[٦١]. أما الإسكندر نفسه، فقد تحرك فى اتجاه معبد الوحى للإله آمون[٦٢]، حتى يقدم له القرابين، وذلك بدافع من ذاكرته أنه كان قد ولد من صلبه، أى من الإله آمون. ولما كان فى حضرة الإله يدعو له، ويصلى من أجله أمام مذبحه، قال: **"يا أبتاه أعطنى علامة بأن ما قالته أمى لى هو حقيقة، أى بأننى ولدت من صُلبِك، وأنا ابنك."** فأرسل له الإله علامة، ويرى الإسكندر طيفا يشاهد فيه أمه تنام مع آمون الذى يقول له: "يا بنى، يا إسكندر إنك ولدت من صلبى!". ولذا فإن الإسكندر، من بعد ذلك الوحى والنبوءة قام بترميم المحراب، كما أمر بتذهيب تمثال الإله الخشبى، وأهدى له النقش التالى: [٦٣] "Patri Theo Ammoni Alexandros" بمعنى: **"من الإسكندر إلى أبيه الإله آمون"**.

ثم رأى الإسكندر الإله آمون، بفروته الذهبية، وقرون الكبش، وهو الذى أمره بأن يبنى مدينة، باسمه ليخلد ذكراه عبر القرون، وذلك أمام جزيرة بروتيدا.

وعندما ركن الإسكندر إلى الراحة والاستجمام، هو وقواته، وبينما كان يتمشى، فجأة ظهرت أمامه - عن بعد غزالة ضخمة، كانت قد اختبأت داخل فجوة فنادى الإسكندر على رامى القوس وأمره بأن يصيدها، فحاول الرامى ذلك، ولكنه فشل. عندئذ قال له: **"إنك يا عزيزى لم تشد قوسك تمامًا، فكان ضعيفًا**، أى "parátonon". ومنذ ذلك الوقت، سُمى المكان هذا باسم باراتونيون[٦٤] (Paratonion)، وأنشأ الإسكندر فى هذا الموقع مدينة صغيرة بهذا الاسم، ودعا بعض الرجال، ذوى الجاه، من سكان المنطقة المحليين، ليقيموا فيها.

وغادر الإسكندر المكان، فى اتجاه الشرق، حتى وصل لها براً، إلى تافوسيريس (Taphosiris)[٦٥] وسأل سكان المنطقة، المختصين بعبادة الإله المحلى، حول سبب تسميه المكان بهذا الاسم، فأجابوه قائلين: **"إنه بسبب وجود القبر المقدس" أوزيريس** (Osiris). عندئذ تقدم الإسكندر وقدّم القرابين فى معبد الإله، تحيط به اثنتا عشرة حاضرة (Kómopóleis)! وأمر الإسكندر بقياس المساحة، طولها وعرضها، وعليها أصدر، أمراً أيضا ببناء مدينة، هى التى تُسمى، حتى اليوم،" مكان السكندريين" (Tópos ton Alexandréón).

ولكن المهندسين كليومينيس (Kleoménes)، النقراطيسي ودينوكراتيس (Deinokrátes) الرودى[٦٦] نصحا الإسكندر بألا يبنى مدينة كبيرة بهذا الحجم، خشية ألا تُسكن كلها، ولكنه حتى ولو تمت السُكنى فيها، فإنه سيكون من الصعب نظراً لكثرة التجار أن يزودها بكل الخدمات اللازمة لسكانها الكثيرين، وإن غياب الإحساس[٦٧] بالمسئولية بسبب الحجم الهائل، وغير المحدود لأية مدينة كبيرة يجعل السكان يقاتل بعضهم بعضًا، ولكنه - على العكس فإن المدن الصغيرة، تصبح أسهل بكثير فى إدارتها طبقا لمصالح الناس[٦٨]، ولذا فقد قال المهندسان للإسكندر محذرين إياه من تأسيس مدينة ضخمة، ما يلى: **"إنك، إذن، لو أنشأت مدينة كبيرة بمثل هذا الحجم، كما خططناها، فيجب عليك أن تعلم أن سكانها سينقسمون على أنفسهم ويستدرجون إلى اضطرابات أهلية فيما بينهم، لأنهم سيكونون، بالضرورة لا عدد لهم ولا يمكن إحصاؤهم"**: عندها اقتنع الإسكندر بكلامهما وتركهما لبناء المدينة كما شاءا.

كما استشار الإسكندر أيضًا، مهندسين آخرين ومن بينهم هيرون[٦٩] (Heron)، السكندرى، مهندس الرى، وكذلك كايومينيس النقراطيسى[٧٠] المهندس الميكانيكى، وكراتيروس من أولينثوس[٧١] (OLY)، وكان هيرون له أخ يُدعى هيبونوموس (Hypono-mos) - وهو الذى أشار على الإسكندر، عند تأسيس المدينة منذ البداية أن يحرص

على أن يبنى لها خطوط مياه، وصرف صحى أسفلها - تحت أرضها - وأن تنتهى هذه المواسير، للصرف، إلى البحر(٧٢).

وكان الإسكندر قد أمر أن يتم تحديد أطراف المدينة ومحيطها حتى يتمكن من مشاهدة حدودها، فقام المهندسون بذلك مستخدمين دقيق القمح. ولكن الطيور، من كل نوع، والتى كانت تطير فوق ذاك الموقف، كانت تهبط فيه وتأكل الدقيق، وتطير من جديد! ولذلك فقد كان الإسكندر يتساءل عما كان هذا الشيء يعنيه، وما تفسيره، عندها دعى قارئى الطوالع وحكى لهم الموقف، فأجابوه أولئك بالآتى: "أيها الملك، إن المدينة التى بنيتها ستطعم كل العالم المأهول، وإن كل من يسكن فيها، سيخرج منها وينتشر فى أركان الدنيا، وذلك لأن الطيور تطير إلى كل أرجاء المعمورة".

ولكل ذلك أعطى الإسكندر أمرًا بأن تبدأ عملية بناء المدينة، وبعد أن تم تحديد أطرافها وبنيت أساساتها، فى كثير من أجزائها حفر الإسكندر نقشًا على حجر(٧٣). من خمسة حروف هى: A,B,T,Δ ,E, وهى التى تعنى ما يلى:

١ - الإسكندر:	1- A - Aléxandros
٢ - الملك:	2- B - Basíleus =
٣ - سليل:	3- Γ = GÓnos =
٤ - زيوس:	4- Δ = Díos =
٥ - (بنى) مدينة خالدة:	5- E = Ektise =

وأثناء عملية البناء اشتركت أعداد كبيرة جدًا من الثيران والحمير والبغال، ولكنه عند بناء بوابة المعبد، وقعت فجأة لوحة جنائزية ضخمة جدًا، وقديمة، وكانت مليئة بكتابات وحروف، ومنها خرجت ثعابين كثيرة.

وقد رآها الناس وهى تزحف فى الطرقات والشوارع، وكانت البيوت قد تم تأسيسها.

وكان الإسكندر، بنفسه، قد احتفل بوضع حجر الأساس للمدينة والمعبد فى الأول من يناير، وكان لا يزال موجوداً وقتها(٧٤).

وفوق التلال(٧٥) المرتفعة، قابل الإسكندر معبداً(٧٦)، حيث رأى فى داخله أعمدة، وكان لتكريم إله الشمس وتقديسه. ولكن الإسكندر كان يبحث عن معبد الإله سيرابيس(٧٧) (Serapis)، وذلك لأنه تذكر نبوءة، جاء فيها ما يلى:

"أيها الملك، إنى أنا الذى أكلمك، الإله فُويبُوس (Phoibos)، إذا كنت تريد أن تظل شاباً، للأبد، رغم مرور القرون، فلتبن مدينة، تكون مشهورة، أمام جزيرة بروتيدا، والتى يكون سيدها، الملك بلوتون (Plouton) ومن فوق تلالها الخمسة، يفاخر بها العالم اللا نهائى".

ولما كان الإسكندر إذن يبحث عن ذلك الإله الذى استجاب للجميع، فإنه أقام فى مواجهة قدس الأقداس (فى المعبد السابق الذكر) مذبحاً فخماً، وهو الذى **يسمى حتى اليوم "مذبح الإسكندر.** هناك حدد وقدم عدة قرابين، ثم أعقب ذلك بصلاة وأدعية، كما يلى:

"أيها الإله، أيا مَنْ كنت أنت، الذى تهتم بكل هذه الأرض، وكل العالم اللا محدود هو تحت بصرك ورعايتك فلتقبل قربانى، ولتساعدنى فى حروبى".

وبمجرد أن انتهى الإسكندر من صلواته، فجأة هبط نسر ضخم وخطف أحشاء الحيوان الذى كان قد قدمه هو قرباناً للإله، ثم طار بعيداً، ثم تركها على مذبح آخر، قريب نوعاً ما من المذبح الأول. كان الإسكندر يتابع طيران النسر، وأسرع فى الحال إلى حيث حطّ، فوجد مذبحا آخر،، كان السكان القدامى قد أقاموه، كما وجد معبداً،

وفى داخله حجرة النبوءة وكذا تمثالاً خشبياً[٧٨] (Xóanon) لإله ماسك فى يمينه حيواناً بملامح كثيرة وغريبة، ماسك فى يمينه صولجاناً جنائزياً، بينما كان يمسك فى يسراه، بصولوجان الحكم.

وكان هناك تمثال ضخم لامرأة إلى جانب تمثال الإله. ولما سأل الإسكندر أهالى المنطقة عن هوية ذاك الإله، فأجابوه بأنهم لا يعرفون. ولكن بناءً على تراث الأجداد، فإنه هو محراب مقدس للإله زيوس وهيرا. وكذلك رأى الإسكندر بأن هناك مسلات (Obeliskoi)، وهى موجودة، حتى اليوم[٧٩]، فى معبد الإله سيرابيس.

وكان هناك، أيضًا نقش هيروغليفى، خارج حرم المعبد وهاكم نصه: "**هذه المدينة سيأتيها الشيب بهدوء وتدريجيًا، ولسوف تتفوق على المدن الأخرى فى عدد سكانها، ومناخها. إننى أود أن أكون حاميًا لهذه المدينة حتى لا تصيبها المصائب، أو الزلازل أو الأوبئة، للأبد، بل تجتازها بسرعة كالحلم. إن ملوكًا سيأتون فى اتجاهها، ولكن ليس لكى يحتلوها ويحاصروها بل لكى يحجوا إليها ويتبركوا. أما أنت، فإنك ستصبح، أولاً موئلها، وسيحج الناس إليك ويتضرعون، عند موتك، كما ستستقبل هدايا كثيرة فى حياتك، وكذا بعد موتك. إن هذه المدينة، التى تشيدها، ستصبح قبرك!** فحاول، بسرعة أيها الإسكندر، أن تدرك مَنْ أنا. خُذ، أيضًا، مائتين وواحد حصاة، من أرضها، وأضف إليها مائة وواحداً، فضلاً عن أربع مرات للعشرين (أى/ ٤ × ٢٠ = حصاة)، ثم أربع مرات للعشرة (أى ٤ × ١٠ حصاة)، وخذ أول حرف، من هذا النقش، وضعه فى آخره، وعندئذ ستدرك أى إله أكون أنا.

وبعدها، تذكر الإسكندر الوحى السابق، وأنه كان هو الإله سارابيس[٨٠]. (Sara-pis) – وتم استكمال مشروع بناء المدينة التى أصبحت، يومًا، أقوى مما كانت عليه فى البداية.

وكان الإسكندر مستعجلاً أن يسير صوب مصر، وجمع قواته، وبمجرد أن وصل إلى مدينة منف (Memphis) أجلسه المصريون على عرش البلاد،

ملكا مصريا(٨١)، وذلك فى المكان نفسه للإله هيفايستوس (Hephaistos). وفى منف شاهد الإسكندر تمثالاً ضخمًا، من الحجر الأسود(٨٢). محفورًا على قاعدته النقش التالى: **"إن الملك الهارب، قد عاد من جديد إلى مصر، ولكنه ليس عجوزًا، بل كله شباب وحيوية، ولسوف يُخضع أعداءنا الفرس".**

ولقد طلب الإسكندر أن يعلم لمن كان هذا التمثال الضخم من الرجال، فأخبره الكهنوت المصرى قائلين: **"إنه يخص آخر ملك لمصر نيكتانيبو، وهو الذى رأى، (بقدرته السحرية التى يمتلكها، عندما غزا الفرس مصر لاحتلالها). إن الآلهة المصرية كانت تقود الجيش الغازى الفارسى(*)، وأن مصر سيتم استعبادها. ولما أدرك، إذن، أن خيانة(٨٣) الآلهة آتية لا محالة، اضطر نيكتانيبو للفرار. وعندما بحثنا عنه، وكنا نسأل الآلهة إلى أين ذهب الملك، نيكتانيبو، فكان ردهم علينا، بأن الملك الهارب، تارة أخرى، سيعود إلى مصر، ولكنه سيكون شابًا وليس عجوزًا، وسيهزم الفرس هزيمة ثقيلة"**. وما إن سمع الإسكندر هذا الحديث هجم على التمثال وحضنه وقال: **"إنه هو أبى! وابنه هو أنا نفسى! كما أن النبوءة التى قيلت لكم كانت حقيقية! وإن كنت لا أزال فى حيرة من أنكم قد استعبدكم البرابرة، بينما تملكون مثل تلك الأسوار، المنيعة، وأرض خصبة، ونهر هو هدية من الطبيعة، وتحت عناية الآلهة وعدالتها".**

وبعد ذلك كله، طلب الإسكندر من الكهنة المصريين أن يدفعوا له هو الضرائب، التى كانوا يدفعونها للملك الفارسى دارا، وذلك فى ضوء التبرير التالى: **"أعطونى الجزية، ليس لكى أضعها فى خزانتى ولكن لكى أنفقها على بناء الإسكندرية، مدينتكم، والتى هى المدينة - الأم: ميتروبوليس (Metrópolis) لكل العالم المعمور"**. ولما سمع

(*) موقف غاية فى الغرابة من الآلهة المصرية، على لسان الكهنوت المصرى، ويبدو أن هذا الخبر هو مجرد خدعة أو حيلة للحبكة الروائية عند المؤلف المجهول الهوية.

المصريون هذا الكلام أعطوه، برضا تام، أموالاً كثيرة، وقاموا بتكريمه، ولكن بخوف منه، ثم قادوه إلى طريق بيلوزيوم(٨٤).

٦ - الإسكندر فى سوريا

وبعد أن التقى الإسكندر بقواته سار فى اتجاه سوريا (Syria)، ومنها جند ألفين من الرجال المسلحين تسليحًا كاملاً، واتجه، بعدها، إلى صور (tyros). وقد قام أهل صور بمقاومة الغزو، ولم يتركوا الإسكندر يمر من وسط المدينة، وذلك لأنهم فى الزمن القديم، كانوا قد تلقوا نبوءة كانت كالتالى: "**يا أهل صور عندما يأتيكم ملك، ويمر وسط مدينتكم، فإن مدينتكم سيتم تسويتها بالأرض!**". ولهذا السبب كان رد فعل سكان صور، حيث لم يتركوا الإسكندر أن يدخل إلى وسط مدينتهم، وكانوا قد أقاموا الأسوار العالية حول مدينتهم، ودافعوا عنها، ووقعت، بين الطرفين معركة شرسة، وقتل أهل صور عددًا كبيرًا من المقدونيين.

وبعد هزيمة الإسكندر، المؤقتة، أمام أهل صور، تحول القائد المقدونى واستولى على غزة (Gaza)، فى الوقت الذى كانت صور لا تزال تشغل باله، ولذا فقد رأى فى منامه شخصًا يقول له: "يا إسكندر، لا تفكر أن تذهب إلى صور مبعوثًا من تلقاء نفسك أنت. وبمجرد أن استيقظ، أرسل الإسكندر إلى صور، سفراء له برسائل منه كانت تقول: "**إننى أنا الملك الإسكندر بن آمون، والملك فيليب أعظم الملوك لكل من أوربا (Europe) وآسيا (Asia)، ومصر (Aigyptos)، وأفريقيا (Afriké)، يقول لأهل صور الذين فقدوا، بالفعل، حريتهم واستقلالهم: إنه بمرورى فى أقاليم سوريا كان لدىّ أن أدخل إلى مدينتكم بسلام، ووفق الأعراف. ولكنه، إذا قُدِّر أن تكونوا أنتم أول من يقف أمامى، مدافعًا، ويعوق تقدمى، ودخولنا إليكم فإننا نحن سنحاول تارة أخرى، أن نكمل حملتنا عليكم، وستكون آلامكم درسًا للآخرين، وفرصة لهم أن يتعلموا كيف أنه من الصعوبة**

بمكان أن تقاوموا المقدونيين بغبائكم. وهكذا، فإن الوحى الذى أعطى لكم سيتحقق، ولسوف أمر خلال مدينتكم، ولسوف أسويها بالأرض. أدعو لكم بالصحة، مع التعقل، وإلا ستعيشون فى بؤس"!.

وعندما قرأ حكام صور خطاب الإسكندر أمروا فورًا أن تُجلد رسله إليهم، سائلين إياهم: **"من منكم الإسكندر؟"**. ولما كانت إجابة الرسل بأنه ليس من بينهم من هو الإسكندر، قام أهل صور بصلبهم. وكان الإسكندر حينئذ، يبحث عن طرائق وأساليب ليدخل بها إلى صور ويحتلها، وكان متأكدًا من أن أهل صور كانوا يحملون فى داخل أنفسهم هزيمة غير محسوبة أو متوقعة، ولذلك فقد رأى فى منامه[٨٥] واحدًا من حوارى الإله ديونيسوس (Dionysos)، المسمى ساتيروس (Satyros)، يقدم له جبنة من ألبان الأغنام، ولكن الإسكندر يدوسها بأقدامه، ولما استيقظ الإسكندر من نومه وروى حلمه على أحد مفسرى الأحلام أخبره بما يلى: **"إنك ستحكم صور، وسيكون كل أهلها رعايا لك، لأن ساتيروس قد أعطاك إياها، وأنت قد وطأتها بأقدامك"**.

وبعد ثلاثة أيام استطاع الإسكندر أن يضم وحداته العسكرية مع وحدات ثلاث حواضر، كانت هى الأقرب إلى صور، وقد تحالفت معه برضاها، ثم فتحوا معًا بالليل بوابات صور وقتلوا كل الحراس. وهكذا تمكن الإسكندر من اختراق كل مدينة صور وأن يسويها بالأرض! من هذا الحادث ظلت عبارة: "مآسى صور" تستخدم حتى يومنا هذا، ثم قام الإسكندر بضم المدن الثلاث المتحالفة معه فى مدينة واحدة كبيرة سمَّاها "تريبوليس" (Tripols)[٨٦].

وبعد أن استقرت الأحوال للإسكندر فى صور، عيَّن عليها الحاكم العام لفينيقيا (Phoinike)، وغادر المكان، وسار فى اتجاه سوريا، ولكنه قابل، فى طريقه إليها رسل الملك داريوس، الذى حملوا إليه رسائل ملكية، وعددًا من السياط، وكرة وصندوقًا مليئًا بالذهب، وما إن تسلم الإسكندر رسالة داريوس، فضها وقرأ ما فيها، وكان كالتالى: **"أنا ملك الملوك، قريب الآلهة، والمتحد مع الشمس، أنا، بنفسى، الإله داريوس إننى آمر**

خادمى الإسكندر بما يلى: عُد إلى والديْك، وإلى عبيدك، واجلس فى أحضان أمك! إن مَنْ هو فى سنك، لا يزال يحتاج إلى رعاية ورضاعة، ولذلك فإننى أرسلت إليك سياطًا وكرة، وصندوق الذهب، حتى يختار ما تريد. إن السوط يعنى أنك يجب أن تتربى أكثر، والكرة هى لكى تلعب وتلهو مع أقرانك، وليس لكى تحاول إقناع الشباب بلهجة مفتعلة، كما يفعل زعيم اللصوص، الذى يجرهم معه، وتثير الاضطراب فى المدن.. إنه حتى ولو تجمع كل رجال الأرض المعمورة، واتحدوا تحت قيادتك وأوامرك، فإنهم رغم ذلك، لن يستطيعوا أن يقهروا الأعداد الغفيرة للجنود الفرس. إن جنودى كثيرون جدًا مثل حصوات الرمل، التى لا يستطيع أى إنسان أن يحصيها، كما أن الذهب والفضة عندى هى من الكثرة حتى إنها تكفى لكى تغطى كل الأرض، ولذا فقد أرسلتُ إليك صندوقًا واحدًا مليئًا بالذهب، حتى إنه فى حالة عدم مقدرتك على أن تُطعم زملاءك اللصوص، فيمكنك منحهم ما هو ضرورى حتى يعودوا إلى بلدهم. وإذا حدث ألا تقتنع بكل الذى أمرتك به، فلسوف أرسل إليك من يطردونك، وأن يقبض عليك جنودى ولتعلم أنك لن تعاقب كابن لفيليب، ولكننى سوف أصلبك، وأثبتك على صليب[٨٧]. كما يفعل باللص!".

قرأ الإسكندر رسالة داريوس فى الاجتماع العام لوحداته العسكرية، مما أخاف كل الجنود ويفضل إدراك الإسكندر لجُبن قواته، قال لهم ما يلى: أيها المقدونيون، رفاق السلاح، لماذا ارتعدت فرائصكم مما كتبه إلينا داريوس، وكأن كلماته الحاقدة لها قوة فعليه: فالكلاب الضعيفة تنبح بشدة، حتى تعطى انطباعًا زائفًا بأنها موجودة وقادرة. هكذا يتصرف داريوس فبينما هو غير قادر على الفعل فإنه فى رسائله يظن أنه شىء ما، بالضبط كما تفعل الكلاب التى تنبح، أما إذا كان ما يكتبه هو الحق، فإن ذلك سيكون فى صالحنا؛ لأنه نبهنا وأيقظنا من منامنا حتى ترى مع من يجب علينا أن نحارب بشراسة حتى النصر، وحتى لا نشعر بتأنيب ضمائرنا إذا حدث أن هُزمنا.

وما أن إنتهى الإسكندر من كلامه السابق حتى أمر ضباطه أن يقبضوا على الرسل الفرس، حاملى رسائل داريوس، وأن يربطوهم خلف خلاف! وأن يذهبوا بهم إلى مكان بعيد، ثم يصلبوهم! فخاف هؤلاء الرسل وقالوا له: "أيها الملك الإسكندر، فإذا فعلنا لك من ضرر! إننا لسنا سوى حاملى رسائل بسطاء، فلماذا تأمر جنودك أن يقتلونا بمثل تلك النبوءة؟ فأجابهم الإسكندر في الحال وقال: "لا تلوموني، ولوموا ملككم داريوس، وهو الذى أرسلكم برسائل تناسب زعيمًا للصوص وليس لمخاطبة ملك، وطالما أنكم، إذن أتيتم إلى لص، فإننى سوف أقتلكم". فرد عليه الرسل الفرس قائلين: "إنه إذا كان داريوس قد كتب ذلك، دون أن يعلم شيئًا عنك، فإننا قد رأينا بأعيننا، وعن قرب، السلوك الملكى الراقى لك، وقوتك العسكرية. ومما شاهدناه نستنتج أنك، أنت، ابن للملك فيليب، وأنك، أيضًا، الملك الأكبر، والأعقل، ولذلك فإننا نرجوك، ونتوسل إليك، يا سيدنا الملك، أن تهبنا الحياة".

عندئذ، لاحظ الإسكندر شيئًا فى حديثهم، فأردف قائلاً: إنكم قد أصابكم الجُبن والهلع أمام العقوبات التى أشرت إليها، والآن تتضرعون إلىّ ألا أقتلكم، ولهذا فإننى، بنفسى سوف أفك سراحكم، وأحرركم، ليس لأننى أُريد أن أقتلكم ولكن حتى تَروْا الفرق بين ملك يونانى(٨٨) وآخر طاغية بربرى. لا تخافونى، ذلك لأننى لن أضركم بشىء أبدًا. إن الملك الحق لا يقتل أبدًا المبعوثين إليه. وبعد كل ذلك دعاهم الإسكندر أن يجلسوا معه؛ ليتناولوا العشاء معًا وعندما أراد البعض من أولئك الرسل الفرس أن يقول له شيئًا عن كيفية خداع داريوس فى الحرب القادمة بينهما، قاطعهم الإسكندر قائلاً: "لا تقولوا لى شيئًا إنكم إن كنتم قد قتلناكم ولم ترجعوا، لما سمعت إليكم، ولكنكم، الآن تعودون إلى ملككم، ولسوف يستطيع البعض منكم أن ينقلوا له ما دار بيننا، ولا أريد أن أكون أنا سببًا فى أى أذى لأحدكم فلتصمتوا، إذن حتى نستمتع بعشائنا فى هدوء. ولذا فقد حيّا رسل داريوس كلمات الملك الإسكندر، وتعالت أصواتهم مرحبين بها، كما أثنى – أيضًا– على ذلك الجنود.

وبعد مرور ثلاثة أيام، أرسل الإسكندر رسالة للرد على داريوس، وكان قد قرأها على مسامع جنوده سراً فى غياب رسل الملك الفارسى، وكان هذا نصها[٨٩]:

إن الملك الإسكندر بن الملك فيليب، وابن أوليمبياس، يحيى ملك الملوك الذى يشارك الآلهة عرشها، والمشرف مع الشمس ملك الفرس الكبير، إليك أيها الملك الفارسى العظيم داريوس الذى يدّعى ويفاخر بأن له مثل تلك القوة، فإنه لمن المهانة والعار أن يقع هو يوماً ما فى عبودية ذليلة لإنسان مثل الإسكندر، وذلك لأن أسماء الآلهة تمنح البشر قوة كبيرة وتهب لهم الحكمة، ولكن كيف يكون ممكناً أن تصبح أسماء الآلهة الخالدة مسكونة داخل أجساد بالية؟ ها نحن، إذن قد أيقنا أنك لست بقادر على أن تفعل شيئاً، وإنك تستخدم أسماء الآلهة وتستغل قدرتها فوق الأرض، لكى تخيفنا، ولكننا لسنا جبناء حتى نخاف. كما أننى آتٍ إليك لكى أحاربك، ليس باعتباره إلهاً، ولكن كبشر فانٍ، وإنسان غير عادى، إن العناية الإلهية العليا ستقرر أين سيكون مآل النصر. وأما لماذا كتبت إلينا إنك تملك كل ذلك الذهب الكثير والفضة، فذلك حتى نعلم هذا، وأن نحاربك بقسوة أشد لنستولى عليه منك، وعندما أنتصر عليك، فإن كل اليونانيين، وكذلك البرابرة سيعتبروننى أشهر وأكبر ملك، لأننى استطعت أن أقهر ملكاً قوياً مثلك، مثل سلطان داريوس، أما إذا انتصرت أنت علىّ، فإنك لن تكون قد حققت شيئاً ذا بال، لأنك ستكون قد هزمت، فقط، لصاً ما، بالضبط كما كتبت إلينا، بينما أكون أنا قد هزمت ملك الملوك، الإله الكبير داريوس، ومن ثمَّ سأكون أنا ملء السمع والبصر. وإذا كنت أنت قد أرسلت إلىَّ السياط، والكرة وصندوق الذهب، مظهراً لنا نيَّاتك الشريرة، فإننى أعتبرها بشارات طيبة، لقد احتفظت، إذن بالسوط حتى يمكننى أن ألهب به مع أسلحتى ظهور الأجانب، وأن أخضعهم لى بيدىَّ أنا شخصياً. أما الكرة فإنها تعنى عندى أننى سأستولى على كل العالم، طالما - كما هو معروف -[٩٠]. إن العالم له شكل الدائرة وكروى، وأما صندوق الذهب، فقد أرسلت إلىَّ فألاً (Oiomos)

طيبًا جدًا: إنك قد أعلنت لى عن خضوعك لى! ذلك لأننى سأنتصر عليك، وستدفع لى الجزية!".

وبعد أن قرأ الإسكندر رسالته السابقة على قواته، ختمها[٩١]، ثم أعطاها لرسل داريوس ومبعوثيه، وكان قد أهداهم الذهب الذى أحضروه إليه، وكان أولئك الرسل قد رحبوا بموقف الإسكندر وحكمته البالغة، ورحلوا ذاهبين إلى مليكهم داريوس الذى أدرك بمجرد قراءته للخطاب الملكى من الإسكندر، أنه حاكم قوى؛ ولذا فقد كتب، بدوره خطابًا إلى قواده العسكريين (بناءً على ما فهمه من سلامة المنطق والحجة فى رد الإسكندر، فضلاً عن تمام استعداده العسكرى للمواجهة مع الفرس) قال لهم فيه ما يلى:

"إن الملك داريوس يحيِّى قواده عند حاكم كيليكيا، الثور القوى، فلقد كتبوا إلىَّ أن الإسكندر، بفيليب، قد ثار ضدى، وذلك حتى أخلع، أنا بنفسى، عنه عباءته الملكية، وأعذبه، وأرسله، تارة أخرى إلى بلده مقدونيًا، من حيث أتى، وإلى أمه أوليمبياس، ومعه لعبتا الأجراس والزهر[٩٢] والتى تتسلى بها أطفال المقدونيين، إننى سأدع مدرسين أيضًا أن يصحبوه فى عودته وذلك لكى يعلموه الحكمة. دمروا، إذن، أسطوله، وأرسلوا إلىَّ قواده مصفدين فى الأغلال الحديدية ومعهم عماله وإداريوه، وابعثوا بهم إلى البحر الأحمر (Erythrá thálassa). كما أننى أهديكم أنتم وأصدقاءكم خيول الإسكندر، وحاملى متاعه وأسلحته. أتمنى لكم الصحة". ولقد تسلم داريوس من قادته الرد التالى **"تحية إليك" أيها الإله الكبير، الملك داريوس، إننا نتساءل كيف أنك لا تعلم حتى الآن، أن جيشًا من جنسيات مختلفة قد هاجمنا، وأننا قد أرسلنا إليك فعلاً، من قبضنا عليه منهم، والذين لم نجرؤ أن نحقق معهم قبلك، احضر، إذن إلينا بسرعة، ومعك جيش كبير، حتى لا نصبح نحن رهائن وغنائم فى أيديهم".**

وفى بابل (Babylón)، تسلم داريوس، ملك فارس (Persia) الخطاب السابق، وكان رده على قادته كالتالى:

"من ملك الملوك، داريوس، الإله الكبيـــر، إلى كل جنرالاته فى كل أنحـــاء الإمبراطورية الفارسية، تحية. إنكم ليس لكم أن تأملوا منى فى أى شىء، إذا هربتم من البلاد، ولذلك يجب عليكم أن تظهروا فضيلة الرجولة فى أعلى درجاتها. وما هذا الحيوان المفترس الذى قفز وأخفاكم؟ وهل أنتم عجزة لكى تطفئوا نارًا أشعلها بـرق ما؟ كما لا تستطيعون أن تتحملوا اضطراب إنسان ما وضيع؟ وهل قتل أحدكم فى معركة؟ وهل أصيب أحدكم وجرح، أو قبض عليه، وغدا أسيرًا فى معارك وجهًا لوجه[٩٢]؟ فماذا أظن بكم، عندما تتسببون فى إحراج مملكتى، بإعطائكم للص حرية الحركة؟

ولما أدرك داريوس أن الإسكندر يقترب، عسكر بقواته بالقرب من نهر بيناروس (Pinaros)، وأرسل إليه الرسالة التالية: "إن ملك الملوك، الإله الكبير، سيد كل الأمم، داريوس، يأمر الإسكندر الذى يعيث فسادًا فى المدن وينهبها كذلك. يبدو أنك ليس لديك إحساس بماذا يعنى اسم داريوس، الذى تحترمه الآلهة، أولئك الذين يسعون إلى أن يجلسوا إلى جانبه على العرش، إننى لا أعتبرك من السعداء، لأنك طيلة كل ذلك الوقت تحكم مقدونيًا دون إذن منى، وأنا أتغاضى عن هذا، أما وقد فاض الكيل ولم يكفل ذلك، وقمت أنت باعتداءات عسكرية ضد المدن اليونانية المستقلة، وأعلنت نفسك ملكًا عليها، كما جمعت جيشًا من الرجال اليائسين، فاقدى الأمل مثلك، والآن تهاجم المدن الفقيرة العاجزة، تلك التى أعطف عليها دائمًا بنفسى، والتى أعتبرها دائمًا أيضًا غير جديرة بأن أحكمها، ذلك لأنها لا فائدة منها فطلبت أنت منها الجزية متسولا! إن الحقيقة القائلة بأنك دائم الصراخ، من أجل المواقع التى تحتلها، يجعلنا على يقين من أنها، هى أيضًا وضيعة مثلك". ثم أردف قائلاً فى نصف خطابه الأخير:

"لقد فعلت فعلاً مشينًا جدًا، إذن باحتقارك لكل ما كتبه لك أولاً، لأنك مدين لى بأن تسحب خروقاتك وسخافاتك، فعليك أن تأتى إلىّ أنا، داريوس، سيدك، وألا تقوم

بتجميع عصابات اللصوص. لقد أخبرتك بأن تأتى وتسجد[٩٤] للملك داريوس. ولكنك إن صممت أنت على تصرُّف آخر، فإننى سوف أعاقبك بالموت، الذى لم يسمع به أحد! وكذلك بموت أشد سيموت أصحابك اللصوص أولئك الذين لم ينصحوك بأقل القليل من الحكمة. احضر إذن إلىّ أنا، سيدك، وإننى أقسم لك، بزيوس (Zeus) الإله الأكبر، والدى[٩٥]، لسوف أعفو عنك من كل ما قد فعلت".

وعندما قرأ الإسكندر خطاب داريوس إليه، لم يرد أن يرد عليه أمام مَنْ كانوا معه فى المعسكر، وانفجر فى الضحك. ثم أمر، بعد ذلك، الرُّسل أن يعودوا أدراجهم إلى داريوس. وعند ذلك، أمر داريوس كل الملوك، التابعين لملكه، وكذلك كل الحكام المحليين، وكل قادة الجيوش، بأن يؤلفوا وحدة عسكرية واحدة. ثم قام بإحصائها جميعًا، فوجدها تتكون من:

٨٠٠,٠٠٠ (ثمانمائة ألف): من الفرسان المميزين المسلحين تسليحًا كاملاً.

٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة ألف): من المشاه.

وكذلك وضعها جميعًا تحت إمرته، يتلقون أوامرهم منه هو، وأخذ معه أطفاله، وزوجته، ووالدته. كما كان معه، أيضًا، ١٠,٠٠٠ (عشرة آلاف) من القوات الخالدة قاهرة الموت (athánatoi) كما يسمونها هم، وذلك لأن عددهم يظل - دائمًا ثابتًا، ويتم إحلال مكان الأموات منهم بآخرين فى الحال.

٧ - تطور العمليات العسكرية بين الإسكندر ودارا

ولما عبر الإسكندر جبل طوروس (Tauros)، فى كيليكيا (Kilikia)، وصل كيليكيا إلى تارسوس (Tarsos)- عاصمة الإقليم، وبمجرد أن رأى نهر كيدنوس (Kydnos)، الذى يمر خلالها، وكان يتصبب عرقًا من طول الرحلة، خلع صديريته الحربية وألقى

بنفسه فى مياه النهر، الذى كانت مياهه متجمدة، مما أصاب الإسكندر بنزلة برد خطيرة للغاية، وتم إنقاذه فى اللحظة الأخيرة. كان الذى أنقذه هو طبيبه الخاص فيليبوس، وكان واحداً من أشهر أطباء عصره.

وما إن تماثل الإسكندر للشفاء، واستجمع قواه حتى تحرك بقواته ضد الملك دارا (داريوس) الذى كان قد عسكر، فعلاً، بالقرب من نهر إسوس (Issos) فى كيليكيا.

واقترب الجيشان من بعضهما. وعندما لم يفصل بينهما سوى مسيرة يوم واحد، هجم الإسكندر، وكأنه قد مَسَّه جنون، وفى أرض المعركة، واقفًا فى مواجهة داريوس. وما إن رأى قادة داريوس الإسكندر ينظم معظم جيشه ويصفُّهم صفًا واحداً، قاموا بوضع عرباتهم الحربية، وكل قواتهم العسكرية فى مواجهة المكان الذى رأوا فيه الإسكندر قائمًا عليه. وعندما أصبح الجيشان جاهزين فعلاً للدخول فى المعركة؛ عندئذ لم يترك الإسكندر للفرس فرصة أن يفصلوا فرقته عن بعضها، ولا أن تركض خيولهم إلى داخل خطوط قواته وأن ينشروا سلاح فرسانهم، وبالتالى لم يمكنهم من أن ينفذوا أية حركة حصار (أو كماشة) لجنوده. ولذا، فإن معظم العربات الحربية الفارسية تم تدميرها، ومعها سائقو تلك العربات الذين كانوا يتلقون ضربات السهام من كل ناحية واتجاه. عندها امتطى القائد المقدونى، الإسكندر، فرسه بوكيفالوس، وأصدر أوامره إلى نافخى الأبواق (Salpistai) بأن يعزفوا المارش العسكرى وهجم الجيشان، كل على الآخر، بالضربات، وبخاصة بالرماح، ودخلت قوات كل فريق إلى خطوط الآخر. واستطاع جنود الإسكندر أن يدفعوا إلى الخلف جنود الفرس وقواتهم، وانتصروا عليهم ضاربين إياهم، ورموهم فوق بعضهم بعضًا، وذلك بسبب ضيق أرض المعركة، وعظم أعداد الجنود المتحاربين.

وترتب على ذلك، أنه لم يستطع أحد أن يرى شيئًا سوى خيول صرعى ملقاة على الأرض، ورجال قتلى، حتى إنك لا تستطيع أن تميز الفرس من المقدونيين، ولا بين

الفرسان أو المشاه، ولا بين الجنود أو الضباط، وذلك بسبب الرماد الكثير الذى يغطى تلك الأجساد. هذا فضلاً عن أنهار الدماء وأكوام جثث القتلى وبقايا العربات الحربية المتناثرة، فكل أولئك كان يغطى أرض المعركة. وحتى الشمس نفسها فقد غابت وحجبتها السُحُب.

وعندما بدأت المعركة تميل فى نهايتها فى صف القوات المقدونية وعلى حساب الفرس، أسرع أولئك بالفرار، وساعد على ذلك أيضًا، مرور الوقت وانصرام النهار، الذى بدء فى الغروب والإظلام. ومن بين الفارين، من أمام الإسكندر، كان أمينتاس (Amyntás)، بن أنتيوخوس (Antiochos) الذى كان قد نفى نفسه ولجأ إلى الفرس، لأنه كان، فى الماضى، طاغية (Tyrannos) على المقدونيين[٩٦].

ولما أسدل الليل أستاره هيمن الخوف على الملك داريوس، وكان أول الفارين من أرض المعركة، وكانت عربته الحربية، بالضرورة، مميزة ومعروفة، ولذلك فقد سارع فى أن يتركها، وركب فرسًا ما، وهرب مسرعًا، بينما كان الإسكندر، فى الوقت نفسه، يسعى راغبًا فى أن يقبض عليه هو بنفسه، ولذا فقد اقتفى أثر دارا حتى لا يلحق به شخص آخر ويقتله. وبعد أن فعل الإسكندر ذلك لمسافة ستين (٦٠) إستادًا[٩٧]. استطاع أن يقبض على عربة الملك الحربية، أخيرًا، والتى كان بها أقواس القتال، وزوجة الملك داريوس، وبناته وكذلك أمه، بينما كان الملك الفارسى قد استغل ظلام الليل، وفر هاربًا، وساعده على ذلك، أيضًا، تغييره المستمر لفرسه من وقت لآخر. كما استولى الإسكندر على خيمة داريوس، وبينما عمل الإسكندر على تقوية مراكز أعداء الملك الفارسى وسعى لنفسه، للحصول على كل المظاهر والشارات الملكية الفارسية، **فإنه لم يلجأ إلى أى تصرف مبالغ فيه أو عنصرى**[*]، بل على العكس أمر

(*) وهذه الجملة، بالنفى، تؤكد عكس ما كان يريد المؤلف.

بأن يتم دفن المقاتلين الفُرس الشجعان بكل مراسم التكريم والاحترام، كما تصرف، بتوقير شديد، إزاء أسرة داريوس التى أمر بأن تظل معه وإلى جانبه.

ولقد عامل الإسكندر الأسرى الباقين معاملة حسنة، وهدّأ من مشاعرهم، أما قتلى الفرس فكانوا كثيرين جداً، إذ وصل عددهم إلى أربعين (٤٠) ألفًا، ولكن قتلى المقدونيين فقد أحصوهم ووجدوهم خمسمائة (٥٠٠) من المشاه، ومائة وستين (١٦٠) من الفرسان، فضلاً عن ثلاثمائة وخمسين (٣٥٠) من المصابين، بينما كان المصابون من الأجانب الفرس عشرين (٢٠) ألفًا. وأخيرًا فقد ساق المقدونيون، كغنائم بشرية، أربعة آلاف من الأسرى الفرس.

كان داريوس قد هرب وأنقذ حياته وراح يجهز ويُعد قوات أكبر مرة أخرى، فأمر كل حكامه ومساعديه من كل القوميات أن يسارعوا بالحضور إلى جانبه لمساعدته، كلما أمكن بجيش أكبر، ولكن جاسوسًا للإسكندر علم بهذه الحشود وتجميع هذه القوات، فكتب إلى الإسكندر بأخباره. وبمجرد أن وصلت هذه الأخبار إلى الإسكندر كتب - هو الآخر - إلى أحد قواده، وهو كاساندروس (Kassandros)، ما يلى:

"من الملك الإسكندر إلى كاساندروس، تحية. احضر إلينا، لتقابلنا، بأسرع ما يمكن، ومعك الفيالق (Phálanges) التابعة لك، وأية قوات أخرى عنك. إن البرابرة[٩٨]، ليسوا بعيدين عنا. بعدها، عَبَر هذا القائد جبل طوروس، وثَبَّت رمحًا كبيرًا فى الأرض، وقال: "**إن أى يونانى شجاع[٩٩]، أو أجنبى، أو أيًا من كان من الملوك الآخرين يجرؤ على أن يرفع هذا الرمح من مكانه، سيجد نفسه أمام مصير سيئ للغاية: إن مدينته ستسوى بالأرض**".

ويواصل كاساندروس سيره فيصل إلى مدينة بييريا (Pieria)، إحدى مدن إقليم بيبريكيا (Bebrykia)، حيث يوجد هناك معبد، وكذلك تمثال للإله أورفيوس (Orpheus)، وبالمثل لربات الفنون (Mousai) فى بييريا، والتى تحيط بها الحيوانات المفترسة.

٨ - الإسكندر يغزو مدن آسيا الصغرى

ولما وصل الإسكندر كذلك إلى المكان، وراح يتأمل التماثيل الخشبية، فتصبب أحدها عرقًا فجأة! وعندما طلب أن يعلم ماذا يعنى ذلك، قال له مفسر الطوالع، ميلامبوس (Mélampous)، ما يلى: **"أيها الملك الإسكندر، إنك سيصيبك الإجهاد والتعب، أثناء إخضاع القوميات الأجنبية، وكذلك المدن اليونانية، فتتصبب عرقًا وتبذل مجهودًا عظيمًا، بالضبط كما يحدث مع أورفيوس**، الذى استطاع بعزفه على ليرا (Lyra)، وبالغناء معها، أن يُقنع اليونانيين ويطرد البرابرة ويهدئ الوحوش الكاسرة. **وهكذا، فإنك أنت كذلك، عندما تبذل الجهد، وينال منك التعب، ومع ذلك فستكون قادرًا برمحك أن تُخضع كل من هم تحت يدك"**.

ويفضل إحساس الإسكندر بالرضا عن تفسير قارئ الطوالع، كافأه بكرم شديد، وتركه ينصرف لحاله. كما استمر الإسكندر فى حملته حتى وصل إلى فريجيا[١٠٠] (Phrýgia)، وذهب إلى نهر سكاماندرق[١٠١]، (Skamándros)، وأخذ فيه حمامًا، مثلما كان أخيلليوس[١٠٢]. (Achílleus) قد فعل من قبل. ثم أحيا ذكرى بعض أبطال هوميروس الخالدين، وكيف أن وصفه لهم كان مبالغًا فيه أكثر بكثير من الواقع والحقائق. وعندما جاءه شاعر ما، قال له: **"أيها الملك الإسكندر إننا سنكتب عنك أفضل من أولئك"**. فرد عليه الإسكندر سريعًا بقوله: **"إننى أفَضِّل أن يصفنى هوميروس مثل ثرسيتيس**[١٠٣] الذى احتقره ملك الهيللينيين أجاممنون (Agamemnon).

ولكن الإسكندر اتجه، من هناك، فجأة، صوب مدينة أمفيبوليس (Amphipolis)، على رأس فرقة عسكرية مقدونية، ومعه أسرى حربه مع داريوس، وسار بقواته مهاجمًا مدينة أبديرا (Abdera) الذين سارعوا وأغلقوا بوابات مدينتهم فى وجهه، فجن جنون الإسكندر، وأمر قواده بأن يحرقوا المدينة. عندئذ أرسل إليه أهل أبديرا رسلاً ممثلين لهم، وهم الذين قالوا له: "لقد أغلقنا بوابات مدينتنا، ليس لأننا كنا نريد أن نقاومك ونهجم عليك، وكلنا كنا نخشى من سيادة الفُرس وهيمنتهم علينا، حتى لا يتمكن

داريوس من الاستمرار فى تصرفاته طاغية علينا، فيحرق مدينتنا، لأننا قد استقبلناك. تعال، أنت، إذن، وافتح البوابات، لأنه لذلك يكون واضحًا، ويبدو للعيان، أننا قد خضعنا لملك أقوى. "جاء رد الإسكندر على الرسل، ضاحكًا من منطقهم وجدلهم، وقال لهم: "أحقًا كنتم تخشون من دارا أن يحرق مدينتكم ويُكمل ويستمر فى حكمه الطاغى؟ اذهبوا الآن، وافتحوا البوابات وتصرفوا بعزة نفس. **أما فيما يخصنى، فَلَنْ يحدث أن أدخل مدينتكم وأخضعكم بالقوة، وذلك لكى يتسنى لى أن أذل ذلك الشخص الذى أخافكم**"، ثم أكمل الإسكندر مسيرة حملته.

٩ - الإسكندر فى اليونان (مرة أخرى)

وبعد يومين اثنين، وصل الإسكندر إلى بيوتيا[١٠٤]، (Boioteia) وإيل أولينثوس (Olynthos)، فاستولى على كل أراضى إقليم خالكيديكى، ودمّر كل المدن المجاورة له، وسوّاها بالأرض. ولكن الجيش المقدونى لم يكن يملك الأغذية الضرورية لجنوده، وكاد أن يموت هو والجميع من الجوع. عندها، أمر الإسكندر بخطة عبقرية جداً، وذلك بأن تُذبح الخيول الحربية، وتسلخ، وتشوى، فأكلوا حتى شبعوا وتفادوا المجاعة.

ولكن المقدونيين كانوا يتساءلون، من بعد ذلك، قائلين: "يا ترى، لماذا ذبح الإسكندر خيولنا؟ لقد أكلنا، نعم، ولكننا أصبحنا بلا أسلحة، دون خيل". وعندما علم الإسكندر بذلك، وقف فى وسط معسكر القوات، وقال: **"أيها المقدونيون، يا رفاق السلاح، لقد ذبحنا الخيل لنأكل، على الرغم من أنها مهمة جداً فى الحرب، وإن ما يثيره هذا الضرر من الألم، هو أمر نسبى، ويتساوى عندما نضع، فى اعتبارنا، أمراً بديلاً هو أخف ضرراً. إننى أريد أن أقول بأننا بمجرد أن نصل إلى أرض طيِّبة، وكريمة، فإننا سنجد خيلاً بسهولة، ولكنكم إذا كنتم قد مُتُّم وفنيتم من الجوع، فإننا لم نكن نستطيع أن نجد مقدونيين آخرين، قبل مرور سنوات كثيرة"**[١٠٥]. (وهكذا روّح

الإسكندر عن جيشه وأذهب عنهم ما ساورهم من مخاوف وعاود سيره إلى مدينة أخرى).

ومرت حملة الإسكندر، بعد ذلك، على مدن أخرى، مثل لوكرى (Lokroi)، ثم أكراجاس (Akragas)، بعد أن استراح يومًا واحدًا[١٠٦]، هو وقواته. ولما دخل الإسكندر إلى معبد أبوللون (Apollon) طلب من كاهنته سماع الوحى، والنبوءة المقدسة حول مستقبله، فقالت له بأن النبوءة لا يمكن أن تتم، عندها صرخ الإسكندر فيها، كالمجنون، قائلاً: "إذا لم تعطنى النبوءة، فلسوف أخطف تريبود الوحى (Tripoda)[١٠٧]، كما فعل الإله هيراكليس[١٠٨]، يومًا ما، عندما خطف "التريبود" الناطق بالوحى، والذى كان الملك كريسوس[١٠٩] (Kroisos)، ملك ليديا قد أهداه للإله. وعندئذ، جاءته الإجابة من أعماق حجرة قدس الأقداس، (Cella)، ردًا على تهديداته، تقول: **"إن هيراكليس، يا إسكندر، لا يُعرقل هذا التصرف، كإله مع إله، وطالما أنك من الفانين (Thnétos) فلا تقف ضد الآلهة. إن تصرفاتك هذه، هى معروفة، بالفعل، للآلهة". ولما سمع هذا الصوت نطقت الكاهنة بلسان الإله، وأضافت: "إن الإله قد تنبأ لك أنت، بالفعل، إذ نطق اسمك وناداك باسم آخر أقوى من اسمك الحقيقى. ولذلك جاء الصوت من الأعماق، مرة أخرى يقول: "إننى أنا هيراكليس، يا إسكندر أشرح لك، إذن، بأنه يجب عليك أن تُنجز أعمالاً مهمة جدًا، حتى تستطيع أن تخلِّد نفسك عبر القرون".**

١٠ - تدمير طيبة

وبعد ذلك توجَّه الإسكندر إلى طيبة[١١٠]، وطلب من سكانها أن يضعوا تحت أوامره ألفًا من خيرة جنودهم القادرين. ولكن أهل طيبة أغلقوا بوابات (Pýlai) مدينتهم، كما أنهم لم يرسلوا إليه رُسلاً لهم، ولا حتى استقبلوه، بل على العكس من ذلك، سلَّحوا

جيشـهم، حـتى يمكنه أن يزحف لمواجـهتـه. وكذلك فـإنهم أرسلوا مُنادين (Kerykes) مُسلحين ليكلموا الإسكندر، من خلال الأسوار وخيروه، فإما القتال أو الانسحاب. وما إن سمع الإسكندر ذلك حتى ضحك، وأجاب عليهم قائلاً:

"يا أهل طيبة الشجعان إنكم محاصرون فى داخل أسواركم، وتنصحون مَنْ هم خارجها إما أن يحاربوا أو يذهبوا: كيف؟ إننى أقسم برب الأرباب، زيوس، بأننى سأحارب، ليس لكى أنتصر على محاربين مُخضرمين وشجعان، ولكن لكى أغلب آدميين جبناء، وآخرين متشردين. إنكم، منذ اللحظة التى أغلقتم فيها على أنفسكم الأسوار، فإنكم، الآن، تحت رحمة رماحى وسهامى، وعلى رجالكم المحترمين واجب فى أن يحاربوا فى مكان فضاء مفتوح، لأن مَنْ يختبئون فى الداخل هم، فقط، صغار النساء".

وما إن انتهى الإسكندر من حديثه حتى أمر أربعة آلاف فارس؛ لكى يقطعوا المسافة الواقعة خارج أسوار طيبة، ويرموا الحراس بأقواسهم وسهامهم، بينما كان هناك فى الوقت نفسه ألفان آخران مسلحين بالخناجر والبُلط المزدوجة، وعصىٍّ حادة طويلة، مثل الأظافر، فضلاً عن خطاطيف حديدية، سيدمرون بها أساسات الأسوار، كما سيقذفون الداخل بالأحجار. كما أمر، كذلك، بإشعال النيران فى البوابات، وأن يساعد المنجنيق (Krioi) الخشبية والحديدية، التى ستُدفع، بقوة، وهىَ محمولة على عجلات بواسطة الجنود دفعًا قويًا بُعده، مما يساعد بسرعة على تفتيت الأحجار المرصوصة. أما الإسكندر نفسه فكان سيحيط المدينة بألف من رجاله قاذفى المقاليع (Sphendónai)، وكذلك الرماح والحراب حتى يتم تدمير أساس المدينة.

ونتيجة منطقية لكل ما سبق، ارتفعت ألسنة اللهب فى كل مكان، وقد امتلأت كل الأجواء أحجارًا وسهامًا ورماحًا، وكان سكان طيبة المدافعون عنها يسقطون مُصابين من فوق الأسوار.

لقد كانوا يموتون وكأنهم كانوا يتلقون ضربات إلهية، قادم من الفضاء الواسع، بينما فر آخرون من المعركة، غير قادرين على أن يقاوموا أكثر مما فعلوا. وكانت النيران قد شبت فى كل أنحاء مدينة طيبة، خلال ثلاثة أيام من بداية القتال. وكانت البوابة المعروفة باسم "بوابة كادموس"[١١١] قد سقطت، حيث كان الإسكندر هناك موجوداً، وكان يتابع ما يجرى. **ولذا فقد دخل المدينة، فى الحال، وحده، ومن فتحة صغيرة. أما بقية السكان وهم الأغلبية الذين أصبحوا بلا ملجأ، فقد أسرعوا بالفرار، وكان الإسكندر يصيب البعض بسهامه، ويثير الذعر فى آخرين، وذلك بسبب وجوده المفاجئ، فقط، بين الجميع.**

ودخل جنود الإسكندر بأسلحتهم وخيولهم من البوابات الأخرى، وكان مجموعهم ثلاثة آلاف مقاتل، وقد قتلوا كل أهل طيبة الموجودين داخلها آنذاك، كما تهدمت الأسوار التى كانت آيلة للسقوط، **وكان الجيش المقدونى يطبق أوامر الإسكندر بقسوة شديدة:** فجرت أنهار الدم الآدمى تروى عطش الأسوار البالية لمدينة كادموس. وكذلك امتلأت حفرتان عميقتان بأجساد القتلى الكثيرين من أبناء طيبة، وكان تدمير المنازل من بيت لبيت، والتهمت النيران المشتعلة، بأيدى المقدونيين الغزاة، كل أراضى منطقة طيبة، وكانت أسلحة الموت منتشرة فى كل الأرجاء.

وعندئذ جاء عازف الناى (أوليتيس: Aulétes) الشهير، بخبرته وحكمته إزمينياس (Ismenias)، وقد رأى بعينيه مدينته، وقد تحولت إلى ركام من الدمار والخراب، وتم حصد أرواح السكان، دون أدنى تمييز لفروق الأعمار، ففكر بتأثير حجم المعاناة من تلك المأساة أن يسجد، ومعه آلته الموسيقية تحت أقدام الإسكندر ضارعاً ومتوسلاً له أن يكف عما يفعل بمدينة طيبة، آملاً من ذلك، (ويفضل عزفه على نايه وموسيقاه، وإيقاعاته الحزينة) أن يستثير فى الإسكندر الرحمة والغفران، ولذا فقد اختار أن يوجه له، أولاً، بعضاً من عبارات الرجاء والتوسل إلى سيده، ماداً إليه يديه، وبدأ يقول: "أيها

الملك الأعظم الإسكندر أرجوك أن تعفو عنا، نحن البؤساء، ولا تضع مدينتنا فى مثل هذا الخطر، الذى يتهددها، بأن تقضى عليها تماماً، وتختفى فى النهاية".

"إننا الآن، وقد أدركنا خطأنا، فإننا سنحترم مملكتك، المقدسة، إننا نرجوك أن ترفع يديك التى لا تقهر عن أهل طيبة، ونستحلفك بأسماء كل الآلهة المجيدة، أن تفعل ذلك، يا أيها النبت المقدس، وسليل الإله زيوس، والإلهة سيميلى (Semela)[١١٢]، ثم يستكمل العازف الشهير كلامه "إن ديونيسوس (Dionysos)[١١٣]، وهيراكليس، هما أجدادك، يا إسكندر"!، ثم أضاف:

"هل تتجاهل يا إسكندر أنك من أهل طيبة، ولست من مدينة بيللا؟

إن أرض طيبة تتضرع إليك، متضامنة مع صوتى، الذى يستدعى،

أمامك، كل أجدادك من الآلهة،

ولتكن مُقلداً لهم فى مساعدة البشر، بتصرفات عادلة،

وحوِّل غضبك، بالفعل، إلى إحسان،

وليكن ميلك إلى جانب الرحمة، أكثر من انحيازك إلى التعذيب الأعمى.

ولا تحرم الآلهة التى أنجبتك، من أولادها،

ولا تدمِّر المدينة التى تنتمى إلى أسلافك،

ولا تحرق أسوار طيبة،

إن هنا مذبح (Bomós) الإلهة هيرا[١١٤]،

وإنه لمذبح أثرى قديم،

وكذلك الإله هيراكليس، الذى تآكل جسده من الرداء،

وهنا كذلك قبر (Doma) تيريسياس (Teirésias)،

الأعمى الذى أصبح عرافًا، بعد بلوغه سن الشيخوخة،

والذى حولته الإلهة أثينة (Athena)[١١٥]، إلى امرأة!

وهناك، فوق الهضبة، كأن يقف أبو الهول (Sphinx)،

الرهيب، الوحش الذى يُصدر أوامره لكل المواطنين،

والذى استطاع أوديب الماكر أن يقهره[١١٦]،

فهل ترى محراب هيراكليس، أصل عائلتك أنت وفيليب؟

وهل تريد أن ترى معابدك، وقد شبت فيها النيران دون علمك؟

ولماذا تلعن والديك، اللذين أنجباك؟ أنت، يَا مَنْ أنت من سلالة ونسل هيراكليس، وباكخوس العظيم".

بهذه الكلمات الرقيقة أنهى إزمينياس حديث الضراعة، وخر ساجدًا عند قدمى الإسكندر، وعندئذ ألقى القائد المقدونى نظرة سريعة، بطرف عينيه على العازف الواقع، على الأرض، عند قدميه، وقال، بعد أن زفر زفرة غضب وحكَّ أسنانه ببعضها، ما يلى:

"يا أسوأ الكائنات، وأشد درجات الحقد من الآلهة،

ويا لعنة على الناس جميعًا، فى كل حيٍّ، ويا جذور الأجانب،

يا بقايا الشفقة، والأساطير الكاذبة، والحِكَم المروية الخادعة،

هل لديك أى انطباع بخداع الإسكندر؟

إنى سأدمر كل المدينة، حتى تختفى من على وجه الأرض، وسأتركَكم، جميعكم، رمادًا، كما سأحرق كل بؤر وجودكم وتراثكم.

وطالما تعلم من أين أتيت، وتعرف أصلى، وإلى من أنتمى، فلماذا لم تخبر أهل طيبة بذلك؟

وبأن الإسكندر هو قريب لنا! ويجب أن نعتبره مواطنًا منًا، ومن بيننا!

ويجب أن نعطيه ونسلمه قيادة جيشنا، ولنكن، نحن، حلفاء له.

إننا، أيها المواطنون نحن أقارب للإسكندر، وإنه لشرف لنا أن يكون جيلنا ونسلنا مُكرمًا، بأن يترأس المقدونيون أهلنا، أهل طيبة.

"إننى آمرك أن تعزف على الناى / الأولوس (Aulós) المزدوج، لحنًا من أجل اختفاء مدينتك".

وبعدها، أمر الإسكندر جيشه بأن يدمِّر البوابات السبع لأسوار طيبة، وبقية أنحاء المدينة كلها. وكان إزمينياس يلفظ آخر أنفاسه، ومع ذلك ظل يعزف إيقاعات راقصة من أجل أهل طيبة؟ وسقطت الأسوار وسقطت مدينة طيبة كلها، وتعبت الأرض، وجأرت بالشكوى من كثرة دماء المذبوحين من المواطنين. كما تهاوت قصور المدينة، وسُمع دوى قوى ممتد لوقت طويل، وكان صدى صوت الناى المزدوج للعازف إزمينياس يصاحب لحظات تحول مدينة طيبة إلى مجرد أثر بعد عين وخرائب ظاهرة، كما أمر الإسكندر. ولكن القائد المقدونى، إظهارًا منه لقدر من الاحترام لمربيه، فقد ترك منزل بنداروس (Pindaros)[١١٧] دون أذى، كما كان على حاله.

وهكذا، إذن، فإن غالبية سكان طيبة قد فقدوا حياتهم، كما فقدوا مدينتهم. أما بالنسبة للبقية الباقية من الأحياء فى المدينة، فقد أمر الإسكندر بأن يعتبروا بلا مأوى، حتى يتسنى بناء المدينة من جديد، وبعدها غادر طيبة إلى مدن أخرى.

كما أرسل الأحياء من سكان المدينة إلى وحى دلفى (Delphoi) يستشيرونه عما إذا كانت طيبة ستُبنى من جديد يومًا ما، وجاء رد نبوءة الوحى للإله أبوللون، (Apóllon) بما يلى:

"إن هيرميس[١١٨] (Hermés)، وهيراكليس (Heraklés)، والملاكم بوليذفكيس (Poly-deukes)[١١٩]، هؤلاء الثلاثة، الذين حققوا بطولات هم، يا طيبة: هم أنفسهم الذين سيعيدون بناءك.

وبمجرد أن تم النطق بالوحى، ووصلت النبوءة إلى طيبة استقبله الناس بالبشر والترحيب؛ كواقع جديد فى الزمن القريب.

وفى أثناء تلك الأوقات، وصل الإسكندر إلى مدينة كورينثوس.

١١ - الإسكندر فى كورينثوس

وعندما وصل الإسكندر إلى كورينثوس (Kórinthos) احتل موقع القناة المسمى إسموس (Isthmos)، وهو المكان الذى كانت تتم فيه المسابقات[١٢٠] المعروفة باسم "الإثمية" (Ta ithmia) وعندئذ طلب منه أهل كورينثوس أن يُعلن، هو بنفسه، بداية المسابقات، وقد قبل الإسكندر ذلك، وظل موجوداً معهم. وكان الرياضيون قد دخلوا إلى الاستاد، كما كانت المسابقات قد بدأت فعلاً، وكان الإسكندر يكرم الفائزين بإلباسهم أكاليل الغار[١٢١]، (رمز الفوز)، كما يمنحهم هدايا أخرى متنوعة، وذلك إعلاءً وتكريماً لروح المنافسة بينهم، وعندما جاء رجل غريب الأطوار من أهل طيبة يُدعى كليتوماخوس، وأعلن اشتراكه فى ثلاث مسابقات هى المصارعة والبانجراتيون[١٢٢]، والملاكمة لفت نظر الإسكندر إليه. كان كليتوماخوس (Keitómachos)، فى المصارعة يستخدم ضربات مختلفة ويتبع تكتيكاً متميزاً، ولذا فقد تفوق فيها على منافسيه ومدحه الإسكندر. ولما ذهب ليتم تكريمه ليلبس الإكليل المقدس من الغار[١٢٣]، غصن الزيتون (Kotinos) لفوزه المستحق، قال له الإسكندر: **"إنك إن فُزْت فى اللعبَتينْ الأُخريْين، اللتين تشترك فيهما، وحصلت على ثلاثة أكاليل، فلسوف أرضيك، تماماً، لأى طلب منى تطلبه"**.

والحقيقة أن اللاعب قد فاز فى الألعاب الثلاثة[١٢٤]، واقترب من الإسكندر لكى يحصل على إكليل النصر (أو الفوز) الآخرين. ولكنه عندما سأله مسئول إعلان الفائزين فى المسابقات عن اسمه، وإلى أى مدينة ينتمى حتى يعلنه - على الملأ - أجابه اللاعب: **"اسمى كليتوماخوس، ولكننى ليس لى وطن"**. فسأله الملك، متعجبًا، بقوله: **"أيها الشاب القوى واللاعب المجيد كيف يمكن ألا يكون لك وطن، وأنت على رأس الفائزين فى المسابقات، وقد نلت ثلاثة انتصارات وتم تكريمك، على يدى شخصيًا، بثلاثة أكاليل؟"**. عندها، أجاب كليتوماخوس عن سؤال الملك بالآتى: **"لقد كان لى وطن قبل أن يصبح الإسكندر ملكًا، ولما غدا ملكًا خسرتُ أنا وطنى"**. فأدرك الإسكندر ما يعنيه اللاعب الفائز، وماذا يمكن أن يطلبه منه، فقال له: **"إن طيبة سيتم بناؤها من جديد، تكريمًا للآلهة الثلاثة: هيرميس، وهيراكليس، وبوليزيفكيس، حتى يتسنى لى، من جانبى، أن أقدم ذلك هدية مجانية وألبى طلبك منى"**. وهكذا تم بالفعل تحقيق وحى نبوءة الإله أبوللون:

"إن هيرميس، وهيراكليس، والملاكم بوليذيفكيس، هؤلاء الثلاثة الذين حققوا بطولات، هم يا طيبة أنفسهم الذين سيُعيدون بناءك".

الهوامش

(١) وهى نفسها لفظة بيلوزيوم (pelosium)- باللاتينية - وتقابل الفرَما، حاليًا. (كل الهوامش الموجودة بالكتاب من صنع المترجم).

(٢) هذا الخبر مخالف لتطور الأحداث التاريخية، فلم يكن هذا الإله قد ظهر بعد.

(٣) هذه أقدم إشارة إلى كون الفرس عدوًا مشتركًا للمصريين واليونان.

(٤) لم تكشف حفائر الآثار، سواء المصرية أو الأجنبية، حتى الآن عن مثل هذا التمثال العملاق، فهو خبر غير صحيح حتى حينه، ولم يقل لنا المؤلف أين يوجد هذا التمثال، الذى يؤرخ بالضرورة بمنتصف القرن الرابع ق. م.

(٥) فى اليونانية، قديمها وحديثها، هى كلمة واحدة (Mathématikós).

(٦) وكان اسم ليبيا (Libye)، فى العصور القديمة، أنذاك، يطلقه اليونانيون على أفريقيا (Aphriké)، من القرن الخامس ق. م.

(٧) وهو مصباح مصنوع من الفخار وله فتحتان؛ واحدة لصب الزيت داخله، وأخرى لبروز الفتيل وإضاءته، وهناك المئات منه مكتشفة فى مناطق شتى من مصر البطلمية، الرومانية.

(٨) وهى الجزئية التى ضمنها الفيلم الأمريكى الحديث عن "Alexander The Great" بطولة ميل جيبسون، وأخرين، منذ نحو ٥ سنوات مضت.

(٩) التنين (dragon)، هو ثعبان ضخم، وطويل، ذو رأس كبيرة، وله صلصلة عند زحفه، راجع:

An intermediate Greek - English lexicon , an intermediate Liddell and Scott's , Oxford (7 th ed)1968, p 211.

(١٠) ويقصد المؤلف بذلك إله النبوءة فى الصحراء الغربية، المصرية الآن، وتحديدًا فى واحة سيوة التى زارها الإسكندر فيما بعد.

(١١) هنا يؤكد المؤلف كالليسثينيس اعتماد الساحر أو الكاهن (مفسر الطوالع) على توفيق الرب الإله فى عمله، وأن الفضل يرجع إلى ذلك أولاً، ثم درجة إتقان كل منهما لعمله، مما يفسر عمل المؤلف نفسه

بوصفه كاهنًا وساحرًا أيضًا.

(١٢) هنا يقصد الكاتب / المؤلف لهذه السيرة الأسطورية للإسكندر الأكبر بتلك العاصمة، بأنها هى بابل، عاصمة العراق القديم منذ القرن ٦ ق. م، ولكن هذا الخبر ليس مؤكدا، إذ لم يعلن القائد المقدونى أنها هى عاصمة ملكه، ولم يذكر ذلك أى مصدر كلاسيكى قديم، وما ذلك إلا استنتاج له من خلال المادة التاريخية المؤكدة عند كثير من المصادر الكلاسيكية، بأن الإسكندر عاد من غزواته واستقر فيها، حيث مرض ومات فيها.

(١٣) وهذا تأثير واضح من رموز الحضارة المصرية القديمة على عقل وإيمان ذلك الكاهن / المؤلف (الأجنبى)، فسجله هنا وكأنه رمز لكل الملوك، بل كان فقط لفراعنة مصر، ويرسم أو ينحت على تيجانهم.

(١٤) هذا السرير (KuophÓro) لم يتم الكشف الأثرى عن مثيله، وما عثر عليه هو كرسى الولادة فى أماكن عدة من مصر البطلمية الرومانية.

(١٥) هناك أقوال متشابهة لهذا فى سيرة ميلاد السيد المسيح عليه السلام، من بعده، فضلاً عن روايات السيرة النبوية لسيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام) بعد مرور أكثر من ٨ قرون.

(١٦) وهى لفظة واسم قديم، كان هوميروس فى الإلياذة قد أطلقه على باريس (Paris)، ابن ملك طروادة، الذى تسبّب فى الحرب بخطفه هيلين (Helene) الجميلة من إسبرطة. وهى كلمة مركبة وصفة تعنى الرجل المدافع المحارب، وتتكون من الفعل (aléxo) = أدافع، ثم (aner) = رجل، راجع:

Liddell and Scott"s Dict ., op.cit.,p.34.

(١٧) وهذا أيضا لم نجده فى أى تمثال لرأس الإسكندر، من أية مادة، ولو كان الأمر حقيقة واقعة لرسمه ولونه النحاتون فى التماثيل الكثيرة. راجع محمود السعدنى، الإسكندر الأكبر (تاريخه وقبره وآثاره) دار الفكر العربى، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ص ص ٨٠، ٨١ .

(١٨) هنا يحاول الكاتب كالليسثينيس (المزيف) أن يبرر ألوهية مولده من ملامحه الخارجية، من وجهة، ولكن آثار فرجينيا الحديثة لمكتشفها مانوليس أندرونيكوس (منذ عام ١٩٧٩م) وبخاصة فى قطع العاج الصغيرة، تؤكد عكس ذلك، راجع داليا درويش تماثيل الإسكندر الأكبر، كلية الفنون الجميلة، القاهرة، ٢٠٠٥.

(١٩) وهنا عناوين جانبية من فهمنا للمتن وموضوعاته.

(٢٠) the Oxford Classical Dictionary , London 1910 (smaller) 1940, pp.71-73.

من مواليد ستاجيرا، فى خالكيذيكى، القريبة من مقدونيا.

(٢١) هى إحدى جزر البحر الإيجى، جنوب ثاسوس، وفى مواجهة شبه جزيرة خالكيذيكى فى أقصى الشمال الشرقى لليونان. راجع.

Blue Gurde Greece , Geeat Britain, London 1981,Ma P 14.

(٢٢) محمود السعدنى، المرجع السابق، ص ٢١١، شكل رقم (١).

(٢٣) بيجاسوس (pegasos)، هو الحصان المجنح الذى كانت الآلهة فوق جبل الأوليمبوس تركبْه وتنتقل به، وظل فى السماء إلى جانب النجوم كحصان لربات الفنون راجع:

O.C.D.,op .cit p.392.s,v,Pegasus..,

(٢٤) وهذه القدرة الرائدة الدالة على لياقة عالية، صوّرها وسجلها لنا فى أكثر من منظر فيلم "الإسكندر الأكبر" عن السينما الأمريكية، بطولة ميل جيبسون، واستنادا إلى هذه الرواية الخيالية التى بين أيدينا.

(٢٥) وهذا غير صحيح، أثريا، كما قلنا فى هامش (١٧).

(٢٦) وهنا أيضا يؤكد المؤلف على درايته وعلمه التام بالأساطير اليونانية القديمة، كما جاءت عند هوميروس.

(٢٧) هنا مغالطة تاريخية مقصودة؛ حيث يعتبر الكاتب لهذه الراوية الخيالية أن مقدونيا كانت جزءا من اليونان، وهذا غير صحيح فى ذاك الوقت.

(٢٨) هو منبع مياه نظيفة للغاية، ودائمة الجريان - تخرج من بين صخور التل الجبلى الذى يشرف على مكان معبد الإله أبوللون، على الجانب الجنوبى من هضبة بارناسوس، راجع:

(Smaller Chassical dictionary , op.cit., pp.182-183, s.v Delphi).

(٢٩) عن البطل الأسطورى، هيراكليس وأعماله البطولية الاثنى عشر، ونسب الغزو الدورى لليونان عام ١٢٥٠/١١٥٠ ق.م، إلى: عودة آل هيراكليس، راجع S.O.C .D., op . cit ., pp252- 257

(٣٠) لم يذكر المؤلف أسباب تلك الشكوك، إلا لكونه لا يشبه والده، وهذا غير صحيح! وذلك استناداً إلى تماثيل صغيرة من العاج له ولوالده من مقبرة فيليب الثانى، الوالد، الذى كان الإسكندر، الابن، قد شيدها لدفن والده قبل مقتله، وهى معروفة الآن، فى مدينة فرجينيا (Vergina)، عاصمة مقدونيا القديمة، بفضل حفائر أندرونيكوس منذ عام ١٩٧٩.

(٣١) حول تاريخ تلك الألعاب وأيامها وفلسفتها، راجع محمود السعدنى، المرجع السابق ص ص ١٥٢-١٦٥.

(٣٢) هى عاصمة إقليم أوليمبيا (OLympia)، حيث كانت هذه المدينة هى المسئولة تاريخيًا، عن الإشراف على الاحتفالات الأوليمبية فى شمال غرب البيلوبونيز بجنوب اليونان، راجع محمود السعدنى، المرجع نفسه.

(٣٣) أكارنانيا (Acrnania) هى أحد أقاليم اليونان الغربية ولم يذكر هوميروس أهلها، ولكنهم ظهروا فجأة منذ عام ٤٣١ ق. م وكانوا مشهورين بخشونتهم وشجاعتهم راجع،S.O.C. D.,op.cit., p . 203.

(٣٤) هذا المثل اليونانى يقابل عندنا، نحن العرب، مثلاً يقول: "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها".

(٣٥) كبير الآلهة اليونان، الاثنى عشر، فوق جبل أوليمبوس (Olympos)، شمال شرق اليونان، وعن الآلهة وأدوارها، راجع محمود السعدنى ، المرجع السابق، ص ص ١١٨-١٢٨.

(٣٦) هنا نرى المؤلف ولم يترك فرصة لإظهار علمه بالتراث الأدبى اليونانى الأقدم، عند شاعرهم الأشهر، هوميروس، فأتى بهذا التشبيه من ملحمة الأوديسيا.

(٣٧) هنا يناقض الكاتب نفسه فيما ذكره من قبل حول اعتراف أوليمبياس للملك فيليب بذلك.

(٣٨) هذه الإشارة - هنا - هى الأصل اليونانى الأول، الذى نقل عنه بعد ترجمتها إلى العربية فى العصر العباسى غالبا، المؤرخ الطبرى.

(٣٩) هنا يحاول هذا المؤلف، المجهول الهوية حتى الآن والمدعو كاالليستينيس المزيف، أن يستخدم الإسكندر، فى روايته، لكى يدافع عن الحضارة اليونانية القديمة، ودون سند تاريخى حقيقى حول تلك المواقف.

(٤٠) هى عاصمة الشمال اليونانى الآن، وبها جامعة مقدونيا.

(٤١) ربما كانت هذه الحرب، المشار إليها هنا هى لإخماد ثورة مدينة أخرى فى إقليم ثراكى (Thrake) غير ميثونى التى كانت قد أعلنت العصيان على سيادة فيليب عليها فأرسل إليها الإسكندر.

(٤٢) يطلق على مثل هذه التماثيل الضخمة (Colossal)، أى أكبر من الحجم الطبيعى، وتسمى باليونانية (Kolossaia / andrianta) راجع محمود السعدنى: "العلاقات المصرية - القبرصية " ندوة كلية الآثار بجامعة القاهرة، أبريل ٢٠١٠ (تحت الطبع).

(٤٣) هنا مخالفة تاريخية ظاهرة وخطأ مقصود من الكاتب، المؤلف المجهول؛ حيث يستنطق الإسكندر بكلمات ومواقف وكأنه يونانى.

(٤٤) هذه عادة رومانية تمت فى عهد أوغسطس (٢٨ق.م -١٤ م) وليست يونانية أو مقدونية، ولذا فهذا تأثير لروح العصر الذى كان يعيشه المؤلف لهذه الرواية.

(٤٥) هذه العبارة ترجمتها الحرفية هنا تؤكد ما توصلنا إليه فى الهامش اللاحق.

(٤٦) هنا تبرز أهم سمات القائد الناجح فى كل وقت وحين وفى أى مكان كان؛ إذ كان الإسكندر قائدا قدوة على رأس أى قوات.

(٤٧) هذا المصطلح السياسى هنا، بميزات الإسكندر للملك بعد والده فيليب، ليس دقيقا ولماذا كانت الجماهير تملأ المسرح، فالنظام المقدونى كان عسكريا وليس ملكيا وراثيا إلا للأقوى، ولذا كان ينافس أنتيباتروس فى قوته.

(٤٨) كان خطيبا أثينيا قويًا، عارض كل مخططات فيليب فى السيادة على اليونان، فكتب عمله: "ضد فيليب"

(taphilppika) وكان يحرِّض أهل أثينا للثورة عليه.

(٤٩) كانت قد وقعت عام ٣٣٨ ق.م، حيث لقيت القوات الأثينية مع قوات طيبة هزيمة ثقيلة راجع لطفى عبد الوهاب، اليونان (مقدمة فى التاريخ الحضارى) الإسكندرية، (د.ت) ص ١٨٤.

(٥٠) هذا الخبر هو الأصل فى رواية السيرة النبوية المحمدية الكريمة لدور العنكبوت بوصفها معجزة ربانية أيضا فى إخفاء الرسول الكريم وأبى بكر داخل غار حراء عن أعين الكفار.

(٥١) وبذلك يكون هذا الخبر - إن صحت روايته هنا - هو الأصل الذى نقلت عنه المصادر القديمة اللاحقة فيما قيل وألصق زورا وبهتانا للإمبراطور نيرون، راجع محمود السعدنى، تاريخ مصر فى عصر الرومان، سلسلة قراءات فى التاريخ القديم (٤) القاهرة ٢٠٠٨ص ص ٦٣ - ٧٨ ' نيرون واليهود.

(٥٢) ذات المستويات الثلاثة للمجاديف.

(٥٣) التالنت (talent) هو أكبر عملة فى ذاك الزمان، وهو اختراع نقدى يونانى الأصل ويساوى - أنذاك - ما قيمته اليوم ٢٤٠ جنيهًا إستيرلينيًا . S.O.C.D. op.,cit.p 490

(٥٤) هو نفسه دارا، كما يرد فى المصادر والمراجع العربية.

(٥٥) هكذا كانت تركيا الحالية تسمى فى المصادر القديمة اليونانية واللاتينية.

(٥٦) هذه رواية غريبة حقًا - كما وصفها المؤلف المجهول للنص الذى بين أيدينا - وربما تشى بتفصيلها هذا، بأن ذلك المؤلف كان يهودى الديانة، فاستعار من تراثه الأقدم، قصة عبور موسى، (زمن الخروج Exodos) من مصر وعبوره بمعجزة للبحر.

(٥٧) هذا الاسم هو الأول فى ترتيب الأسماء الرومانية القديمة، وليس نقدا له، مما يجعل تاريخه مستحيلا ويشى باختلاق القصة كلها كما قلنا.

(٥٨) هذه اللفظة تعنى فى القاموس: لتر / أو جنيه (!!!) راجع Divryes English - Greek & English Lexikon Athena 1950,.p330.

(٥٩) هذه هى الرواية الوحيدة، فى عمل أدبى قديم، التى تشير إلى اتجاه حملة الإسكندر غربا، صوب صقلية وإيطاليا.

(٦٠) قرطاجة (Carthago)، وهى عاصمة مملكة القرطاجيين الفينيقية منذ القرن ٨ ق.م على أرض تونس الحالية، وكانت قد دخلت مع روما فى حروب طويلة ثلاث كانت سجالا بينهما إلى أن دمرتها روما تماما فى ١٤٦ ق. م، ويبدو أن مؤلف الرواية هنا قد خلط بين الإسكندر المقدونى وبين فيليب والإسكندر بن فيليب والإسكندر بيرهوس (Pyrrhus) ملك إبيروس الذى استنجد به يونانيو جنوب إيطاليا ضد الرومان مطلع القرن ٣ ق م. راجع محمود السعدنى، تاريخ وحضارة الرومان، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٩٥.

(٦١) وكانت هذه الجزيرة غير معروفة لنا، حتى الآن، على خريطة المنطقة من حوض البحر المتوسط الشرقى.

(٦٢) ويقصد اليوم تحديدا واحة سيوة كما أكدت لنا ذلك آثار الواحة منذ أن زارها فى منتصف القرن العشرين عالم المصريات المرحوم أحمد فخرى.

(٦٣) طبع النقش كان - بالضرورة - باللغة اليونانية القديمة، كما صاغه سليما مؤلف الرواية التى بين أيدينا، كاالليستينيس المزيف.

(٦٤) وهى مدينة مطروح الآن، فى أقصى الساحل الغربى للحدود المصرية وباللاتينية (Paratonium).

(٦٥) هى نفسها منطقة تابوسيريس، غرب الإسكندرية الحالية، وتم تحريف حرف (-ph-) إلى حرف P، وهو أمر مقبول جدا بمرور الوقت فى علم اللغة.

(٦٦) نسبة إلى جزيرة رودوس (Rhódos)، وهى من أكبر جزر اليونان الشرقية، وفيها أكبر الأسواق التجارية القديمة، مثل لندوس وياليسوس.

(٦٧) نقراطيس (أو ناوكراتيس: .Naukrates)، هى أقدم مستعمرة يونانية على الأرض المصرية، منذ عام ٦٠ ق.م تقريبًا - راجع محمود السعدنى، " العلاقات المصرية - اليونانية القديمة " ندوة مصر وعالم البحر المتوسط، آداب القاهرة - قسم التاريخ، تحرير أ.د رؤوف عباس، القاهرة ١٩٨٦.

(٦٨) هذا رأى إدارى رائع ورؤية سكانية سلمية ـ جاءت - ضمن سرد الرواية الذاتية، "سيرة حياة الإسكندر" مما يدل على خبرة المؤلف الكامن والعراف مجهول الاسم والحامل لاسم تقريبى من شراح النصوص القديمة وهو كاالليستينيس المزيف (المترجم).

(٦٩) هذا خلط تاريخى وكان هيرون تاليًا على وجود الإسكندر.

(٧٠) سبق الحديث عنه، فى هامش (٧٥).

(٧١) هذا رأى إدارى رائع ورؤية سكانية سلمية - جاءت - ضمن سرد الرواية الذاتية، "سيرة حياة الإسكندر" مما يدل على خبرة المؤلف.

(٧٢) هذا رأى إدارى رائع ورؤية سكانية سلمية - جاءت - ضمن سرد الرواية الذاتية، "سيرة حياة الإسكندر" مما يدل على خبرة المؤلف.

(٧٣) لم يتم الكشف عن هذه اللوحة التأسيسية، المهمة، حتى الآن، إذ يبدو أن الخبر التاريخى الأثرى هنا هو فعلا من بنات أفكار مؤلفنا الخيالى.

(٧٤) هذا كلام غير مهم، على إطلاقه، ولم يذكر الراوى/ المؤلف هنا أى تاريخ محدد، لعام محدد، من التاريخ القديم، ولذا، وجب التنويه بعدم دقة الكاتب!.

(٧٥) هذا الوصف لا ينطبق فى كثير أو قليل، على طبوغرافية الإسكندرية القديمة أو حتى الحديثة فلا يوجد

فيها سوى هضبة طبيعية واحدة هى كوم الشقافة.

(٧٦) أى أن ذلك العبد كان موجوداً قبل الإسكندر بزمن، ووجده القائد المقدونى فوق ذاك التل العالى، وكان يكرس لإله الشمس، رع المصرى من الأسرة ١٩، وهو الأثر الباقى فعلا، على هيئة قواعد أعمدة وتمثال أبو الهول.

(٧٧) محمود السعدنى، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤ م، ص ص: "سياسية البطالمة الأوائل".

(٧٨) وكان ذلك هو المعتاد، فى الزمن القديم، سواء فى اليونان أو فى مصر وعادة ما كان يغطى بصفائح الذهب على سطحه الخارجى، وذلك إبان عصور ما قبل الفترة الكلاسيكية اليونانية، أى ما قبل ٤٨٠ سنة ق.م بالضبط، كما كان تمثال أثينة بارثينا فى معبد البارثينون فوق الأكروبولس، راجع محمود السعدنى "البارثينون: بين الأثر والآثار "المؤرخ العربى" القاهرة ٢٠٠٠.

(٧٩) لا ندرى أى مكان يقصد الكاتب/ المؤلف - الكاهن، فربما كان ذلك موجوداً آنذاك (فى القرن ٣ الميلادى) غرب الدلتا، بحذاء فرع النيل الكانوبى، أى فرع رشيد الآن.

(٨٠) هكذا ورد اسمه فى الوثائق (سواء النقوش أو البرديات) إما بالألف أو "بالياء" وليس ذلك خطأ.

(٨١) هذا الكلام غير دقيق، ويتجاوز روح العصر القديم، لدى الطبقة المهيمنة على مقدرات المصريين القدماء وهم الكهنة، فلا يصح تبسيط المواقف التاريخية واختزالها فى جمل قصار! راجع محمود السعدنى، المصريون ضد البطالمة. فى كتاب: تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٤، ص ص ٧٤ - ١١٠.

(٨٢) ويقصد به البازلت، ذا اللون الأسود.

(٨٣) هذا السلوك الإلهى، المستهجن من البشر، فى حضارات الشرق القديم، وبخاصة مصر، إذ يستخدم ذلك للتكريم، والتبجيل والتقديس الكبير، وبالتالى يتعمد الكاتب أن يتملق اليونان على حساب مصر وحضارتها ورموزها من الفراعنة القدماء.

(٨٤) هى نفسها "بيوزيون" - باليونانية القديمة (Pelousion)-، وهى الفرما الحالية، وبذلك يكون المؤلف - كاتب هذه السيرة - قد أغفل عمداً زيارة الإسكندر التاريخية إلى واحة سيوة؛ حيث نبوءة الإله أمون رع، المعروفة لليونان من قبل الإسكندر بأكثر من قرنين من الزمان.

(٨٥) هكذا عودنا المؤلف المجهول عند تأليفه لسيرة الإسكندر، التى بين أيدينا، على تفسير الأحداث التاريخية المعروفة لدى من سبقوه من المؤرخين، عن طريق الأحلام، عند كل موقف، مما يشى تماماً، بكونه كاهناً مخضرماً.

(٨٦) وهى طرابلس فى لبنان الآن، وتعنى بلفظها اليونانى "المدينة الثلاثية".

(٨٧) هذه العادة فى العقاب والتعذيب من المنتصر للمهزوم ليست سائدة عند الفرس طيلة مشوارهم الطويل

فى تاريخ الحضارة، ولكنها ارتبطت بالرومان وخاصة إبان وجودهم فى الشرق القديم منذ عام ١٦٤ ق.م خاصة صلب السيد المسيح.

(٨٨) هذا هو الخلط الحضارى والتاريخى، عن قصد، من المؤلف/ المجهول لهذه السيرة؛ حيث يجعل الإسكندر يونانيًا (وهو ليس كذلك)، بل مقدونى، من مملكة مغايرة تمامًا لليونان وكانت معادية لها كما عرفنا من مشاريع فيليب السابقة.

(٨٩) كل تلك الرسائل والأحاديث على لسان أبطال الرواية هى بالضرورة من وحى خيال الكاتب، المؤلف، المجهول الهوية.

(٩٠) هذه المعلومة الجغرافية هى تالية - تاريخيًا - على وجود الإسكندر وحملته؛ لأن أريستارخوس السكندرى (من علماء الموسيين فى الإسكندرية البطلمية أى بعد موت الإسكندر، وتحديدًا فى عهد بطلميوس الثانى (٢٨٦ - ٢٤٦ ق.م) هو الذى اكتشف ذلك، وبالتالى فهذا خلط تاريخى من المؤلف وإظهار بالعلم وباعتباره كاهنًا سكندريًا لاحقًا على الأحداث.

(٩١) ختم الإسكندر لرسالته يؤكد سريتها وكونها كانت فى صورة لفافة بردية.

(٩٢) قطع النرد للعب الطاولة وكانت لعبة الأمراء والقصور، منذ تاريخ طويل، وهى لعبة الحظ، (Tyche).

(٩٣) النص اليونانى يستخدم كلمة (sóma) أى جسد، وجاء تعبيره كالتالى: (sóma mé sóma)، أى مواجهة جسدًا بجسد، مما يعنى الالتحام التام، بالسلاح الأبيض، ولكننا فضلنا التعبير العربى الشائع عندنا.

(٩٤) وهذه العادة الشرقية، أصلاً، وهى (Proskynesis)، أى السجود فى حضرة الملك، عُدَّت فيما بعد (بعد تمام انتصار الإسكندر على العرش) سببًا جوهريًا فى خروج ضباط الإسكندر وقادته عليه كطاغية وبسبب انحيازه للفرس، وحرسه الخاص، وتكريمه وفق التقاليد الشرقية، بل والتآمر على حياته نفسها.

(٩٥) هنا مغالطة تاريخية وحضارية كبيرة، إذ يجعل المؤلف/ الكاهن الإله زيوس، رب الأرباب اليونانى، إلهًا للملك الفارسى أنذاك، بل هو - حسب وصفه - أبوه دون أن يذكر كيف حدث ذلك.

(٩٦) هنا خلط تاريخى واضح مع أعمال وشخصيات الإسكندر المختلفة. راجع عبد العظيم الراعى، دراسات فى التاريخ القديم (مقدونيا)، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٩.

(٩٧) هذا نوع من الدعاية السياسية للغازى، من قبل مؤلف تلك السيرة، لأن الواقع التاريخى لا يمكن أن نعلمه بيقين تام، ولا سيما أن المسافة المذكورة تاروى نحو ١٢ ك. م وكانت المطاردة ليلاً، مما يجعل الخبر غير منطقى.

(٩٨) كان هذا المصطلح "البرابرة (Barbaroi)، يُستخدم بين اليونانيين القدماء، منذ هيرودوت (فى القرن الخامس ق.م) للإشارة إلى الأجانب بوجه عام.

(٩٩) هنا يتحدى القائد المقدونى، كاسـاندروس، أى إنسان، حتى ولو كان يونانيًا شجاعًا، مما يؤكد الاختلاف العرقى والحضـارى بين اليونان ومقدونيا، صـاحبة الحملة، فكرة وتنفيذ وقيادة بأوامر من الإسكندر المقدونى.

(١٠٠) S.O.C.D., p392 op.. cit. s.v" Phrygia".

(١٠١) Ibid., p. 447, s. v." Scamander".

(١٠٢) bid., P. 5, s.v. "Achilles".

(١٠٣) Ibid., P. 20, s.v. "Agamemnon".

(١٠٤) هنا يقع المؤلف فى خطأ جغرافى، ويجعل الحملة تعود من حيث بدأت، لأن الإسكندر بهذا بعد أن وصل إلى مصر وسوريا، عاد، عبر آسيا الصغرى، إلى الأراضى الشمالية، لمملكته مقدونيا. وهذا غير صحيح تمامًا.

(١٠٥) هذا الكلام، هو بالضرورة، من حكم هذا الكاهن/ المؤلف/ كاتب هذه السيرة للإسكندرية، وليس يقينًا من كلام الإسكندر، لأنها هى مفردات خبرات السنين، ولا تتأتى لشاب.

(١٠٦) هنا اسـتحالة جغرافية وقتالية، حيث لا يمكن لقوات من أى نوع وأى قدرات أن تنتقل من شـمال اليونان، فى لوكرى، إلى جنوب صقلية بعد يوم واحد فقط، وكان راحة للقوات، فكيف حدث هذا؟ إذن، هذا دليل قوى جدًا على فبركة القصة كلها، وينفى يونانية الأصل عن كاتبها.

(١٠٧) وهو الموقد المعدنى المقدس، ثلاثى الأرجل، حيث توضع فيه البخور، وتُشعل فى داخله النار المقدسة، جزءًا من طقوس النبوءة.

(١٠٨) S.C.D., op.cit, pp 252-257, s.v. Heracles.

(١٠٩) S.C.D., op.cit., P. 171, s.v. Croesus

هو ملك مشهور بثرائه وقصته مع سولون، المشرع الأثينى الحكيم، حول أسعد الناس فى الدنيا وهذا هو النطق اليونانى الحديث لهذا الاسم، بينما القديم الرويسوس.

(١١٠) S.C.D., op cit., pp 500 - 501, s.v. Thebae, وهى عاصمة إقليم بيوتيا (Boeotia)، شمال غرب أثينا (عاصمة اليونان). وكان هوميروس (فى القرن ٩ ق.م) والسبب وراء تسمية مدينة طيبة المصرية (الأقصر/ الحالية).

(١١١) S.C.D., op. cit., p. 112, s.v. Cadmus.

وهو ملك فينيقيا الأسطورى، الذى هاجر إلى اليونان، وأقام مملكته فى منطقة طيبة (Thebais)،

التابعة لإقليم فوكيس، وساعدته الإلهة أثينة وسلمت له بحكم طيبة. والغريب أن المادة الأثرية المتاحة حتى الآن فيها بعض المتشابهات مع بعض العناصر المعمارية الشرقية (المصرية تحديدًا) مثل بناء المقابر تحت الأرض، منذ نحو ٢٠٠٠ ق.م.

(١١٢) S.C.D.op.cit.,pp. 193 -194, s.v. Dionysus هو إله الخمر والمجون.

(١١٣) Ibid., P. 457, s.v. Semele.

(١١٤) Ibid., op. cit., pp. 250 - 251, S.V. "Hera"

(١١٥) Ibid., p. 85, Athena, (Pallas)

وهى ابنة زيوس، وحامية مدينة أثينا، عاصمة اليونان القديمة، وحتى الآن.

(١١٦) هنا يحاول المؤلف/ الكاهن/ السكندرى أن يبرز علمه الغزير بالأساطير اليونانية القديمة ورموزها من الآلهة وعلاقاتها بالبشر.

(١١٧) S.C.D., Op. cit., P. 394, s.v. Pindarus

هو شاعر غنائى يونانى قديم، كان قد ولد فى إحدى قرى إقليم طيبة، نحو عام ٥٢٢ ق.م، ومات عن عمر يناهز الـ (٨٠) عامًا، وأشهر أعماله حول الدورات الأوليمبية (Olympiaka).

(١١٨) Ibid., pp. 194 - 195, s. v., Dioscuri,

ويعرفان فى الأدب الرومانى / اللاتينى - باسم كاستور (Castor) وبولوكس (Pollux) وكان قد قُتل فى مباراة ملاكمة، وخلدته الآلهة.

(١١٩) Ibid., PP. 257 - 258, s. v. Hermes,

هو أحد أبناء زيوس، وكان قد ولد فى كهف، وهو مخترع القيثارة (lyre) من صدفة السلحفاة.

(١٢٠) راجع محمود السعدنى "لعبة البانجراتيون" مؤتمر تاريخ الرياضة، جامعة المنيا ١٩٨٦.

(١٢١) المرجع نفسه، ص ص ١٥٣ - ١٥٦: تاريخ الألعاب الأوليمبية القديمة.

(١٢٢) انظر هامش (١٢٠).

(١٢٣) راجع محمود السعدنى، تاريخ وحضارة اليونان، القاهرة ٢٠٠٠، ص ص ١٤٤-١٧٥: "الفكر الدينى الأسطورى"، وكانت تقام كل سنتين تكريمًا للإله بوسيذون، إله البحر.

(١٢٤) يبدو أن المؤلف/ الكاهن/ لم يكن لديه علم كاف عن تلك الألعاب، فلم تكن المصارعة تشتمل على إمكانية الضرب، بل كانت اللعبة الثانية (البانجرايتون) هى التى تشمل الضرب والركل معًا.

الكتاب الثانى

(Biblio B')

١ - الإسكندر فى بلاتايا وأثينا

ومن كورينثوس توجه الإسكندر إلى مدينة بلاتايا (Plataia) حليفة الأثينيين، حيث تُعبد الربة أثينة (Athénma). وقد تصادف دخول الإسكندر إلى حرمها المقدس مع قيام كهنتها بنسج ردائها الجنائزى المقدس، فوقف أمام ذلك، وأبدى اهتمامه. عندئذ قالت له كاهنة معبد هذه الإلهة: **"أيها الملك الأعظم، لقد جئت فى ساعة مباركة، ولسوف تصير مشهورًا، ويبزغ نجمك ويتلألأ فى كل مدينة"**. ولقد كافأها الإسكندر المقدونى بالذهب لهذه النبوءة الطيبة.

وبعد عدة أيام قلائل دخل إلى حرم الإلهة أثينة جنرال أهل بلاتايا، الحاكم، المدعو ستاساجوراس (Stasagoras)، فتقول له كاهنة المعبد: "يا إستاساغورا(*)، لقد تم عزلك من منصبك فعلاً". فما كان منه إلا أن صرخ، غاضبًا، وصاح قائلاً: "إنك لست جديرة بالنبوءة؛ لأنك بمجرد أن دخل عليك الإسكندر تملقته ومدحته، وتقولين لى، أنا، إنك سيتم عزلك! فردت الكاهنة عليه بيقين وتأكيد: "لا تغضب، إن الآلهة، من خلال الطوالع والفأل، يكشفون عن كل شىء للبشر، وبخاصة فيما يتعلق بالمشاهير؛ لأنه عندما دخل

(*) هى قراءة يونانية حديثة، وقد فضلناها على سابقتها؛ لأنها أسهل على اللسان.

الإسكندر إلى المعبد، تصادف إعداد ملابس تمثال الإلهة وزينته، ولذلك جاءت النبوءة كذلك. أما أنت، فعندما دخلت إليه، كان رداء الإلهة قد إنتهى إعداده، وتم تنظيف النول، ولذا وجب أن تدرك أنك على وشك أن تُعزل". عندئذ حرم إستاساغورا الكاهنة من وظيفتها فى النبوءة، وقال لها: "أنت، التى سوف تذهبين وتتركين مكانك". وما إن علم الإسكندر بالواقعة، حتى أمر فوراً - بطرد إستاساغورا من منصبه، وأعاد الكاهنة إلى وظيفتها.

ودون أن يشعر بذلك الإسكندر، فرَّ إستاساغورا ولجأ إلى أثينا، وروى للأثينيين تفاصيل ما جرى، وهو يذرف الدموع، وكيف أن الإسكندر عزله، وكانوا هم، أى أهل أثينا، هم الذين عيَّنوه فى منصب الجنرال الحاكم. ولما استشاطوا غضباً، بدأ الأثينيون فى أن يلعنوا الإسكندر ويشتموه، ولكنه بمجرد أن علم بما جرى أرسل إليهم الرسالة التالية:

"إن الملك الإسكندر يتوجه إلى الأثينيين: لما كنتُ قد توليت عرش المملكة، فى مقدونيا، بعد موت أبى، وتم الاتفاق بينى وبين المدن والبلدان الأخرى، الواقعة غرباً، عن طريق تبادل الرسائل، على الرغم من أنها كانت، بالفعل، حليفة لى، فإننى قد أكدت لهم التحالفات، فيما بيننا، ناصحاً إياهم أن يظلوا على ولائهم مع المقدونيين." ويستمر فى خطابه إليهم فيقول:

"لقد أعلنت تلك المدن والبلدان تأييدها لى بوصفى ملكا، فأمَّنتهم، وأقررت - بفضل شجاعتهم - على إدارتهم لأوربا. أما أهل طيبة، الذين سلكوا سلوكًا مشينًا، فقد دمرتهم تدميراً كاملاً، وحولت مدينتهم إلى أنقاض. والآن، وقد توجهت بحملتى ضد آسيا، فإننى قلت للأثينيين أن يعتبرونى جديراً بثقتهم، وها أنا أبادر بنفسى أولاً فأتوجه إليكم، بسبب عدم التزامكم، وعدم طاعتكم، وذلك فى رسالة موجزة إليكم تذكركم بالثوابت فى علاقتنا. إن على القادة والزعماء، وليس الرعايا، أن يُقدموا على مبادرات، ولذا فإنه يجب عليكم أن تطيعونى، أنا الإسكندر، ولتكن، بين أيديكم، إذن،

الهيمنة القاهرة، وإلا فإنكم ستخضعون للأقوياء فيما بينكم، وعليكم أن تدفعوا لى – كل عام – ألف تالنت، جزية منكم إلىَّ".

ولما قرأ الأثينيون رسالته إليهم أجابوا عليها قائلين: "إن مدينة الأثينيين، وخطباءها العشرة الأُوَل، نتوجه جميعنا إلى الإسكندر بحديثنا هذا: إننا، عندما كان أبوك على قيد الحياة، كنا حزانى وغير سعداء، وعندما مات، أسعدنا ذلك وفرحنا، متذكرين أن فيليب كان شرًا ووبيلاً[١]. وإننا، الآن، نشعر بذاك الإحساس تجاهك أنت، يا أجرأ ابن لفيليب! إنك تطلب منا ألف تالنت، جزية سنوية، نحن الأثينيين، مما يعنى أنك تود حربًا بيننا، وذلك استنادًا إلى ما تتمتع به من مثل ذلك الفكر الشجاع. إنك إذا كُنت تعنى شيئًا شبيهًا بذلك، فاستعد. إننا نحن جاهزون!

ويرد الإسكندر عليهم بقوله:

"إننى قد أرسلت إليكم فعلاً، القائد ليونديس (leontes)، من بين مجلسى العسكرى، حتى يقطع ألسنتكم، ويحضرها إلىَّ كما يسوقكم أمامى (مقيدين فى الأصفاد/ أسرى)[٢]، خطباءكم السَّفلة الذين سأشعل فيهم النار، وكذلك فيكم، وبالمثل فى ألهتكم، الحامية الربة أثينة، ذلك لأنكم لم تنفذوا ما أمرتكم به. سلموا إلىَّ إذن الخطباء العشرة الأوائل، حتى يمكننى أن أقرر أيهم أُفضّل لكم، وأن أعفو عن ألهتكم".

ولما أجاب الأثينيون على الإسكندر بقولهم: "لا، ببساطة شديدة" اجتمعوا فى اليوم التالى، فى الجمعية العامة لحيهم، الإكليسيا (ekklesia)[٣]، حتى يقرر المواطنون، ماذا عساهم أن يفعلوا. وبينما كانوا مجتمعين، قام الخطيب أسخنيس (Aischines)[٤]. وقال لهم:

"أيها الرجال الأثينيون، لماذا يتأخر اجتماع مجلس الشورى (boulé)؟ إنكم إذا قررتم أن ترسلونا، فإننا سنذهب بحماس. إن الإسكندر هو ابن فيليب، ولكنه هو

السبب فى أن ختم على شخصية ابنه، وذلك بدافع إهانات أعدائه، بينما الإسكندر قد تربى ونشأ على دروس أرسطو وتعاليمه (Aristotetes)[٥].

ولما كان إنسانًا متعلمًا، فإنه قد مَدَّ إلينا يده بالصداقة، ومن ثم فإنه سيشعر بالخزى، عندما يرى أساتذته، كما سيحمر وجهه خجلاً، إذا رآنا نحن الذين علمناه، كيف يتصرف ويسلك سلوك الملوك فى مملكته. ومهما كان رأيه فينا، فإنه، فى النهاية، سيكون ممنونًا وشاكرًا أمامنا".

وبينما كان أسخنيس يتكلم قام ديمازيس (Demades) الخطيب الجرىء، من مقعده، وقاطعه وقال له: "يا أسخنيس، إنك حتى الآن لا تزال توجه إلينا كلمات وأحاديث انهزامية ومائعة، حتى لا نقاوم الإسكندر فى حرب. فلماذا تلف وتدور فى المناقشة؟".

أيها الرجل الشجاع، ولماذا تقول لنا مثل هذه الأشياء؟ إنك أنت الذى أعطيت كل هذه النصائح، وأنت، أيضًا، الذى سمحت للأثينيين لكى يحاربوا ضد ملك الفرس. إنك، أنت نفسك، الآن، الذى تُفسد أخلاقيات الأثينيين وملأهم، وتجعلهم خائفين من هذا الطاغية، وذلك الطفل الصغير، غير المهذب، والذى يُكمل بذلك، فجاجة والده، فلماذا، إذن، نجبن فى أن نكوِّن حلفًا ضده؟ إننا نحن الذين طردنا الفرس، واستولينا على إسبرطة وأهلها، اللاكيديمونى، (Lakedaimonioi)، ونحن الذين هزمنا أهل كوريثوس، وأجبرنا أهل ميجارا (Megara)[٦] على الفرار، وحاربنا أهل فوكيس (Phokis)[٧] وتسيَّدنا على أهل زاكينثوس، (Zakynthos) فهل نحن -الأثينيين[٨]- سنخاف من أن نحارب الإسكندر؟

ثم ادار الحوار التالى بين الخطيبين، أسخنيس وديمازيس:

فيُصر أسخنيس على صديقه السابق، ويقول:

– أسخنيس: "إنه عندما يرى أساتذته، أى نحن، سيخجل من أن يواجه وجوهنا، وينظر إلى أعيننا".

– ديماذيس: (يرد عليه سريعًا) ويقول:

"إنه أهاننا جميعًا، فطرد إستاساغورا من قيادة الجيش، وهو الذى كنا نحن قد عيَّناه، وكنا نحن الذين نشرف على المدينة، بينما وضع هو عدونا كيثونون (Kithnon)، فى قيادة الجيش. كما انتقم منا، فعلا، فى بلاتيا، وأنت – الآن – تقول لنا، إنه سيخجل إذا رأى وجوهنا. إنه، على الأرجح، سيقوم بسلخنا، وتعذيبنا. ثم أضاف، بعد برهة، قائلاً:

"يجب علينا، إذن، أن نحارب الإسكندر، الناكر للجميل، وليس أن نثق فيه، وإذا كانت السن ميزة له، فإنه، انطفأ، لا يمنح له أية ثقة فيه. وإذا كان صحيحا أيضا أن أى إنسان لا يستطيع أن يحارب الشجاعة، فإنه – كذلك – لا يقدر على أن يفكر بطريقة سليمة. إنك من يجب ألا تنسى أن كسيركسيس (Xerxes) كان قد حاصر البحر كله – تقريبًا – بسفنه، وزرع الأرض كلها بقواته، وغطى الفضاء كله بأسلحته، وملأ بلاده، فارس، بالأسرى اليونانيين، ومع ذلك، فإننا نحن قد طردناه، وأحرقنا سفنه، عندما كان لدينا، فى جيشنا، أبطال ومحاربون أمجاد. فهل نجبن، الآن، فى أن نحارب الإسكندر، هذا الغلام الصغير، المتهور، **وجماعة من القادة والضباط الذين هم، أيضًا، أكثر سخافة منه؟ وكذلك تريدون، منا، أن نرسل إليه الخطباء العشرة الذين طلبهم. فكروا فيما فيه صالح مدينتنا، وهذا ما أقوله لكم، فقط، يا أيها الأثينيون، إن الكلاب، التى تنبح بقوة، وهو ما يحدث مرات عديدة، قد أنقذت قطعانًا بكاملها من الذئب، بينما كان رعاتهم خائفين!**

وبعد أن ألقى ديماذيس خطبته، وجَّه الأثينيون رجاءً إلى ذيموثينيس (Demos-thénes) – لكى يلقى عليهم خطبةً؛ يقترح عليهم وسائل إنقاذ مدينتهم، فقام من مقعده

وقال: "أيها المواطنون، ولن أقول أيها المواطنون الأثينيون، لأننى كنت سأقول الأثينيون إذا، كنت أنا أجنبيًا غريبًا عليكم، ولكن لست كذلك. إننى يمكننى أن أضيف إلى ما سبق، أن قرار الحرب أو الخضوع للإسكندر يخص إنقاذنا جميعًا. **وإذا كان أسخنيس واحدًا من المواطنين العقلاء والحكماء، والذى كان قد خطب فيكم فى اجتماعات عديدة، ولكنه بحديثه المائع أمامكم لم أفهم أنا إذا كان قد سمح لنا بأن نحارب أو أن نهادن.** وكذلك فإن ديماذيس، وهو شاب ومتحمس، قد قال لنا تقريبًا: وإننا قد طردنا كسركسيس بفضل محاربينا الأبطال، وآخرين أمثالهم؛ ولكن، يا ديماذيس، أعطنا الآن مثل أولئك، ولسوف نحارب، مرة أخرى، واثقين من أننا، نحن كذلك، نملك فى أنفسنا، شجاعة مثل السابقين علينا. أما إذا لم يكن لدينا مثلهم، فلا يجب أن نحارب. ذلك لأن كل عصر، **من العصور، له محركاته ودوافعه، الخاصة به، فضلاً عن أولوياته هو**[9]. إننا، نحن، الخطباء، قادرون على أن نصيغ الكلام، ونعد الخطب، ولكننا لسنا قادرين، بالكفاءة نفسها، على أن نخوض حربًا. أما فيما يخص كسركسيس، فإنه كان يملك جيشًا جرارًا، ولكنه كان أجنبيا متبربرًا، ولذا فإن حكمة اليونانيين وتعقلهم قد أوقعا به الهزيمة، **ولكن الإسكندر هو يونانى**[10] (Héllen)، ولم يخسر معركة واحدة، على الرغم من أنه خاض ثلاث عشرة حربًا، وأن معظم المدن قد قبلت زعامته لها دون قتال. ولقد قيل إن أهل صور كانوا ضعفاء، ولكنهم كانوا قد حاربوا كسركسيس فى معركة بحرية وانتصروا عليه، وأحرقوا سفنه. كما قيل، أيضًا، إن أهل طيبة كانوا كذلك، ضعفاء، وهم الذين لم يُهزموا من أحد قط، منذ تأسيس مدينتهم، ولكنهم الآن، عبيد للإسكندر. كما وصل إلى أسماعنا، أيضًا، أن أهل البيلوبونيز لم يُهزموا أمام الإسكندر، ولكنهم هُزموا بسبب المجاعة. ذلك، فإن الإسكندر عندئذ، أرسل إليهم قمحًا من مقدونيا. وعندما قال له أحد جنرالاته، وهو أنتيجونوس (Antigonos): "إلى هؤلاء، الذين ستحاربهم ترسل قمحًا؟"، فرد عليه الملك المقدونى، الإسكندر، قائلاً: "نعم، أرسل قمحًا، حتى أنتصر عليهم، أنا بنفسى، فى المعركة، وليس لكى تحصدهم المجاعة وتفنيهم".

وما إن انتهى ذيموثينيس من خطبته حتى بدأ الأثينيون فى موجة عارمة من كلمات المديح له، ولكن وافق ذلك، أيضًا، حالة من الهرج والمرج لا نهائية. فبينما كان ديماذيس صامتًا، كان إسخينيس يمدح ذيموثينيس، وخطب ليسياس (Lýslas)، فى الناس، وكذلك نقل أفلاطون (Platon) وجمع الآراء المختلفة. وكان معظم الحضور، أو كلهم، قد وافقوا مع كل ما قاله ذيموثينيس. ثم أضاف، بعد ذلك، متحدثًا عن موقف الإسكندر من اليونانيين، فقال: "ولكن الإسكندر، وهو يونانى[١١]، كان جيشه يحتوى على يونانيين، وكذلك قبض على يونانيين، فإنه لم يحتفظ بالأسرى كلهم، وبخاصة أولئك الذين قاوموه، ووقفوا ضده، وإنما أكمل حملاته وغزواته، واتخذ منهم، أى من منافسيه السابقين، حلفاء له، وصرح أمام الجميع، على الملأ، بأنه: "**لسوف أسود العالم، بالإحسان إلى أصدقائى، ومحولاً أو بتحويل أعدائى إلى أصدقاء**". **وقال كذلك لهم، ما** يلى: "إنكم أيها الأثينيون، لابد أن تشعروا بالخجل، وأنتم مدرسو الإسكندر، أن تظهروا وكأنكم غير متعلمين، ذلك لأن التلميذ قد يبدو، يومًا، أكثر حكمة من مدرسيه. **وليس هناك ملك يونانى قد غزا مصر أبدًا، قبل الإسكندر، فهو الوحيد الذى فعل ذلك، وقد تحقق ذلك** دون حرب، ولكن بطلبه منهم، فقط، لنبوءة حول مكان بناء مدينته الشهيرة. وبمجرد أن حصل على تلك النبوءة، فإنه قد شرع، فوراً، فى وضع أساساتها وفى بنائها".

ثم يواصل الخطيب الأثينى الأشهر ذيموثينيس كلامه إلى أهل أثينا ورجالاتها، بقوله: "لقد احتل الإسكندر مصر (Algyptos)، بينما كانت لا تزال تحت سيادة الفرس، وعندما أراد المصريون الانخراط معه فى حملته العسكرية ضد الفرس. قال لهم هذا الشاب بحدة: **طالما أنكم مصريون، فأولى لكم أن تنشغلوا بالزراعة، وبفيضان النيل، عن أن تمارسوا فنون الحرب**[١٢]، لقد أخضع الإسكندر مصر بالكلمات والخطب، وكان هو الأول، من بين اليونانيين[١٣]، إذن، الذى احتل مصر، وأصبح السيد الأول،

وعلى رأس كل من اليونانيين والأجانب، على السواء. فكم جيشًا يستطيع هذا البلد أن يُطعم؟ **عدد لا نهاية له.** وليس هنا فحسب لأولئك الذين يعسكرون فيه، بل يستطيع أن يموّن كل الذين يشاركون فى حرب. **كما يمكن لمصر أن تعوض كل الجزر والمدن، من السكان، مهما كان عددهم، أولئك الذين يخرجون ليكونوا مستعمرات لهم. ذلك لأن مصر ذات تعداد سكانى كبير جدًا، مثلما هى غنية بالقمح** (Sitari)". وأكمل حديثه بقوله: "**ومهما يطلب الملك، الإسكندر، فإنها تلبى له طلبه طواعية. فهل أنتم، أيها الأثينيون، تريدون أن تحاربوا الإسكندر، بينما هو يملك كل هذه المؤن، لأى شىء يحتاجه جيشه؟** إن ذلك سيكون لنا شيئًا سعيدًا يفرحنا، وأمنية طيبة. ولكن الأحداث، المحيطة بنا، وملابسات الموقف لا تسمح بالأخطاء.

وعقب انتهاء ذيموثينيس من خطبته تفهم الجميع منطقه وأسانيده، واقتنعوا جميعهم بأن يرسلوا إلى الإسكندر إكليل انتصار معدنى[١٤]، ومعه بيانات ورسائل شكر، حملها إليه سفراء من وجهاء الأثينيين، ولكنهم لم يبعثوا إليه بخطباء أثينا الذين كان قد طلبهم الإسكندر، من قبل، فى رسالته الأولى إليهم. وكان سفراء أثينا قد وصلوا إلى بلاتايا وسلموا بيانات الشكر والإكليل إلى الإسكندر الذى اطلع عليها وعرف بما فيها، من مواقف ومؤازرة من كل من الخطباء وإسخينيس، وذيموثينيس، ثم وجه إليهم الأسئلة التالية:

"وأنا الإسكندر بن فيليب، وأوليمبياس، إننى لن أدعو نفسى ملكًا حتى أتمكن من إخضاع كل البرابرة (الأجانب) لليونانيين[١٥]. لقد طلبت منكم أن ترسلوا إلىَّ الخطباء، ليس لكى أعاقبهم، ولكن لكى أكرّمهم باعتبارهم مُعلمىَّ، وأساتذتى.

إننى لم أسمح لنفسى أن أظهر، فى مدينتكم، ومعى جيشى، حتى لا تعتبرون ذلك وتظنون أننى جئت من أجل الحرب. ولهذا فقد أرسلت سفراء لى إليكم؛ لكى يخلصوكم من كل خوف فى داخلكم. ولكنكم، أنتم، تصرفتم بطريقة مغايرة تمامًا تجاهى، وقد

فضحتم أنفسكم بسبب ترددكم، وغياب إرادتكم. كما أنكم أيضًا كنتم حذرين، وتخشون المقدونيين، لأسباب كثيرة لديكم، ولكن عندما كان والدى فيليب، يحارب ضد أهل زاكينثوس، كنتم أنتم تحاربون إلى جانبهم، كيف لهم كما أنكم عندما اعتدى عليكم أهل كورينثوس (Korinthos) وقف المقدونيون موقف الحلفاء إلى جانبكم، وطردوهم". ثم أضاف الإسكندر قائلاً: "إن الجزاء الذى لقيتموه، إذن، كان عادلاً، من كل ما قدمناه لكم. ومِنْ ثَمَّ، يجب عليكم أن تتحملوا المسئولية، لكل ما فعلتموه، ولا تجبنوا، حتى لا أنحدر وأنزل عن الطمع الملكى، وأضطر أن أعتدى عليكم. ولقد كنت على وشك أن أفعل ذلك، بالفعل، لولا أننى، أنا نفسى، لم أكن أثينيًا. ذلك لأنكم، متى أخذتم قرارًا صائبًا، لكل المشاكل التى تعترضكم؟ لقد وضعتم فى السجن، إيوكليديس (Eukleides)[١٦] الذى كان أعطاكم نصائح ممتازة، وكذلك قمتم بنفى ذيموثينيس. كما أنكم تصرفتم بصلف وعنجهية تجاه ألكيبياديس[١٧] (Alkibiades)، على الرغم من أنه كان جنرالاً عسكريًا مهمًا، عندما كان يمثلكم بوصفه مبعوثا لكم لدى قورش[١٨]. (Kyros). كما قتلتم سقراط[١٩]. (Sokrates)، وكان معلمًا لليونان كلها، وأظهرتم أنكم غير أوفياء تجاه أبى فيليب، وهو الذى حارب أبى فيليب، وحارب إلى جانبكم ثلاث مرات. والآن، فإنكم تلومون الإسكندر بـ الجنرال ستاساجوراس، الذى أخبركم، بقدر ما أخَبَّرنى أنا كذلك، عزل كاهنة الإلهة، التى كان الأثينيون قد عينوها، وكنت، أنا بنفسى، قد كرّمتها، وذلك للنبوءة التى أعطتنى إياها". وسكت برهة ثم قال مكملاً حديثه إليهم:

"فلتكونوا، إذن، أثينيين، مرة أخرى، ولا تخافوا من أن يصيبكم أى أذى منى، أنا شخصيًا، وذلك لأن مثل هذا التصرف سيكون من جهتى، خارج نطاقه بالمرة، (بينما أنا أحارب ضد البرابرة الأجانب من أجل الحرية) إذا قمت بإخضاع مدينة أثينا، وطن الحرية".

٢ - الإسكندر فى إسبرطة[٢٠]

ولما كان أهل لاكيدريمونيا قد أرادوا أن يثبتوا شجاعتهم ويلحقوا بأهل أثينا العار، أولئك الذين خافوا من مواجهة الإسكندر فإنهم قد أغلقوا على أنفسهم بوابات مدينتهم، وأعدوا سفنهم. وكان الواضح، أنهم سيحولون معركتهم إلى مياه البحر، وليس على الأرض، ولذا فإن الإسكندر بمجرد أن علم ذلك، ووصلت إليه استعداداتهم، أرسل إليهم، فى الحال، الرسالة التالية:

"إن الإسكندر يتوجه، برسالته هذه، إلى أهل لاكيدريمونيا: إننى نصحكم، فى البداية، أن تحافظوا على شهرة أسلافكم الحميدة؛ لأن سعادتكم الآن متوقفة على تصرفاتكم أنتم أنفسكم: فإذا كنتم، بالفعل، جديرين بتلك السعادة، ومحاربين أشداء لا ينهزمون، فاحذروا ألا تخسروا، الآن، أمجادكم القديمة، وألا تحرصوا على إظهار موقفكم المغاير للأثينيين، لأنه من الممكن أن يصبح ذلك مثارًا للسخرية والضحك! اهبطوا، إذن، من فوق سفنكم إلى البر، حتى لا أضرم فيكم النيران.

وما إن قرأ أهل إسبرطة الرسالة السابقة، فإنهم لم يقتنعوا بما جاء فيها فحسب، بل دخلوا المعركة مهاجمين، حتى إن البعض منهم قُتلوا، نتيجة لهياجهم دفاعًا عن أسوارهم، وكان مصير البعض الآخر هو الحرق فى داخل سفنهم. أما مَنْ بقى، على قيد الحياة، فإنهم ظهروا ضارعين، ومتوسلين للإسكندر، ألا يأخذهم أسرى. وعندئذ قال لهم الإسكندر: "إننى، عندما أردتُ، أنا بنفسى، أن أقنعكم فإنكم لم تقتنعوا، ولكنه، عندما أصبحت سفنكم رمادًا، عندئذ، أتيتم ضارعين متوسلين، ترجوننى. ولكننى، مع ذلك، لا أتهمكم، ولا أدينكم، لأنكم أنتم الذين أدخلتم الرعب فى قلب إكسركسيس، وكان لديكم الإحساس، الخادع، بأنكم يمكن أن تحققوا الشىء نفسه معى أنا، لكن لم تتحملوا المعركة، وتفرقتم أمام أسلحتنا".

وبعد كل هذا الذى جرى، وقَّع الإسكندر على اتفاقية صلح مع جنرالات أهل إسبرطة، وترك المدينة (إسبرطة) دون أن يمسَّها بسوء، كما لم يفرض عليها أية جزية. وواصل القائد المقدونى حملته فى اتجاه بلدان البرابرة الأجانب، مخترقًا إقليمى كيليكيا[٢١] .(Kilikia).

وفى تلك الأثناء، كان الملك داريوس، ملك الفرس قد جمَّع كل قادة جيوشه، وحكام ولايات إمبراطوريته، وسألهم عما عساه هو فاعل أمام جيش الإسكندر، وقال لهم: "إننى، كما أرى، فإن استمرار الحرب سيكون صعبًا، لأننى، أنا شخصيًا، كنت أعتقد بأن الإسكندر ليس لديه سوى طرائق تفكير لص عادى، ولكنه أثبت العكس، فى ضوء العمليات العسكرية التى خاضها معنا، وظهر فيها بشخصية جنرال وقائد عسكرى، ويبدو أنه عبقرى مثلنا، بالضبط مثلما نعتقد نحن، الفرس، فى أنفسنا. لقد أرسلنا له سياطا وكذلك كرة، لكى يلهو ويلعب، ويتعلم فى الوقت نفسه. إننا، إذن، لابد لنا من أن نعيد حساباتنا، وأن نفكر تارة أخرى، فى مصالحنا، حتى نتمكن من أن نحول موقفنا، وأن نُصلح حالنا، حتى لا نُهزم، أو أن يحتل هو بلدنا، بينما نحن سنحاول أن نسخر من الإسكندر ونهزأ به، وكذلك بأن نتفاخر بأن مملكة الفرس العظيمة هى ممتدة على كل الأرض. إننى أخشى من أن ينتهى الأمر بالقوة، أخيرًا، إلى وضع أكثر حقارة وإذلالاً مما يلاقيه الضعيف ذلك، لأن الزمن، وكذلك العناية الربانية السماوية، تعطيان الأولوية والقيادة، فى كل مرة، إلى شخص آخر. ويبدو أن من مصلحتنا، غالبًا، أن نتنازل له عن اليونان، حتى نتخفف من أعباء سيادتنا على رعايانا الفعليين من البربر الأجانب، ذلك لأنه يمكن - ونحن بصدد حرصنا على تحرير اليونان من الإسكندر - أن نخسر بلدنا، فارس، نفسها".

عندئذ يقوم أوكسياثريس (Oxyathres)، أخو الملك داريوس، من مجلسه، وأضاف قائلاً:

"ولكنك أنت، بالفعل، قد ضَخَّمت من شخص الإسكندر، وكذلك برّرت جرأته علينا، حتى يعتدى على بلدنا، ويهاجم فارس، بينما أنا قد تركته لكى يغزو اليونان أيضًا. حاول تُقلد، أنت بنفسك، الإسكندر، وهكذا، تصبح قادرًا على الاحتفاظ بعرشك. ذلك لأنه لم يركن إلى تصديق حظوظ الحروب مع القادة العسكريين وضباطهم، كما فعلت أنت، ولكنه كان يهاجم، كأول مقاتل، ضد الأعداء، وكذلك كان يدافع عن جنوده ويحارب بإصرار، مما يهدد ويذل مملكتنا، وعندما ينتصر علينا، فإنه سيلبس تاج المملكة الفارسية".

ولما كان الإسكندر قد وصل إلى نهر كيدنوس، عبر إقليم كيليكيا، وكان نهرًا رائق الماء جدًا، فما إن رآه حتى أراد أن يستحم فيه، فخلع ملابسه، وألقى بنفسه فى مياهه التى كانت باردة جدًا، إلى حد التجمد، فأضرته، حيث تجمّد رأسه وجسده كله، وصار فى حالة سيئة جدًا. وعندما رأى المقدونيون ذلك، وأن الإسكندر أصبح مريضًا، طريح الفراش، لا يقوى على شىء، أصابهم المرض، هم كذلك وفتّ ذلك فى عضدهم، وأثّر فى معنوياتهم حتى خشوا أن يعلم داريوس ذلك فيهاجمهم فى تلك الأثناء.

وهنا تدخل الطبيب فيليبوس، وكان صديقًا صدوقًا محبوبًا جدًا، وأعطى الإسكندر عصيرًا ما ليشربه، وقد وعده بأنه، بذلك، سيتخلص من هذه الحالة التى كان عليها، فشربه الإسكندر وقبل ذلك طواعية، وبدأ فيليبوس فى تجهيز الدواء. ولكنه فى تلك اللحظة، وصل خطاب إلى الإسكندر من الجنرال القائد بارمينيون (Parmenion)، والذى أشار فيه أن داريوس أخبر فيليبوس، الطبيب، بأن يضع السم للإسكندر فى أقرب فرصة تتاح له، فى أى دواء، واعدًا إياه بأن يزوّجه من أخته الأميرة داديفارتا (Dadipharta)، وأن يُجلسه على العرش إلى جانبه، فى فارس، كما جاء فى الرسالة، أيضًا، أن فيليبوس أعطى داريوس وعدًا بتنفيذ ذلك، وختم بارمينيون رسالته بقوله: "يا إسكندر بن فيليبوس احذر!".

ولما قرأ الإسكندر تلك الرسالة، لم يُبْدِ أية انفعالات قط، ذلك لأنه كان يعلم جيدًا ماذا كانت عليه مشاعر فيليبوس، طبيبه، تجاهه، ولكنه وضع الخطاب تحت مخدته. ولما

دخل الطبيب إليه، فى خيمته، وأعطاه فنجانًا بالدواء، وهو يقول له: "**يا إسكندر، اشرب هذا، ولسوف تكون مُعافى**". أخذ الإسكندر الفنجان وأمسكه بيده اليمنى، ونظر فيه طويلاً، وحملق مليًا فى فيليبوس، وقال له: "**لماذا أصدقك؟** فرد عليه الطبيب بقوله: "يا إسكندر، اشربه، ولا تخف!". وأضاف "إنه دواء نظيف": فرد عليه الإسكندر: "سأشربه". وقام بشرب الدواء فى الحال، وما إن انتهى من شربه، أعطى الخطاب لطبيبه، فيليبوس، الذى قرأه بشغف، وتنفس الصعداء، وقال "أيها الملك، ليس لى أية علاقة بكل هذا الذى جاء فيه!!!، عندئذ ولما تحسنت حالة الإسكندر فوراً، احتضن طبيبه من فرط سعادته وقال له: "يا فيليبوس، لقد علمت، الآن، رأيى فيك. لقد تسلمت الخطاب، قبل أن أتناول الدواء، ولكننى شربته، واضعًا فى اعتبارى، ثقتى الكاملة فيك، ذلك لأننى كنت واثقًا بأنك لن تريد، أبدًا، أن تمسنى بضرر. ولذا عقَّب الطبيب على كلام الإسكندر بقوله: "ولكن، الآن، أيها الملك، يجب عليك أن تعاقب بارمينيون، بالمثل، جزاءً وفاقًا، على أن أرسل إليك هذا الخطاب. إنه هو، شخصيًا، الذى كان قد طلب منى، مرات عديدة، أن أضع لك السم، لأنه كان يريد أن يتزوج الأميرة، داديفارتا، وانظر أى موت قاسٍ كان قد جهزه وأعده لى، لأننى رفضت طلبه منى. وهكذا فحص الإسكندر هذا الأمر بحذر، دون أية إجابة أخرى، أو رد فعل، واكتشف كيف كان فيليبوس، بريئًا، وقام بمعاقبة بارمينيون لاحقًا.

٣ - الإسكندر فى ميديا وأرمينيا

وأكمل الإسكندر سير حملته، من هناك، وواصل المسير(*) حتى وصل إلى بلد الميديين[٢٢] (Medes)، فى ميديا، وكان يحث جيشه بالإسراع حتى يستولى على

(*) يحدها من الشمال نهر أراكسيس (Araxws)، ومن الغرب والجنوب الغربى جبال زاجروس وهى الآن فى كوردستان ولورستان، وخضعت لحكم السلسوكين بعد الإسكندر.

أرمينيا[٢٢]. (Armenia)، وما إن غزاها، ظل يتقدم لعدة أيام، مرورًا بهضاب ووهاد، وأماكن قاحلة لا ماء فيها ولا حياة، حتى وصل أخيرًا إلى مدينة على نهر الفرات، حيث استطاع الإسكندر أن يقيم على ضفتيه كبارى تستند على قوائم معدنية حديدية، وأجهزة يتم تعشيقها فى بعض ثم أمر جنوده بأن يمروا عليها ويعبروا إلى الضفة الثانية. ولكن الجنود جبنوا، ولما رأى الإسكندر منهم ذلك، أمر بعبور الحيوانات أولاً، وكذلك قطعًا من الغنم والماعز، ثم أصدر أوامر إلى المعدات والأجهزة، وأخيرًا جاء دور الجيش وللمرة الثانية يخشى الجنود عبور النهر لامتلائه بمياه الفيضان، حيث كانوا يظنون أن الكبارى يمكن أن تتهاوى وتنهار. ولما وقف الجنود حائرين، لا يجرؤون على العبور، تقدم الإسكندر، فى الحال، وعبر أولاً، مع رفاقه وضباطه، فتحرك الجيش، من بعده، وعبر النهر. ولكن الإسكندر، بمجرد أن تم ذلك أمر بأن يتم تفكيك الكوبرى، فتساءل الجنود عن سبب هذا التصرف الغريب، وزادت حيرتهم وتملكهم الخوف أكثر، وقالوا له: "أيها الملك، إنه إذا حدث وهُزمنا من البرابرة الأجانب، فكيف سنرجع إلى الضفة الأخرى، لكى ننقذ أنفسنا؟ وعندئذ جمع الإسكندر كل جنوده، بعد أن اندهش من قولهم ومن صياح الكثيرين منهم وما أحدثوه من جلبة وضوضاء، وخطب فيهم قائلاً: "يا رفاق السلاح الرجال، لقد أعطيتم لى آمالاً جميلة بالنصر؟ بقولكم لى إننا سنخسر معاركنا، وسنعود من حيث أتينا! وكذلك فإننى قد أمرت بأن يهدموا الكوبرى، حتى تحاربوا وتنتصروا، وذلك لأن النصر يكون فى صف المهاجمين، وليس فى جانب المنسحبين! ولسوف ننتصر معًا، إذن، وكذلك سوف نعود إلى مقدونيا منتصرين. إن النصر، فى المعارك هو - بالنسبة لنا - لعبتنا!". بهذه الكلمات استطاع الإسكندر أن يزيد حماس جنوده، الذين بدأوا، فى الحال، فى الاستعداد للمعركة، ومكثوا داخل خيامهم جاهزين للتحرك.

وكانت وحدات جيش داريوس قد تحركت، أيضًا، حتى عسكرت على ضفاف نهر دجلة. وبدأت المعركة، إذن، بين القوات لكلا الطرفين، وحاربت القوات المنافسة

بشجاعة. ولكن، وفجأة، ظهر قائد فارسى خلف الإسكندر، وكان يلبس زى حلفاء الإسكندر، ويمسك فى يده أسلحة مقدونية، وهو الذى أنزل بسيفه ضربة قوية فوق قلنصوة الإسكندر، مما جعل قمتها تتطاير قطعًا صغيرة! وهنا سارع مرافقو الإسكندر، والمدافعون عنه، بالقبض عليه فى الحال وقدموه إلى الإسكندر مكبلاً بالقيود. ولما كان الإسكندر خُدع فيه وظنَّه مقدونيًا حقيقيًا، قال له: "أيها الجندى الشجاع، ماذا دهاك وجعلك تفعل هذا الشىء؟ فرد عليه الآخر بقوله: "أيها الملك، الإسكندر، أرجو ألا تخدعك أسلحتى المقدونية، إننى فارسى، وأحكام داريوس، فى الولايات، ساتراب[٢٤]. (Satrap). ولكننى فى يوم من الأيام، ذهبت إليه وقلت له: ماذا ستعطينى إذا أحضرت إليك رأس الإسكندر، فأجابنى داريوس بأن عَرَض علىّ الزواج بابنته، وأن يجعلنى ملكًا على بلد ما. ولهذا جئت، إلى هنا، لابسًا الزى المقدونى، ولكننى فشلت فيما كنت آمل فيه". واستمع إليه الإسكندر وأمر بأن تتجمع كل وحدات الجيش المقدونى، وبمجرد أن حضر الجميع أمر بفك أسر الساتراب الفارسى، ويُترك حرًا! ثم وَجَّه حديثه إلى قواته وجنوده الذين أبدوا استغرابهم، فقال لهم: "أيها الرجال المقدونيون، هكذا يجب أن يكون الجنود شجعانًا وجريئين عند القتال وفى أثناء المعارك".

ولكن النقص الحاد فى التموين والأغذية، والذى ظهر نتيجة لحرب الفريقين، اضطر البرابرة الأجانب إلى الانسحاب إلى الوراء، فى باكترا (Paktra) ولكن الإسكندر ظل فى مكانه واستولى على كل المنطقة. وهناك ظهر أمام الإسكندر أحد حكام الفرس المحليين (ساتراب)، وقدم نفسه إليه، وقال له: أيها الإسكندر، إننى ساتراب الملك دارا، ولقد حققت إنجازات عظيمة فى القتال، ولكننى لم أحظ من مليكى بالمكافآت التى أستحقها. أعطى إذنًا لعشرة آلاف جندى مسلحين تسليحًا كاملاً، ولسوف أُسلّم لك مليكى دارا، وأحضره أمامك! عندها، وبسرعة حاسمة، رد عليه الإسكندر قائلاً:

"اذهب وساعد مليك، لأننى أنا شخصياً لن يحدث معى أن أستأمن أحداً على جنودى، وهو الذى خان وطنه".

وبعد كل ذلك، أرسل حكام الفرس المحليون (ساتراب) لكل هذه المنطقة خطاباً إلى مليكهم دارا حول الإسكندر، جاء فيه: **"أيها الملك العظيم، داريوس، تحية. كنا فى المرة السابقة قد أعلمناك، فى الوقت المناسب، بهجوم الإسكندر ضد شعبنا، كما أننا اليوم كذلك، نخطرك بأنه كيف وصل إلينا، وحاصر منطقتنا، ولقد قتل، بالفعل أناساً كثيرين منّا، حتى إننا نحن أنفسنا نتعرض للخطر، ونخشى أن يقتلنا كذلك، ولذا فسارع إلينا بجيش كبير، حتى تمنعه وألا تسمح له بأن يهاجمك. إن الجيش المقدونى كبير، وقوى، وهو يتفوق على جيشنا. متِّعت بالصحة".**

ولما تلقى داريوس خطابات ولاته وقــرأها، أرسل، بدوره الخطاب التــالى إلى الإسكندر: "من الملك داريوس إلى الإسكندر: لقد أرسلت إلينا خطاباً مليئاً بالغرور، وفيه تطلب منا المزيد لن تظل، هكذا، سعيد الحظ، لوقت طويل، وأن تخدمك الآلهة فى الشرق والغرب. ولكننى أحيطكم علماً بكل ما فعلته ضد مصالحى، ذلك لأننى أعتقد بأن والدتى قد وصلت فعلاً بين أيدى الآلهة، بينما أنا ليست لدى زوجة أو أولاد. كما أننى لن أتوقف عن مطالبتى بالثأر منك، بسبب الإهانة التى لحقت بى. لقد كتبت إلى ولاتى بأنك قد تصرفت مع أسرتى تصرفاً نبيلاً مصحوباً بالاحترام. ولما كنت، إذن، قد سلكت سلوكاً عادلاً، وحافظت على مصالحى فإنك، من الآن فصاعداً، تستطيع أن تتصرف تجاههم كما تشاء فلا ترحمهم، وعاقبهم، لأنهم هم أبناء عدوك، ولأنك لن تجعل منى صديقاً، إن أنت تصرفت تصرفاً لائقاً، كما أنك لن تجعل منى عدواً، إن أنت أسأت معاملتهم، فإن الأمرين هما بالنسبة لى سواء. أعطنى، أخيراً، ردك النهائى، حتى نرى ماذا سيحدث؟

وعندما وصل خطاب دارا إلى الإسكندر تسلّمه وقرأه، تبسّم، وأجاب بما يلى: **"من الملك الإسكندر إلى داريوس، تحية، إن الآلهة قد ساءها ما قلته حتى آخر كلمة**

من كلماتك العمياء، والبذيئة، والتى لا جدوى منها. كما أن ما تدعيه من شائعات وأكاذيب وادعاءات بغير الحق. يبدو أنها لن تنتهى أبدًا. إننى لم أكرِّم أسرتك السابقة لأننى أخافك، لأننى أمل فى أنك ستصل معى يومًا إلى اتفاق ما، وستقدم لى شكرا على ما قمت به تجاه أهلك. لا تأتى إلى هنا، إذن إن تاج الملك عندى لا يعادل تاجك، ولا يمكن أن أؤجل احترامى لأى إنسان، مهما كان، أو أن أقلل منه، حتى ولو كان أمام ناسك!، وتلك هى آخر رسالة منى، يمكن أن أبعث بها إليك".

وبمجرد أن قام الإسكندر بالرد على دارا، استعد للحرب، وأرسل الخطاب التالى إلى كل ولاته ومعاونيه على ما غزا من أقاليم، "من الملك الإسكندر إلى كل الولاة، حكام الأقاليم، فى فريجيا، وكابادوكيا[٢٥] (Kappadokia)، وبافلاجونيا، والمنطقة العربية[٢٦] (Arabia)، وكل معاونىَّ الآخرين، تحية. أريد منكم أن تجهزوا لى آلاف الجنود، وأن ترسلوهم إلىّ فى أنطاكية (Antiochia)[٢٧] بسوريا. وأرسلوا إلىَّ - أيضًا - أكبر قدر مما تملكون من أسلحة. إن لدى، بالفعل، ثلاثة آلاف جمل منتشرة فيما بين الفرات وحتى أنتيوخيا، حتى تتم الاستعانة بها مع قواتنا، وحتى لا نتأخر. تعالوا، إذن، حتى نلتقى معًا بسرعة".

ولكن، فى الوقت نفسه، كتب الولاة الفرس إلى دارا ما يلى: "أيها الملك العظيم، داريوس، تحية. نحن نكتب إليك بكل حذر ونتحفظ، ولكننا مضطرون، فى واقع الأمر، حيث إنك يجب أن تعلم، بأن قائد المقدونيين، الإسكندر، قد قتل بالفعل، اثنين من أمرائنا، بينما انحاز إلى جانبه، البعض الآخر، ومعهم خدمهم وجواريهم. وما إن علم دارا بذلك حتى أرسل إلى القادة القريبين منه، حتى يكونوا جاهزين للاشتراك فى المعركة. كما كتب، أيضًا، إلى الملوك الجيران، وقال لهم: "إن ملك الملوك، داريوس، يحيى محبيه من الملوك. إننا بكل ما أوتينا من قوة سندخل فى صراع مع أمة مقدونية مزعجة. وأمر دارا، بعد ذلك، الجيش الفارسى، أن يكون على أهبة الاستعداد، كما أرسل إلى ملك الهنود، بوروس (Poros)، طالبًا منه المساعدة المباشرة له.

ولقد قرأ بوروس رسالة داريوس إليه، فتأثر بما جاء فيها من صعوبات ومشاكل تواجه الملك الفارسى، ورد عليه بخطاب مماثل كتب فيه ما يلى: "من ملك الهنود بوروس إلى الملك داريوس، تحية[٢٨] (khaire). لقد حزنت كثيراً جداً عندما قرأت خطابك. وإننى لأشعر ببالغ الأسى، بصدق ذلك لأننى أريد أن أحضر إليك لأساعدك، ولكننى، من ناحية أخرى، أعانى من مرض شديد ألمَّ بجسدى فترة طويلة. ومع كل ذلك، يجب أن تحتفظ بروحك المعنوية عالية، ذلك لأننا سنقف إلى جانبك بشتى السُّبل، رافضين أن نقبل مثل هذا الاستفزاز. فاكتب إلىَّ، واطلب منى ما تشاء، فقواتى كلها موضوعة رهن أوامرك، وكذلك الحال بالنسبة لجيراننا من الأمم الأخرى، فإنها ستفعل الشيء نفسه. دمت فى صحة[٢٩] (hygiáine).

وفى تلك الأثناء، وصل إلى أسماع أم داريوس خبر استعداداته الحربية، فأرسلت إليه سراً الخطاب التالى: "إلى الملك داريوس، تحية. إننى سمعت بأنك تقوم بتجميع قوات كل الأمم المجاورة حتى تحارب، مرة أخرى، الإسكندر. يا بنى، لا تتسبب فى اضطراب العالم، لأن المستقبل مجهول، وغير معروف: حاول أن تنسى آمالك فى الانتصارات ولا تعرض حياتك للخطر، وذلك بعملية عسكرية مفاجئة وغير مأمونة النتيجة.

إننا نتمتع بمظاهر تكريم كبيرة، ونحن بجانب الإسكندر الذى يسلك معنا سلوكاً راقياً، وليس كوالده عدوه، بل – على العكس – فإنه يحمينا حماية بالغة، إننى آمل فى أن تأتى إلينا قريباً لقرانا ونحن فى ظروف أفضل.

قرأ داريوس الرسالة القصيرة التى وصلته سراً من أمه، فتذكر والدته، ودمعت عيناه، ولكنه، فى الوقت نفسه، وعلى الرغم من أنه خاف، أصدر أمراً بإعلان الحرب على الإسكندر.

وصل الإسكندر إلى فارس على رأس قوات كثيرة العدد. كانت جدران العاصمة وأسوارها[٣٠] عالية، وتراها، من بعيد، القوات المقدونية، فماذا فعل الإسكندر، عندئذ، لمواجهة ذلك؟ لقد جمع الإسكندر، وكان أكثر الناس إبداعًا، قطعانًا من الماعز والغنم التى كانت ترعى فى المنطقة هناك، وقطع أفرع الشجر، وربطها إلى ذيول تلك القطعان، ثم سيَّر جيشه خلفها مباشرة.

وبينما كانت القطعان تمشى، هكذا، تجر أفرع الشجر خلفها على الأرض، فإنها أثارت سحبا من الغبار والتراب ملأ الفضاء كله حتى وصل ذلك إلى جبل الأوليمبى[٣١]! ومن نتيجة ذلك ظن الفرس، عندما كانوا يتابعون ذلك من خلف أسوار مدينتهم، كل الجيش المقدونى كان جرارًا، وذا عدد لا محدود!

وعندما أسدل الليل أستاره، وصل المساء، أمر القائد المقدونى الإسكندر، بأن تُربط فى قرون تلك القطعان أجراس وشموع، وأن تُضاء تلك الشموع حتى تحترق تمامًا. ولما كان المكان الذى عسكر فيه الجيش المقدونى واديًا منخفضًا، فإن المكان ظهر للعيان وكأنه قد نشبت فيه كله النيران. ولذا فقد خاف الفرس، وارتعدت فرائصهم. وبالقرب من العاصمة الفارسية المحاصرة، وصل جيش بعد مسيرة خمسة أيام. وعندئذ، أراد الإسكندر أن يبعث رسولاً له إلى الملك داريوس ليقول له متى ستبدأ الحرب أخيرًا[٣٢]، وبعدها ذهب لينام ليلته.

وقد رأى الإسكندر، فى منامه فى تلك الليلة، الإله آمون متجسدًا فى هيئة الإله هيرميس[٣٣] (Hermés)، ماسكًا بيده عصاه السحرية، ولابسًا عباءة وخوذة مقدونيتين، ويقول له:

"يا بنى، يا إسكندر، عندما يحين الحين حتى سأساعدك، فإننى سأقف إلى جوارك وأساندك، وإن الرسول الذى ستبعث به إلى دارا سيخونك، فاذهب أنت بنفسك وتخفَّى فى ملابسك كما ترانى أنا لابس". فقام الإسكندر، من نومه، مندهشًا مما رأى،

وقال لنفسه متمتمًا: "إنه لخطر أن أذهب أنا بنفسي، وأنا الملك، على أنني مجرد رسول مبلغ لنفسي أنا شخصيًا. "عندئذ جاءه صوت آمون قويًا: **"لا تخف ما دام أن الإله معك لن يحدث لك أي مكروه"**. هكذا جاء الوحي للإسكندر، فاستيقظ مغتبطًا، وأبلغ به جنرالاته، ولكنهم نصحوه بألا يفعل ذلك.

ومع ذلك، فقد خرج الإسكندر وبصحبته ثلاثة خيول وضابط واحد يُدعى إيوميلوس (Eumèlos)، وعبر نهر سترانجا (Stranga) الذي كان متجمدًا، وذابت ثلوجه بعد عدة أيام، وغدا عميقًا جدًا، وكان عرضه نحو ستاد[٣٤]، واستمر في سيره حتى وصل إلى نقطة قريبة من بوابات العاصمة الفارسية. وعندما رآه الحراس بذاك الزي الغريب، حسبوه إلهًا، وأوقفوه ليسألوه عن هويته، فقال لهم الإسكندر: "قدِّموني إلى الملك داريوس؛ لأنني، أمامه فقط سأقول مَنْ أنا، ولأي سبب أرسلوني إلى هنا". ولما أحس الحراس بجرأة إجابته، اندهشوا، وقدموه مباشرة، في الحال، إلى الملك دارا الذي كان يتفقد استعدادات قواته على المرتفعات، وعاد لتوه. ولما ظهر الإسكندر للملك الفارسي بذلك الزي الغريب الأجنبي، أوشك دارا أن ينحني أمامه ظنًا منه بأنه أمام إله كان قد هبط من جبل الأوليمبي إلى الأرض متخفيًا في ذاك الزي الأجنبي[٣٥].

هذا فضلاً عن أردية مذهَّبة، وأحذية مزدانة بأحجار كريمة كذلك.

ولما رأى داريوس الإسكندر على هذه الشاكلة الغريبة التي لم ير مثلها من قبل، طلب أن يعرف مَن هذا الشخص؟ عندها رد الإسكندر بنفسه قائلاً:

"إنني رسول الإسكندر، الملك، إليك". فرد دارا عليه متسائلاً: وماذا تريدينا". ودار بينهما الحوار التالي:

الإسكندر: أريد أن أتحدث معك، وكأن الإسكندر نفسه هو الذي يكلمك:

– متى تنوي، أيها الملك دارا، أن تبدأ الحرب؟

– إنك يجب أن تعلم أنك كلما تأخرت فى ذلك، أظهرت، لمنافسك، أنك ضعيف الرأى فيما يخص الأمور العسكرية. فلا تضيع وقتًا أطول من ذلك، وقل لى متى أنت جاهز لأن تبدأ الحرب بيننا؟".

داريوس: (عندئذ صرخ دارا غاضبًا) وقال:

– هل سأحارب معك أنت أم مع الإسكندر؟

– إنك رجل جرىء جدًا ووقح، وكأنك أنت هو نفسه! لقد تكلمت بجرأة، لا يتكلم بها معى إلا أصدقائى! ومع ذلك، فإننى أدعوك، الآن، لكى تجلس معنا على العشاء، لأن الإسكندر كان قد قدم عشاءً لسفرائى إليه".

وبمجرد أن أنهى كلامه هذا، نزل دارا من فوق محفَّته، وأمسك بيد الإسكندر ثم توجها معًا صوب القصر. وكان الإسكندر قد اعتبر ذلك فألا حسنًا، بأن سار إلى عشاء مع الملك دارا، مدعوًا منه هو شخصيًا. ثم دخل إلى قاعة الطعام، وقد اعتبره الجميع، حينئذ مدعوًا رسميا باسم الملك الفارسى نفسه.

لقد كان الفرس يرون، فى الإسكندر، شخصًا يُحيِّرهم، ببنيان جسده الضئيل، ولكنهم كانوا يجهلون عنه، أنه فى هذا الجسد النحيل يعيش ويختلج مجد الحظ السماوى.

وكان الإسكندر يتابع ما يجرى حول المأدبة الملكية، فوجد الضيوف قد شربوا أنخابهم وطلبوا المزيد من الكئوس، فأسرع بإخفاء بعض هذه الكئوس الفارغة ما بين ملابسه وصدره، حتى أيقن أن الحضور قد رأوا مسلكه الغريب، فأبلغوا الملك دارا عن ذلك. وقام الملك من مجلسه واقفًا أمام عرشه، موجهًا كلامه للإسكندر، وقال له: "أيها الرجل الشجاع، لماذا تخفى كئوس الشراب فى داخل ملابسك؟ فأدرك الإسكندر مراد الملك، وأجابه بتماسك شديد: **"أيها الملك الأعظم، هكذا يفعل الإسكندر عندما يدعو قادته ورفاقه إلى عشاء، ولكنه يوزِّعها، فى النهاية، على أقرب أصدقائه. ولذا فإننى**

ظننت أنك، أيضًا، ستفعل ذلك مثله". وتعجب الفرس من كلامه، وساد صمت طويل، بعدها، ولكن أحد قادة الفرس الحضور، في تلك الأثناء، ويُدعى باسارجيس (Pasargés) قد تعرف إلى الإسكندر، وكان يعرف شخصية الإسكندر الحقيقية، حينما كان واحدًا من سفراء دارا ومبعوثيه إلى العاصمة المقدونية بيللا (Pella)، عندما كان الفرس يطالبون المقدونيين بدفع الضرائب، ورفض الإسكندر مطالبهم. وعندما أدرك باسارجيس أنه هو الإسكندر ظل يتمتم لنفسه بكلمات قائلاً: "إنه هنا، ابن فيليب، وقد غير سلوكه وتصرفاته. إن كثيرًا من الناس، مع ذلك، يمكن أن يتم التعرف إليهم من أصواتهم حتى ولو كانوا في الظلام[٢٦].

ولما تأكد باسارجيس من ذاكرته، ذهب إلى جانب محفة الملك دارا، وقال له: "أيها الملك الأعظم، وسيد كل الدول والبلدان، إن هذا المبعوث هو الإسكندر نفسه، ملك المقدونيين، والابن الممتاز لفيليب!".

كان دارا ورفاقه، المدعوون إلى عشائه، قد شربوا كثيرًا من كئوس الخمر التي لعبت بعقولهم، وشلت تفكيرهم، ومن ثم كان رد فعلهم بطيئًا جدًا، ولكن الإسكندر، بمجرد أن أدرك ما قيل حوله، وتأكد أنهم قد عرفوه، تصرف بسرعة شديدة: لقد خدعهم جميعًا، بأن نهض واقفًا، ومعه الكئوس الذهبية، وخرج مسرعًا خارج القصر، وقفز، بخفة، إلى ظهر جواده، وراح يسابق الريح(*). كما أنه قتل الحارس الذي كان قد قابله على بوابة القصر، وذهب بعيدًا طاويا القفار راكضًا سريعًا.

ولما أدرك دارا ماذا جرى، أرسل سرية لكي تقبض على الإسكندر الذي استغل وقت الهروب، والذي كان ليلاً، بأن ألح على فرسه وأجهده، ولذا لم يفلح أحد، من الفرس، في إلقاء القبض عليه.

(*) هنا التعبير اليوناني الوارد في النص الأصلي يساوي تمامًا ما يقولونه اليوم "to'skase"، أي كسر كل القيود والحواجز، وفر هاربًا.

وبينما كان الإسكندر يسابق الريح، وكنجم لامع فى السماء، يقطع الفيافى، وكأنه يسير فى ضوء لا نهائى، وقد ضلل الذين يقتفون أثره فى غياهب الصحراء، كان دارا يجلس على محفته يندب ما ألم به، وزاد عليه ما وقع له، أيضًا، من هذا المشهد: فجأة سقطت أمامه من السقف صورة شخصية (لوحة مرسومة) للملك كسركسيس، وهى التى كانت قد حظيت بإعجاب دارا كثيرًا، بفضل دقة رسم ملامحه! وكان الإسكندر، حينئذ، قد أكمل سيره فى الليل، حتى وصل إلى نهر سترانجا وعبره سريعًا جدًا. وهنا تحدث معجزة، فبمجرد أن وصل إلى الضفة الأخرى، ووضعت قدما فرسه الأماميتان على اليابس، ذاب جليد النهر بسبب أشعة الشمس الصباحية، وجرفت المياه الفرس، ولكن الإسكندر كان قد وقع على أرض الشاطئ! ووصل الفرس، المكلفون بالقبض عليه، إلى شاطئ النهر المقابل، وتأخروا بعد عبور الإسكندر، ولم تفلح السرية الفارسية فى أن تعبر النهر المليء بالمياه العميقة! فعادوا إلى العاصمة لملكهم خائبين.

ولما علم دارا بذلك حزن حزنًا شديدًا، وكيف كان ذلك الهروب للإسكندر حظًا غير مصدق، ولا يمكن حدوثه مع تلك المعجزة. وكان الإسكندر، فى تلك اللحظة، قد وصل إلى مكان إيفميلوس (Evmelos)، صاحبه الذى كان ينتظره، ومعه اثنين من البغال، فحكى له ما كان قد حدث. وهناك، كان قد وصل إلى المكان نفسه، أحد أجنحة الجيش المقدونى، والذى كان يبلغ مائة وعشرين ألفًا من الجنود، فصعد الملك الإسكندر على ربوة عالية وراح يُحمس جنوده قائلاً لهم:

"أيها الرفاق الرجال، إننا على الرغم من قلة عددنا، فإن روحنا القتالية عالية، وكذلك فإن حماسنا، وقوتنا النفسية وروحنا المعنوية تتفوق على الفرس. إن واحدًا، فقط، من قواتنا لو أخرج سيفه من غمده فلسوف يقتل ألفًا من الفرس، فلا يجب أن يجبن واحد منكم أبدًا، وفكروا فى حقيقة كيف أن آلاف البعوض تضايق قطعان

الماشية، ولكنها تهرب عندما تحضر الزنابير، التى تطردها بحركة أجنحتها فقط. وهكذا فإن جموع الأجانب كلهم لا يمثلون شيئًا أمامكم".

وهكذا تحركت قوات الإسكندر وبدأت سيرها حتى وصلت إلى نهر سترانجا، ولكن دارا كان قد جمع كل قواته: ووصل هو الآخر إلى النهر نفسه، وعبره مستغلاً قلة مياهه بسبب تجمد شريانه، ثم عبر الصحراء بهدف أن يبدأ هو الهجوم ضد جيش الإسكندر، حتى يفاجئه ويقضى عليه.

كان دارا يجلس على عربة حربية عالية، بينما كان قادته وجنرالاته يجلسون على عربات أخرى، أما بقية القوات الفارسية فقد كانت مسلحة بأسلحة كثيرة، وخاصة الرماح القتالية، وكذلك كانت القوات المقدونية تحت قيادة الإسكندر الذى يجلس على ظهر فرسه بوكيفالوس (Boukéfalos). وبمجرد أن سمعت أصوات أبواق إعلان الحرب، بدأ البعض يرمى الطوب والحجارة، بينما كان البعض الآخر يقذف بالسهام، والتى كان تسقط وكأنها مطرا. كما حدثت إصابات بين المتحاربين وتداخلت الخطوط المتحاربة، ومات الكثيرون بإصاباتهم بالسهام، وكان البعض الآخر عاجزين عن الحركة فى أماكنهم وأشبه بالأموات، وقد لقى الكثير من جنود الفرس موتًا مخيفًا.

وكان الملك الفارسى دارا قد خاف على نفسه، وأصدر أوامره بالانسحاب، وخاصة عرباته الحربية التى أصابت وحصدت العديد من قواته نفسها عند فرارها للخلف. وعندما وصل إلى نهر سترانجا وجده متجمداً فعبره إلى الضفة الأخرى، بينما ألقت قواته الباقية معه بنفسها فى مجرى النهر، محاولين إنقاذ أنفسهم، ولكن الثلج لم يصمد تحت ثقل الأعداد الغفيرة فوقه، فهوى، وجرف معه إلى الأعماق الجميع، كما لقى الباقون الفارون من الجيش الفارسى مصيرهم بالقتل على أيدى القوات المقدونية.

وأصبح الملك داريوس، عندئذ هاربًا، وبوصوله إلى قصره لم يتمالك أن يصلب عوده، وانهار باكيًا، وراح يندب حظه، وكيف أنه خسر جنودًا كثيرين، وصارت فارس خاوية على عروشها، وكان يقول لنفسه، فى ذهول: "إننى، وأنا الملك العظيم دارا الذى أخضع العديد من الأمم الأجنبية، وغدت مدن كثيرة ذليلة تحت سلطاتى، وكنت أجلس إلى جوار الآلهة، على عروشها، أصبحت وحيدًا. إنها لحقيقة مؤكدة، أن لا أحدًا، أبدًا، يعرف بالتأكيد مستقبله، وكيف أن عجلة الحظ، مع دورة واحدة صغيرة، ترفع الوضعاء إلى السماء، أو تهبط بالخلصاء والشرفاء إلى أسفل السافلين فى دياجير الظلام.

ولكن الملك دارا وقف، بعد قليل متأهبًا ولملمًا آلامه، وعادت إليه روحه، ثم كتب خطابًا وجهه إلى الإسكندر قائلاً فيه: "من داريوس إلى الإسكندر، السيد[٣٧]، تحية. يجب أن تتذكر، أولاً، أنك إنسان، وهذه التذكرة كافية تمامًا، حتى لا يطير عقلك فى الهواء. ذلك لأننى أعتبر ذكرى والدى الملك كسركسيس الذى حقق نجاحات كثيرة، وحصل على كنوز عديدة. وبسبب الطمع قام بحملته على اليونان، ولكنه لم يستطع الهرب من مصيره، ومات، تاركًا، خلفه ذهبًا كثيرًا وفضة، واستولى من كريسوس (Kroisos)، ملك ليديا، على ثروات عديدة. فيا أيها الإسكندر، يجب أن تتفهم حركة الحظ وكذلك، تقلبات إلهة الغضب (Némesis)، فارحمنا، إذن، ونحن نستجير بك، وأستحلفك باسم زيوس، أن ترد إلىَّ أمى وكل أولادى، ولسوف أعطيك كل كنوزى، الموجودة فى ميديا (Media) وسوسا (Sousa)، وباكتريانى (Baktriane)، التى أخفاها آبائى فى أرضنا، إننى أقسم "لك أيضًا، بأننى سأتركك، للأبد، سيدًا على فارس، وميديا، وكل الأمم الأخرى. دمت بالصحة.

وما إن قرأ الإسكندر رسالة دارا إليه جمع كل قواته وكل جنوده ورفاقه من الضباط والقادة، وأمر بأن تقرأ تلك الرسالة عليهم، وعندما تم ذلك، فإن أحد جنرالاته

ويدعى بارمـينيـون (Parmenion) قـال للإسكندر: "أيهـا الملك الإسكندر، لو أنني كنت مكانك، لأخذت المال والبلدان التى يسلمها إلى دارا، وكنت أعطيته وسلمته أمه، وزوجته، وأطفـاله، بعد أن أكون قد استمتعت بهن، وروّحت عن نفسى معهن". عندئذ تبسم الإسكندر ثم أجاب عليه بقوله:

"يا بارمينيون، لقد أخذت كل شيء منه، وإننى لأتعجب كيف يطلب منى أن أحرر أهله بأموالى أنا. كما أنى أستغرب أكثر كيف يَعد دارا بأن يتنازل هو عن بلدى أنا إنه لم يفهم شيئًا واحدًا وهو أننى قد هزمته فى أرض المعركة، وكل تلك الأشياء أصبحت ملكى أنا، وتخصنى أنا، بما فى ذلك أسرته ذاتها".

هكذا تكلم الإسكندر إلى رفاقه، وبحضور السفراء والمبعوثين الذين أمرهم بأن يرحلوا صوب الملك دارا لينقلوا إليه ما قاله، وذلك دون أن يعطيهم الإسكندر أية رسالة. كما أمر، بعدها، بأن يتم علاج الجرحى برعاية كبيرة، وأن يتم دفن القتلى بكل مظاهر التكريم الواجبة.

ولما كان الإسكندر قد قرر البقاء هناك كل الشتاء، فإنه أمر أن تضرم النيران فى قصور كسركسيس، والتى كانت هى الأكثر فخامة فى كل فارس، ولكنه بعد ذلك، بوقت قصير، ندم على ما فعل، وأصدر أمرًا بالتوقف عن ذلك.

لقد زار الإسكندر مقـابر الفرس التى كانت مزدانة بالذهب، كـمـا رأى قبـر نابوناساروس الذى يسمى هكذا باليونانية، ولدى الفرس يُدعى نابوخودونوصـور (Naboukhodonosor)، فضلاً عن آثار اليهود(٣٨) الذين كانوا هناك، ورأى – كذلك – الآنية الذهبية التى كانت توضع على القبور لتمييز مقابر الأبطال. كما أُعجِب أيضًا بقبر "قورش" الذى كان يقع إلى جانب ذلك مباشرة، والذى كان عبارة عن برج مفتوح، لا سقف له، مكونًا من اثنى عشر دورًا. وكان جسد (رُفات) قورش موضوعًا داخل

تابوت من ذهب، فى الدور الأخير، ومحاطًا بالزجاج حتى يبدو كاملاً كل رأسه، وبقية جسده، كاملة من خلال الزجاج[٢٩].

ولكن فى قبر كسركسيس كان هناك يونانيون من جنود هيلاس، بعضهم مقيد والبعض الآخر كان مشوهًا ومقطع الأطراف: بعضهم بلا أيد، والبعض الآخر دون أرجل، أو دون أنوف، أو دون آذان! كما كان هناك أسرى من الأثينيين. وما إن سمعوا عن الإسكندر تجمعوا وبدأوا فى الصياح بقوة، لكى ينقذهم مما هم فيه. وعندما رآهم الإسكندر بكى، إذ كان المنظر مخيفًا، وأمر بفك قيودهم، وأن يمنح كل منهم ألفى دراخمة، وترافقهم بعض قواته حتى يعودوا للوطن. وقد تسلم العَجَزَةَ منهم الأموال، وطُلب من الإسكندر أن يمنحهم قطعًا من الأرض، فى فارس، وألا يعيدهم، تارة أخرى، إلى أوطانهم؛ لهذا أعطى الإسكندر أوامره بأن تُوزع عليهم أراضٍ، بالتساوى، وأن يتسلم كل منهم قمحًا وبذورًا وقطعانًا من الأغنام، وكل ما هو ضرورى، لبداية أنشطة زراعية ولتلبية الأعمال اللازمة للفلاحة.

ولكن دارا كان قد قرر الدخول فى حرب مع الإسكندر، مرة أخرى، وأخذ يستعد لذلك، ومن ثم كتب إلى ملك الهنود، بوروس (Poros)، يستنهضه لمساعدته فى المواجهة الثانية مع الإسكندر، فقال له:

"من الملك داريوس إلى ملك الهنود، تحية. لما كان مُلكى قد تعرض للدمار، هذه الأيام، وأن ملك المقدونيين قد هاجمنى، وله قلب وحش كاسر، ورفض أن يسلمنى أمى وأبنائى! ولا يزال يرفض طلباتى، على الرغم من أننى عرضت عليه كنوزًا كثيرة، وهدايا أخرى عديدة، ولذا فإننى أخطط لأن أعاقبه على ما فعل، وأستعد لشن حرب جديدة عليه، حتى أنتصر عليه وعلى بنى قومه. إنك يجب أن تتألم لمصابى وما ألم بى، وأن تساعدنى فى الدفاع عن شرفى، متذكرًا دائمًا علاقاتنا القديمة الحقة بين أسلافنا. قم بتجميع جيش من كل القوميات عندك، وأحضر حتى بوابات كاسبيا (Kaspia)، وأعط للجنود ذهبًا كثيرًا، وقمحًا، وأغذية. أما لك أنت، فلسوف أهديك نصف الغنائم التى

سآخذها. من أعدائي: الفرس الشهير بوكيفالوس والثروة الملكية للإسكندر، وكذلك خليلاته وجواريه. وبمجرد أن تتسلم خطابي هذا، قم بتجميع أكبر عدد ممكن من الجيش بأسرع ما يمكن، وأرسله لكي يقابلنا. دمت بصحة جيدة".

ومع ذلك، فقد نما إلى علم الإسكندر خبر تحركات دارا، فقام بتجميع قواته، وتحرك بها صوب ميديا، وكان قد علم أيضًا أن الملك الفارسي موجود، بقواته، في إكباتانا (Ekbatana)، وبوابات كاسبيا. وكان ولاة الأقاليم التابعون للملك دارا قد فكروا تفكيرًا خبيثًا، بعد أن علموا باقتراب الإسكندر، ومنهم بيسوس (Bessos) وأريوبارزانيس (Ariobarzanes) اللذان خططا لقتل دارا والتخلص منه، طمعًا في مكافأة الإسكندر لهم! وقد رآهم دارا وهم يهجمون عليه بسيوفهم، واستطاع أن يواجههم، واحدًا واحدًا، ولكنهم تمكنوا منه بخناجرهم، وأصابوه، وأخذ ينزف كثيرًا، حتى وصل إليه الإسكندر، وصرخ بألم مما رآه، بل ودمعت عيناه من أجل عدوه الذي كان يصارع الموت فغطاه بعباءته، وأشفق عليه، وأخبره بأنه سينتقم من القتلة من أجله[٤٠].

وعندما انتهى الإسكندر من حديثه الشفوق لدارا، وكان الملك الفارسي لا يزال يتألم من شدة جروحه، وجد داريوس يرفع يديه ويمدهما ليحضن الإسكندر ويقبِّله، وقال له:

"أيها الملك الإسكندر إنني لديَّ سلطة ومملكة إلهية، وكنت أريد أن أقبض على السماء بكلتا يدي، ولكنني الآن أقول لك: فكِّر في مستقبلك، لأن القدر لا يحسب حسابًا لأي ملك، حتى ولو كان لديه العدد الغفير من الرعايا. هل ترى، الآن، كيف كنت أنا، وكيف أصبحت. وعندما أموت، يا إسكندر، قم بدفني بيديك، وليقم على ذلك، معًا، فرس ومقدونيون، ولنكن جميعًا أسرة واحدة. وإني لأترك، بين يديك، أمي وزوجتي، فارفق بهما، وإني أرجوك أن تقبل هديتي إليك، وهي ابنتي روكساني (Roxane)، لتكون زوجة لك، وحتى تُنجب منك، فيما بعد، أبناء وهم الذين سيخلدون ذكراك. ومع مرور السنين

ستبلغان من العمر عتيا، وتقوم أنت بتكريم ذكرى أبيك فيليب، بينما تقوم روكسانى بتخليد ذكراى أنا". وبعدها بقليل لفظ ألفاظه الأخيرة بين يدى الإسكندر.

ولقد بكى الإسكندر بإحساس حقيقى صادق على موت دارا، وبعدها أمر بأن يهتموا بجسد الملك الفارسى، وأن يقوموا بدفنه بوصفه ملكًا، طبقًا للقانون الفارسى. ثم أصدر أوامره، أيضًا، بأن تصاحب الجثمان عربة، وموكب، يتكون من فُرس غير مسلحين، ومقدونيين مسلحين يتبعونهم، كصف ثان للموكب. أما الإسكندر نفسه، فكان يحمل على كتفه[٤١] جنبًا إلى جنب، مع الولاة الفرس، تابوت جثمان الملك دارا. ومن اللافت للنظر أن كل من كان يتابع الموكب الجنائزى، كان يشفق على الإسكندر نفسه. بالضبط كما كانوا حزانى على المتوفى أيضًا. وبعد أن تم دفن الملك دارا فى قبره، قدّم الإسكندر له القرابين، فذبح الثيران، وأقام له تذكارًا، وأصدر العديد من القرارات الملكية لكل منطقة، ولكل المدن، ولكل القرى فى بلاد فارس، ومنها ما يلى:

١ – ليس هناك ملك سوى الإسكندر فقط.

٢ – تعيين ولاة جدد، لهم الطاعة الواجبة.

٣ – الاستمرار فى العيش والحياة وفق العادات والتقاليد الفارسية، كما كان فى السابق على عهد دارا.

٤ – لكل إنسان العيش فى أرضه وموطن مولده، وسيُعتبر هاربًا ويعرض نفسه للعقوبة كل من يقيم فى أرض أجنبية عنه.

٥ – لكل فرد حق التملك لأى شىء، ما عدا الذهب والفضة، وعلى كل إنسان أن يسلم ما لديه منهما إلى مديرى مدنهم.

٦ – يُسمح لكل فرد باستخدام العُملات التى لديه.

٧ – يجب تسليم كل الأسلحة الدفاعية لدى الناس إلى مخازن الأسلحة المحددة من طرفنا.

٨ – يحتفظ الولاة المعينون، من قبلنا، بكل امتيازاتهم.

٩ – لا يسمح بالانتقال من بلد إلى بلد إلا لأغراض التجارة.

١٠ – سيتم إنشاء طرق كبيرة، بغرض التجارة، بين دجلة والفرات، وسيتم وضع علامات إرشادية عليها فى أماكن واضحة.

وفى نهاية بيانه المهم للشعب الفارسي وقائمة قراراته الإدارية، قال الإسكندر متسائلاً:

"إننى برىء من دم داريوس، فأنا لم أقتله، كما لا أعرف مَنْ قتله. ولكننى سأهديهم أية ولاية يشاؤون، وسأمنحهم مناطق شاسعة، لأنهم قد قتلوا عدوى" ثم أكمل حديثه بعدما أدرك قلق الفرس وعدم رضاهم، وقال لهم، ثانية، ما يلى:

"أيها الفرس، أى شىء تَشكُّون؟ إنى أسعى لمعرفة قاتل ملككم دارا، فإن كان مقدونيًا فليجد الشجاعة فى نفسه، ويأتى ولسوف أجازيه وأكافئه بأى شىء يطلبه. وإن كان فارسيًا أو من أية جنسية أخرى، فلا يخشى شيئًا، **وأقسم بالعناية الربانية العليا، وبسلامة أمى. بأننى سأجعله عظيمًا ومشهورًا**".

عندئذ بكى الشعب الفارسي من كلمات الإسكندر، وقدَّم القاتلان نفساهما، طواعية، له بأنهما الفاعلان، فأمر بالقبض عليهما وصلبهما فوق قبر دارا. وأخذ القاتلان فى التذمر والصياح معترضين على طريقة الإيقاع بهما، وعدم الالتزام بالعهد والقسم من الإسكندر، ولكنه فسر كلماته بمنطق سليم، وقال: "لقد أقسمت أن أجعل معكم عظماء ومشاهير أمام الجميع، وذلك بأن أصلبكم أمام أعين الناس أجمعين. وعندها أثنى جميع الحضور، من الجماهير على حديث الإسكندر، وتم صلب القتلة الجبناء فوق قبر دارا.

وقام الإسكندر، بعد ذلك، بنشر السلام فى عاصمة الفرس، وسأل شعب المدينة القائد المقدونى المنتصر، الملك الأوحد، بأن يُعين عليهم أدوليتيس (Adoulites)، عم الملك المتوفى المقتول دارا، فأمَّن على اختيارهم ووافق عليه. ثم أرسل خطابًا إلى أم دارا وزوجته، وإلى الأميرة روكسانى، التى خاطبها بـ "زوجتى"، تنفيذًا للعهد الذى كان دارا قد قطعه على نفسه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولذلك قال لها: "إن والدك عندما سألته عن من قتله، لم يقل لى شيئًا قط غير تلك العبارة: إنك سوف تهتم وترعى روكسانى، وستتخذها زوجة لك! لقد عاقبت القتلة بفظاعة، وأعتقد أنكم تعلمون كل ما جرى. كما أمرت بإقامة نصب تذكارى إلى جانب أبطالكم المواطنين. والآن، يجب عليكم أن توقفوا مظاهر الحزن والنحيب، ولسوف تعودون أدراجكم إلى قصوركم، ولكنكم ستبقون فى أماكنكم، بصورة مؤقتة، حتى أتم وأنجز تماما بعض المصالح".

وما إن قرأت نساء دارا الخطاب، حتى بادرن بكتابة الرد الذى جاء كالتالى: "من رودوجونى (Rodogoune) وستاتيرا (Stateira) إلى الملك الإسكندر، تحية. إننا ندعو الآلهة العلوية الذين ساندوا، يومًا، اسم دارا، وشهرة الفرس، أن يجعلوك ملكًا خالدًا لكل الدنيا المعمورة، وأن تتفوق على الناس جميعًا فى المنطق، وفى التعقل، وفى القوة. إننا ندرك جيدًا أننا فى حماك، ونعيش حياة طيبة، ولذا فإننا ندعو لك أن تمنحك الآلهة الأفضل لديها، لأن سلوكك معنا أكد لنا أنك وُلدت لكى تسود الناس. وكذلك فإننا الآن، لسنا مقهورات، لأننا لسنا أسراك، لأننا نشعر أننا نعلم يقينًا بأن الملك الإسكندر بالنسبة لنا، هو دارا الجديد. أيها الملك الإسكندر، إننا نسجد لك، لأنك لم تذلنا. ها أنت الآن قد عرفناك، يا أيها الملك الأعظم، الإسكندر، بأنك دارا جديد! وإن الحظ قد قادك لتصبح سيدًا على كل العالم المأهول، وأن تتزوج من روكسانى. إننا نُجلُّك ونعلن، على الملأ، يا إسكندر، إنك أنت، الآن، الملك الأعظم. ونتمنى لك المزيد من القوة الخيِّرة[٤٢]. (Kalé dýnamé).

تَسلَّم الإسكندر الخطاب، وقام بالرد عليه، كما يلى: "**إننى أهنئكن على أدبكن، وأخلاقكن، ولسوف أحاول أن أرعاكن كما يجب أن يكون الاهتمام وبما يناسب مستواكن، متعتن بالصحة.**" ثم بعد ذلك، كتب الإسكندر خطابًا إلى روكسانى، فقط، قائلاً لها: "من الملك الإسكندر، إلى روكسانى، شريكة حياتى، تحية. إننى عندما كتبت إلى أمى، وأوليمبياس، حول بعض الموضوعات التى تخصنا، فأخبرتها، أيضًا، بأننا سنرسل إليها أدوات التجميل، وملابس أم دارا، رودوجونى، وكذلك الأشياء الخاصة بأمك ستاتيرا، ولسوف أدفع بنفسى قيمة كل ذلك، كما سأحاول أن أجعلك تقتنعين بأنك جديرة بالملك الإسكندر. **إنك يجب أن تُبدى الاحترام الواجب والتبجيل الضرورى تجاه أوليمبياس، وإذا تصرفت بمثل هذا السلوك، فإنك ستضيفين إلى نفسك جلالاً عظيمًا، وتقديرًا كبيرًا، وكذلك إلى كلينا. دُمت بخير يا حبيبتى". ثم أكمل هذه الرسالة فقال:** وكذلك كتب الإسكندر لأمه أوليمبياس، لكى ترسل هى الأخرى أدوات زينتها وفتانها(هيمايتو: Himatio):

لقد وجدت أنه من الضرورى أن أكتب إليكم لأخبركم كيف واجهت داريوس، عند خليج إسوس (Issos) وكيف خدعت قواته وحلفاءه من الملوك والولاة، بأن أمسكت ببعض الماعز وربطت فى قرونها شموعًا مشتعلة فى الليل، فظن الفرس أن جيشنا لا نهاية له، فانسحبوا خائفين"! ثم أكمل هذه الرسالة فقال:

"هكذا، حققتُ النصر على القوات الفارسية، وقمت بتخليد ذكراه بأن شيدت مدينة هناك على خليج إسوس سميتها أيجاى.(Aigai)، وكذلك مدينة أخرى باسم الإسكندرية (Alecandrieia) ومن هناك تقدمنا صوب أرمينيا، حيث تُوجد منابع نهرى دجلة والفرات. وتمت محاصرة داريوس، وقُتِل بأيدى ولاة ميديا، وهما بيسوس (Bessoss)، وأريوبارزانيس (Ariobarzanes). لقد حزنت كثيرًا على هذا التطور للأحداث، فلقد كان مهزومًا، وكنت أريده تحت سيطرتى وسيادتى، وليس ميتًا. لقد وجدته مشرفًا على الموت فغطيته بعباءتى، وجعلنى هذا الموقف أدرك وأعى كم أن جسد الإنسان رقيق ودقيق، بل

وهش. وهكذا فقد أمرت له بجنازة، وموكب دفن بكل مظاهر التكريم العظيمة لنهاية حياته كما أمرت بأن تقطع آذان وأنوف حراسه الذين كانوا مكلفين به، جريًا وراء عادة فارسية يفعلونها فى مثل تلك الظروف، وكذلك أخضعت كل بلدان ومدن ميديا وأرمينيا لسلطانى أنا، بعد أن كانت تابعة للملك داريوس".

وبعد الانتهاء التام من كل مظاهر الزواج من بنت داريوس، روكسانى، وبحضور أعداد كبيرة من المقدونيين والأجانب، أمر الملك إسكندر أحد جنرالاته، وهو سيليوكوس (Seleukos) بأن يقوم بتجميع القوات الفارسية، وكل الجيش الفارسى على وجه السرعة، والتى بلغت نحو ٣٠٠ ألف من المشاه، بينما الباقى فقد قُتل فى المعارك، وأمر أيضًا أن يندمجوا فى الجيش المقدونى، ويسير بهم سيليكوس ضد مصر لغزوها[٤٣].

٤ - الإسكندر واليهود[٤٤]

واستمرارًا للحملة فقد أخذ فى الاستيلاء على أرض اليهود الذين كانوا ينوون أن يقاوموا غزو الإسكندر لهم، ولذا فقد أرسلوا عيونًا لهم وجواسيس، على أنهم سفراء ومبعوثون من قبلهم. وكان طبيعيًا أن يدرك الإسكندر ذلك. ولما أراد أن يوضح لهم الروح القتالية العالية التى يتمتع بها المقدونيون المحاربون، أمر بعض الشباب من جنود فيلقه الشهير بأن يرموا أنفسهم فى خندق عميق قريب منهم! ولقد نفذ الجنود المقدونيون أمر الإسكندر برضا وقبول! ذلك لأن الجنود المقدونيين هكذا، دائمًا، ينفذون أوامره كاملة.

وبعد ذلك، التفت الإسكندر إلى الجواسيس اليهود الذين تظاهروا وكأنهم سفراء لشعبهم، وقال لهم: **"هكذا، إذن، ترون أيها السفراء، يا مبعوثى الأمة اليهودية، أن**

الموت ليس شيئًا ذا بال عند المقدونيين، فاذهبوا، من هنا، وفكروا فى مصلحتكم، لأننى غدًا سأهجم عليكم وسأفعل بكم ما ستسمح به عناية الآلهة".

وعاد المبعوثون اليهود إلى رؤسائهم، وقالوا لهم ما يلى:

"إننا يجب أن نطيع الإسكندر وننقذ أنفسنا! ليس أمامنا أمل آخر، غير ذلك، من أجل الخلاص! إن الجيش المقدونى هو خارج كل المعايير الإنسانية! ذلك لأن الموت، بالنسبة لهم، هو شىء غير مخيف، كما نظن نحن، ولكنه، بالإضافة إلى ذلك، هو شىء مقبول تمامًا أننا تعتقد أنهم كانوا يتصرفون وكأنهم يتحدون الموت ويتنافسون على ذلك! وكذلك، وكأنه شىء ضرورى وحتمى! ثم روى السفراء اليهود ما رأوه عندما قفز بعض شباب الجنود المقدونيين فى خندق قريب، بمجرد سماع أوامر الإسكندر بذلك! ولذلك كانت آخر كلماتهم لرؤسائهم تعليقًا على تلك الواقعة، بما يلى: "**.. هكذا رأيتم كيف أن المقدونيين واجهوا الموت بسهولة كبيرة! لقد قلنا لكم ما رأيناه، وليحدث ما هو مُقدر أن يحدث، قبل أن يأتى الإسكندر، أو أن يُعتبر قرار البولى (مجلس الشيوخ) لاغيًا".**

وما إن استمع مجلس الشيوخ، حكام المملكة اليهودية، لهذا الذى قيل آنفًا، قرر أن يستسلموا للإسكندر، وقد لبس كهنتهم أزياءهم الرسمية، وخرجوا لكى يقابلوه معًا، بصحبة كل طبقة الكهنوت. ولما رآهم الإسكندر هكذا، خاف من مظهرهم، وأمرهم ألا يقتربوا أكثر بل يجب عليهم أن يعودوا إلى مدينتهم. ولكنه طلب الحديث مع أحدهم، من الكهنة الربانيين، وسأله: "**لقد بدا لى مظهركم إلهيًا، فقل لى بأى إله تؤمنون؟ إننى لم أر قط مثل هذا النظام الدقيق للكهنوت فى عبادتنا نحن". فرد عليه الكاهن قائلاً:**

"إننا نخدم إلهًا، هو الذى خلق السماء والأرض، وكل ما هو فوقهما. وهذا الإله لا يمكن لأى إنسان، مهما كان، أن يُعرِّفه". وعندما علّق الإسكندر على ذلك بقوله: "**اذهبوا**

فى سلام، خدامًا للإله الحق، اذهبوا! إن إلهكم هو إلهى[٤٥] أيضًا! إننى سوف أعقد سلامًا معكم، ولن أتعرض لكم بسوء، ولن أدمركم، كما فعلت مع الأمم الأخرى، ذلك لأنكم تخدمون الإله الحق!". وكان الكهنة الربانيون قد جمعوا مالاً كثيرًا وذهبًا وفضة وذهبوا بها إلى الإسكندر، إلا أنه لم يقبلها منهم وقال لهم: **"فلتعتبروا أنتم هذه الأشياء إهداء منى إلى إلهكم الأساسى. إننى لا أقبل منكم أى شىء"**.

٥ - الإسكندر فى مصر

لما استولى الإسكندر على مملكة اليهود "يودايا" (loudaia)، بدأ حملته لغزو مصر. وكان المصريون قد قرروا عدم الاستسلام له، اعتمادا على أنهم حصنوا مدينتهم، عاصمتهم، وكانوا كذلك، قد استعدوا للحرب. كما كان الإسكندر من ناحية قد زاد عدد قواته، وطوّرها وحاصروا المدينة. وما إن انتهوا من كل ذلك ونصبوا الخيام، ركن الجنود والقواد، والإسكندر نفسه، إلى الراحة والاستجمام.

أمر الإسكندر قواته بأن تستعد للحرب، وبمجرد أن أشرقت الشمس، ونشرت أشعتها الأولى على المكان، الصحراء والهضاب، قام الجيش المشترك، المكون من المقدونيين والفرس بمحاصرة المدينة. **وكان الجميع يلبس صديريات من ذهب[٤٦]، وعندما سقطت عليها وعليهم أشعة الشمس عكست الضوء أضعافًا مضاعفة، وصار ضوء النهار ضعفين!** وقد غطت جموع الأقواس أشعة الشمس، وكذلك كان المشاه يرفعون رماحهم، مما جعلهم أشبه بمن يقطع الفيافى والجبال! وعندما كان هؤلاء يصرخون، كان يخيل للمرء أن السماء اهتزت ورُجت رجًا، ثم وقعت! عندئذ فقد المصريون صوابهم! وعندما أدركوا أنهم ليس أمامهم من سبيل لرد الفعل تجمعوا فى حرم معبد الإله أبوللون، وطلبوا أن يعلموا كيف سيكون خلاصهم وكيف سيتجنبون

الخطر. وأعطاهم الوحى الإلهى تلك النبوءة "**إن منطق الفانين يتوه كالأعمى على غير هدى!** أيها الكهنوت، ورجاله من الكهنة، إنكم لجأتم إلى الكاهن الأكبر، فاذهبوا إلى معبدى، وتذكروا الماضى. إننى أطالبكم بأن تنضموا إلى صف الإسكندر".

وهكذا تذكّر الكهنة النبوءة القديمة، والتى كانت قد أعطيت للملك الفرعون المصرى نيكتانيبو، عندما فرّ من مصر، وفهموا أن الإسكندر هو ابنه. وعندما اقترب المشاه من الأسوار سمعوا من الداخل أصواتًا تمدح الإسكندر، وتهلل له وتقول! فليعيش الملك الإسكندر". وكذلك سمعت تلك الأصوات من فوق أسوار المدينة.

لكن أحدًا ممّن كانوا فى داخل المدينة، لم يكن يجرؤ على أن يظهر رأسه خارج الأسوار، وذلك بسبب الأعداد الكبيرة من رماة السهام. وعندما علم الإسكندر أنه له مَنْ يؤيده ويمدحه فى المدينة غيرّ رأيه بأن تؤجل المعارك والهجوم عليها. وبمجرد أن شاع الخبر وانتشر، وأن هناك هدنة قتال، تشجع المصريون؟ وبدأوا يظهرون، بحذر، فى جماعات فوق أسوار المدينة، ثم يتضرعون ويتوسلون إلى الإسكندر، قائلين: "**أيها الملك، ارحم بلدك القديم!**"، وكانوا يصيحون أيضًا. "**وكذا، لا تقتل عبيدك ورعاياك**، يا سيدنا". وعندما سمع الإسكندر ذلك منهم، وفهم ما يقولونه حول الوطن، أصدر أمرا بإيقاف الحرب تمامًا، وأن يخرج الناس من المدينة ما شاء لهم، وسألهم: "اشرحوا لى ماذا تقولون، لأن وطنى ليس هو مصر، ولكن هناك فى مقدونيا، فكيف تقولون بأن لى وطنًا، هو مصر؟". وما كان من أولئك المصريين إلا أن ركعوا تحت قدميه، وأخذوا يروون له تفاصيل النبوءة القديمة وكيف أنها، هذه المرة، أخبرتهم بأنه سيأتى إليهم حاكم هو سيد العالم أجمع "كوزموكراتور" (Kosmokrátór) وقالوا له: "**إن مصر، معكَ أنتَ، يا سيدنا، ستُحيى من جديد إمبراطوريتها، فهذا هو قدرها، فتسلّم، إذن، المدينة، مدينتك، واحكمها أنت بالشكل والأسلوب، اللذين ترتئيهما أنت أفضل لها**".

وما إن انتهى الإسكندر من سماع ما قاله المصريون حول النبوءة، حتى تذكر، فوراً، ما كان قد قيل عنه، وأمر بأن يخرج رسل المدينة إليه، ثم، يدخلوها معًا إلى وسطها، وحتى يوجهوا الموكب صوب قصر نيكتانيبو[٤٧]. وكانت كل هذه الأحداث قد وقعت بسرعة كبيرة.

وبعدها خرج كل المصريين، معًا، خارج أسوار مدينتهم وسجدوا للإسكندر بذل وعبودية كبيرة، ثم دخلوا المدينة، مرة ثانية متوجهين إلى قصر نيكتانيبو، وبدلاً من أن يحزنوا على ماضيهم سعدوا وخرجوا بما آلت إليه الأحوال. كما أنهم لم يجدوا فى المقدونيين أعداء، بل على العكس فإنهم هم الذين أحضروا، من جديد، ملكهم، فاحتفلوا وسعدوا وكانوا يقولون: "إنه أخيراً، ستتسيد مصر من جديد!". عندما هَمَّ الإسكندر بدخول القصر رأى أيقونة[٤٨] (eikÓna) للفرعون نيكتانيبو، واقفًا وفى يده اليمنى كان يمسك إكليلا، بينما يعرض بيده اليسرى شيئًا مستديراً رُسم عليه منظر لكل الأرض المعمورة، فى وسط الأيقونة، ما يلى:

"إن منْ يدخل قصرى، وأضع أنا على رأسه ذلك التاج، **الإكليل، يجب عليكم أن تعتبروه مثل ابنى، وهو الذى سيجوب آفاق الدنيا، وسيعطى اسمه لهذه المدينة هنا"[٤٩].**

وما إن عبر الإسكندر البوابة حتى حملت الأيقونة الإكليل بشكل أوتوماتيكى ووضعته فوق رأسه، ثم أضافت بعدها ووضعت الشكل الدائرى (الكروى) فى يد الإسكندر أيضًا، مما أدهش كل الحضور من حدوث تلك الواقعة. عندئذ حملق الإسكندر فى الأيقونة، فوجدها تخص شكل الفرعون نيكتانيبو، ثم ركز بصره على وسطها وقرأ الكلمات ومسحها بيده، وبعدها أمر بتكريم الأيقونة وطلائها بالذهب. **لقد فعل ذلك بنفسه، لأنه لا يريد أن يعتبره الناس ابنًا للفرعون نيكتانيبو، بل ابن لفيليب، من ناحية، وابن الآلهة، من ناحية أخرى، وشرح ذلك وفسره للجميع،** موضحًا تصرفه مع الكتابة على الأيقونة.

وبعد أن قضى فترة من الزمن[٥٠]. بدأ الإسكندر فى بناء مدينة، زيّنها وجمّلها بأعمدة كثيرة، وأقام لها سورًا يحميها، عليه أبراج حراسة عالية وضخمة. وكان قد أنشأ، فى الجهة الشرقية منها أعلى الأبراج، وبداخله نصَّب لوحة تذكارية له شخصيًا، وحول الجهات الأخرى من الأسوار، أقام لوحات تذكارية أخرى مهداة لكل من سيليوكوس (Séleukos)، وأنتيوخوس (Antíokhos)، وكذا فيليب، طبيبه الخاص، (Phílippos).

وكان الإسكندر، بأمر منه مباشرةً، قد جعل فى لوحة سيليوكوس نحتًا يصور قرنًا (Kéras) بارزًا فيها، كعلامة مُميزة لها، وذلك كعنوان لصاحبها عن شجاعته الفائقة، وتمرسه فى القتال. كما جعل للآخرين، فى لوحاتهم، علامات دالة على كل منهم.

وعندما انتهت أعمال البناء جميعها واكتملت، ظهرت هذه المدينة فى أعين كل إنسان جميلة للغاية.(*) وعندئذ صعد الإسكندر إلى البرج الأعلى، وتضرع لكل الآلهة، فى كل الدنيا، وأعلن، على الملأ، أن **الإله الحق هو إله واحد، لا يراه أحد، ولا يمكن أن ينساه أحد، وهو فرد صمد**[٥١]. **والذى ينحدر من سيرافيم**[٥٢]. **ويتم تمجيده فى الأعالى بصوت ثلاثى مقدس**[٥٣]. وإلى هذا الإله نفسه، صلى الإسكندر، ودعاه قائلاً:

"يا رب الأرباب، يا خالق كل شىء مرئى وغير مرئى، ساعدنى وقِف إلى جانبى، فى كل ما سأفعله لاحقًا". ثم بعد ذلك نزل الإسكندر من البرج العالى، وذهب مباشرة إلى القصور الملكية، وتلى ذلك تعيين سيليوكوس حاكمًا على الفرس، وفيليب حاكمًا للمصريين.

(*) وكأن الإسكندر قد ظل فى مصر سنوات طوال حتى تم بناء الإسكندرية، هذا الخبر مخالف لكل المصادر الكلاسيكية.

وتمر الأحداث وتتسارع خطى الحملة، ويأمر الإسكندر بتجميع قواته، مرة أخرى، وهاجم كل الأمم والشعوب البعيدة والمتطرفة من أطراف المعمورة، ولقد استطاع أن يُخضع كل الأمم ويفرض عليها ضريبة، لأن تلك البلدان كانت جميعها تشعر بالرعب والخوف منه، لدرجة أنه لم تكن هناك أرض مسكونة لم يغزها الإسكندر، أو لم تدفع له الجزية!

٦ - الإسكندر وبلاد العجائب

(كان الإسكندر قد أمر كل قوات جيشه أن تتزود بمؤن كثيرة تكفيهم لمدة ستة شهور، لأنه قرر أن يعبر ويسير إلى أراضٍ وأماكن غير مأهولة بالسكان! ولما أصبحت كل الأمور على ما يرام، واكتملت استعدادات الجيش المقدونى، أصدر الإسكندر أوامره بالبدء فى المسيرة، حتى ظلوا هكذا لمدة عشرة أيام، ووصلوا إلى صحراوات ممتدة، ومواضع مستوية تماماً.

وفجأة، ظهرت أمامهم نساء مخيفات، فى هيئتهن العامة، حيث كانت لهمن وجوه متوحشة يغطى الشعر كل أجاسمهن، وكانت شعورهن طولية حتى وصلت إلى ما دون الركبة وكانت عيونهن تشع ضوءا كالنجوم، ولا تشبه، أبداً، العيون الآدمية، تبدأ من الجبهة وتغطى كل الوجه(٥٤)، أما الأظافر فكانت طويلة، إذ وصلت إلى الذراع تقريباً، وكان الجسد طويلا جداً يعادل، تقريباً، أمثال ثلاثة رجال طوال(٥٥).

وبمجرد أن رأى الجنود المقدونيون ذلك، وأصبحوا وجهًا لوجه مع أولئك النسوة المخيفات أغاروا عليهن، دون سبب. ولكن تلك النسوة قمن بحركة التفاف سريعة خطفن أربعة جنود من الجيش، بأظافرهن، وأخذن فى التهامهم، وتركوهم أمواتا!

هنا راح أحد جنود الإسكندر برواية ما حدث، فقال: "لقد حدث كل ذلك أمام أعيننا، ولقد وقفنا مذهولين، وتسمَّرنا فى أماكننا مما نرى من المناظر، ولكن عدداً كبيراً منهن ظهر وهاجم واختطف عدداً، من بيننا، وذلك بمد أيديهن الطويلة والكبيرة، ثم أكلوهم! وأحسسنا جميعًا بالعجز!".

وعندئذ بادر الإسكندر بالتفكير فى هذا الأمر مستقبلا وجود كلاب لدى كل جندى مقدونى تصاحبه بغرض الصيد البرى، فقام الإسكندر بتجميع كل كلاب المعسكر، وأطلقها ضد أولئك النسوة المخيفات، وما إن رأت تلك النسوة الكلاب، حتى فرت من أمامها هاربة، ولكن الكلاب لحقت بهن، وأمسكت بالكثير منهن، وقتلت بعضهن، واختفت تمامًا هذه الكائنات الغريبة.

وبعد مسيرة ثلاثين يومًا، فى الفيافى، وصل الجيش المقدونى إلى منطقة رملية تمامًا، وما إن عبرتها القوات حتى ظهرت أمامها حشرات من نمل عملاق، الذى كان يلتهم الرجال والخيل، ثم هربت! ومن هنا بدأ الجنود، فوراً، فى إيقاد النيران، وهكذا أنقذوا أنفسهم منها. ثم مرت القوات، بعدها، ووصلت إلى نهر، وصل عرضه (من شط إلى آخر ما يساوى مسيرة ثلاثة أيام! وعندما رأى الإسكندر مثل هذا النهر الصعب فى العبور، أحس بأنه أمام مشكلة ضخمة.

وعندما جلس الإسكندر مليًا يفكر على ضفة النهر، وكان قد أمر قواته بأن تُعسكر هناك، ففعلوا، رأى فجأة، أن مياه النهر تبخرت وغاضت، ووجد رمالاً كثيرة هى التى تجرى فى النهر بدلاً من المياه! وبمجرد أن رأى الإسكندر ذلك، فهم بأنهم يمكنهم أن يعبروه، وأمر جنوده بأن يصنعوا صناديق من خشب، وأن يضعوها فى مجرى النهر. وما إن قذفوا بأول صندوق جاهز، أمر جنوده بأن يملأوه بالأحجار، وهكذا ظل ساكنًا لا يتحرك فى مكانه. ولما صنعوا الصندوق الثانى، أمر جنوده بأن يحضروا أخشابًا كبيرة وطويلة، تصل أطوالها فيما بين خمس إلى ست قامات لكل منها، ويضعوها فوق الصندوق، أما الصندوق الثانى فكان عليهم أن يثبتوه على مسافة أربعة أقدام من

الأول. ولذا فقد أحضروا الصندوق الثانى ووضعوه فارغًا بالألواح الخشبية، ثم ملأه، فى الحال، بالأحجار، وظل هذا، أيضًا، ثابتًا لا يتحرك من مكانه. وبناء على تعليمات القائد الإسكندر، صنع الجنود صناديق أخرى، ووضعوها فى عرض النهر، حتى خلقوا بهذا الأسلوب، معبرًا فى النهر، واستغرق هذا ثلاثة أيام، حتى تمكن كل الجيش المقدونى من عبور النهر، ولذا فقد سمّاه الجنود "أموورن" (Ammorron)، أى النهر الذى بالماء يجرى لمدة ثلاثة أيام ويجرى بالرمل لمدة مماثلة.

وبعد أن عبر الإسكندر بجنوده نهر أموورن، وصل إلى إقليم آخر وعالم أكثر غرابة، حيث قابل فيه أناسًا عرايا تمامًا، وبأحجام صغيرة للغاية لأقصر آدميين، فكانوا بأطوال نحو ذراع ونصف ذراع فقط! وما إن رأى هؤلاء القوم الجنود المقدونيين، حتى خروا ساجدين، على أربع، أمام الإسكندر، متضرعين له بأن يرحمهم. ولما رأى الإسكندر منهم مثل هذا الذل والخضوع، أمرهم أن يغادروا المكان، ويذهبوا لحالهم فى هدوء قائلاً لهم: "اذهبوا فلن نصيبكم بأذى أبدا". وهنا مكث الإسكندر عدة أيام، ثم تابع سيره، من بعد ذلك، ليكمل حملته إلى داخل الأراضى المهجورة، غير الآهلة بالسكان.

وبعد انقضاء عشرة أيام سيرًا فى الصحراء الرملية، وصل الإسكندر بقواته إلى وادٍ منبسط لا نهاية له، سواء فى طوله أو عرضه، وهنا أمر الإسكندر وقرر إراحة جيشه، وراح يبحث عن الماء. من حوله ولما رأى بحيرة اقترب منها فوجد عندها لوحة تذكارية ضخمة جدا من الحجر، وعليها زينة من الفسيفساء، ومكتوب عليها نقش باللغة اليونانية، يقول ما يلى: **"هذا النصب التذكارى/ هو ملك لـ/ سيسونخوسيس، حاكم العالم الآن"**، كما كانت هناك أيقونة (تمثال) شاب يشبه كثيرًا الإسكندر! أما بقية النقش فكانت تتحدث عن استحالة السير، بعد ذلك، لأى إنسان، ولو لبضعة سنتيمترات. ويكمل النقش سطوره، فيقول: **"وأنا شخصيًا أشك فى إمكانية ذلك، بأنه**

كان ممكنًا، السير، أكثر من ذلك، ولكننى عدت أدراجى، حتى لا أخسر حياتى أنا أيضًا، سيسونخوسيس، حاكم العالم".

ولما انتهى الإسكندر من قراءة النقش غطّاه سريعًا بعباءته، متظاهرًا بأنه يكرم الأيقونة، ولكنه، فى الحقيقة، فعل ذلك حتى لا يقرأه المقدونيون فيخافوا ويجبنوا. بل، على العكس قال بأن التمثال الضخم أعطاه وحيًا ونبوءة أخبره فيهما بما يلى: " إنك إن أنت مررت هنا، يا إسكندر، ستجد عالمًا آخر أفضل، لم يخطر على بال أحد آخر من الناس. لقد قال هذا الكلام، وكذب على قواته حتى يكونوا أكثر حماسًا لحملتهم. وبعد أن استراحوا هناك لمدة ثلاثة أيام، بدأوا سيرهم وحملتهم من جديد.

ولما وَجّه الإسكندر ناظريه صوب القطب (الشمالى) الكبير أراد أن يذهب إلى أماكن أخرى، خلف الصحراوات، ولذلك ضم إلى قواته الكثير من الأدلة والمرشدين. ولكن أولئك أخبروه بأنه لن يجد شيئًا فى تلك البقاع سوى آدميين متوحشين، وكائنات عملاقة، فضلاً عن حيوانات مفترسة.

ولكن الإسكندر كان يريد أن يتعرف على تلك الأماكن، ويرى بنفسه أولئك الناس، فظل يسير بقواته عشرة أيام، حتى وصل إلى مكان ملىء بالأودية الضيقة والوهاد، حيث كان هناك معبر واحد، فقط، وكان هو الأعمق بينها، لدرجة أن القوات المقدونية عبرته فى ثمانية أيام كاملة. وفى نحو الساعة التاسعة صباحًا وصلوا إلى مكان فى منطقة كبيرة مليئة بالأشجار التى كانت ثمارها تشبه التفاح، وفى داخل المكان كانت هناك كائنات آدمية ضخمة جداً، يصل طول الواحد منها أربعة وعشرين ذراعًا وذات رقاب طويلة أيضًا، ولكن أيديها وأرجلها كانت أشبه بالمناشير، وقد ظلوا يقتربون، رويداً، رويداً، حتى وصلوا إلى معسكر قوات الإسكندر كثيراً، عندما رأى تلك الكائنات، أمر بالقبض على بعضها، وما إن هاجم الجنود هذه المخلوقات الغريبة هجومًا مباغتًا، مصحوبين بالصيحات المزعجة، والنفخ المستمر فى الأبواق، حتى فرت.

مذعورة، وحاول الجنود تتبعها، واللحاق بها، حتى قتلوا منها ثلاثمائة واثنين وثلاثين، بينما فقدوا من قواتهم، كخسائر لهم فى تلك، مائة وخمسة وستين فرداً. ثم عسكر الجيش المقدونى فى الموقع نفسه، وكان يأكل من الفاكهة المنتشرة فى المكان، لأنه لم يكن هناك شىء آخر ليأكلوه.

وعندما غادر الجيش تلك المنطقة وصلوا إلى أماكن مستوية، وعندها تفرقت قوات الإسكندر وانتشرت فى الموقع كله، داخل ذاك الوادى الفسيح، وفجأة شاهدوا آدميين متوحشين كانوا يجلسون فوق الأحجار، عراة، ذوى أجسام طولية، وأشكال مرعبة وشعر يملأ أجسادهم كالغابة، لأنه كان منتصبا وسميكا. ولما علم الإسكندر بذلك، أمر بإحضار سيدة جميلة من المعسكر، ليقدموها ولتقترب من واحد من أولئك الآدميين المتوحشين، حتى يرى – عن قرب – ماهية هؤلاء، وإذا كانوا فى صورة آدمية طبيعية. وبمجرد أن اقتربت المرأة من أحدهم، حتى خطفها وبدأ يأكلها! فأمر الإسكندر قواته أن تهاجم هذا الكائن وتنتزع منه المرأة قبل فوات الأوان. وفعلاً نجح الجنود فى الهجوم عليه، ولم يهتم هذا الوحش الآدمى بوجودهم، إذ كان يعض فى فخذ المرأة، كالكلب، وراح يأكله، ولم يتركها إلا بعد أن أصابه أحد المقاتلين المقدونيين بالرمح، وكانت هى على شفا الموت وظلت تجرى بعيداً، وهى تنبح كالكلاب!

وبعد ذلك أمسك بها الجنود وساقوها إلى حضرة الإسكندر الذى اجتمع مع بقية قادته وضباطه فى فيلقه الخاص، وفى تلك اللحظة، ظهرت أعداد غفيرة من أولئك الوحوش الآدمية التى كانت تمسك فى أيديها عصياً وأحجاراً، واقتربت من الفيلق الأول للإسكندر وبدأت الهجوم عليه بضراوة، عندئذ أمر الإسكندر جنوده من المشاه والرماة (رماة السهام بالأقواس) برد الهجوم والإعلان الحرب على تلك الوحوش الآدمية. وما إن حدث الاشتباك بين الفريقين، وتمت إصابة البعض منهم، سارع الآخرون، منهم، بأن قطعوا أعضاءه، وراحوا يأكلونه! وكانت الأحداث، مع مرور الوقت، تميل لصالح

تلك الكائنات وتزداد أعداد القتلى، حتى أصاب الرعب قلوب المقدونيين، واستولى الخوف والجزع عليهم من القتال الدائر أمامهم!

وكان الإسكندر، فى قلق شديد وراح يفكر كيف يجبر أولئك على الفرار، إذ كان هناك ثلاثون جنديًا مقدونيا لقوا مصرعهم فى المعارك الشرسة بين الفريقين، فضلاً عن أعداد كبيرة أيضًا من المعتدين، والغريب أنهم كانوا كلما مات منهم أحد أكلوه! ولذا أمر الإسكندر، العبقرى، جنوده بأن يشعلوا النيران فجأة ففر أولئك فى التو واللحظة!

ولكن عندما بسط الليل أستاره على المكان، ونشر الجيش قوة إضافية، وكان الجميع منهكين من الحرب فإنهم كانوا يستعدون للراحة والاستجمام، وكان هناك فى الوقت نفسه إحساس عام بالقلق وعدم الرضا، فذهب جماعة من القادة المقدونيين، إلى قائدهم الأعلى، الإسكندر، وقالوا له: "**أيها الملك الإسكندر، نرجوك ألا نتقدم فى المسير أكثر من هذا، لأننا لن نستطيع أن نجتاز كل تلك الأماكن، ونخشى من أن يتركنا الحظ، ويقلب لنا ظهره! لقد تحولت نفوسنا إلى وحوش كاسرة، ولم نعد آدميين، وإذا ما متنا، أثناء ذلك فإن المصيبة تصبح أكثر فداحة، ولن يبقى لنا، فى الدنيا**، من ذكر فى أى شىء"!. ولما شعر الإسكندر بالضيق مما استمع إليه منهم أجابهم بقوله:

"**إن عودتنا لا تعتمد، فى الأساس، على قرارى أنا، ولكن يتحكم فيها الحظ (Tykhe)، وعلى الرغم من أننى شخصيًا وددت ذلك، مرات عديدة، فإننى لم أنفذه. إنه واجب علينا أن نخضع لمشيئة الحظ، وهذا ما يجب عليكم جميعًا أن تفعلوه**". **عندها صمت الجميع بسماعهم تلك الكلمات، وألزموا أنفسهم بالحظ.** وفى فجر تلك الليلة، قرر الإسكندر مغادرة المكان وترك تلك البلاد واستغرق ذلك منهم خمسة أيام حتى وصلوا إلى مكان آخر، حيث وجدوا فيه لوحتين تذكاريتين من الذهب، كانت واحدة لرجل، والأخرى لسيدة. ولما شاهد الإسكندر ذلك قال لرفاقه: **هذه النصب التذكارية هى**

لتخليد هيراكليس (Heracles) وسميراميس (Semiramis)، ولما واصلوا سيرهم قليلاً وصلوا إلى قصور سميراميس، ولكنها كانت مهجورة.

وهناك دخل الإسكندر إلى المكان ومعه الجيش المقدونى، فقط، بينما الجنود الفرس والمصريون كانوا قد عسكروا حول المكان، وذلك ثلاثة أيام. وبعد أن غادروا هذا البلد، ظلوا يسيرون لمدة أيام كاملة، ووجدوا أنفسهم أمام آدميين، فى منتهى الغرابة: لهم ستة أذرع وأرجل، لكل منها، وكانوا كلهم عرايا!

وبمجرد أن رأوا الفيالق المقدونية، فإنهم تجمعوا معًا فى وحدات، فإذا رأيتهم فقط، كانت تصيبك وتلبسك كل مشاعر الرعب، والهلع. أصدر الإسكندر أمرًا بإشعال النيران، كالسابق، وأن تهجم عليهم قواته أولاً. وهكذا شعرت تلك الكائنات الآدمية الغريبة بعدم المقدرة على مواجهة النيران، ففروا فى الحال، وحشروا أنفسهم فى كهوف تحت الأرض بسرعة غريبة أيضًا! واستطاع المقدونيون أن يقضوا على واحد منهم ويمسكوه حيًا، ولقد كان – حقًا – منظرًا مريعًا أن تراه! ولما احتفظوا به، لمدة يوم واحد، فجأة، وجد هذا الكائن نفسه وحيدًا، وأصابته لوثة واستمر يصيح عاليًا حتى مات!

وبعد مسيرة ثلاثة أيام أخرى استولى الإسكندر على بلد أصحاب الرؤوس الكلبية (Kynokephalai) الذين كانوا يشبهون الإنسان فى كل شىء، ما عدا رءوسهم التى كانت كرءوس الكلاب! كما كانت أصواتهم ما بين آدمية وكلابية وأصبح الجميع فى مواجهة بعضهم بعضًا وبدأت المعركة؛ واستخدم الإسكندر معهم أيضا النيران التى فروا من أمامها واختفوا عن الأبصار.

ولما غادرت القوات المقدونية من هناك، وصلوا بعدها إلى مكان شاطئ، وهو الذى كان كالغابة، وبه أشجار فاكهة، عندئذ أمر الإسكندر جنوده بنصب الخيام والاستعداد للاستجمام لكل الجيش. ثم اقترب من الشاطئ فرأى جزيرة على مرمى البصر تبعد

نحو ستة ستادات من البر، ثم ذهب إلى هناك ليرى الجزيرة عن قرب، فاكتشف أنها كانت براهمة (Brakhmanoi) الذين يسكنونها ليس باعتبارهم مقاتلين، بل باعتبارهم فلاسفة عرايا (Gymnosophistai)، وكانوا يعيشون فى أكواخ وعندها فكر الإسكندر، ثم دبَّر، ثم أمر جنوده بأن يحضروا ألواحًا خشبية ويصنعوا سفينة، وهى التى جهزها عمال مصريون بسرعة كبيرة. ولكن قبل أن يركب الإسكندر السفينة ليبحر صوب الجزيرة أوقفه صديقه فيلون (Philon) وقال له ما يلى: "لا تفعل هذا، يا إسكندر! اتركنى أذهب أنا أولاً، لأرى وإذا رجعت أنا سليمًا، عندئذ اذهب أنت بنفسك، لتفعل ما تشاء". فرد عليه الإسكندر بدوره قائلاً:

"ولكنى أنا شخصيًا لا أريد أن تذهب أنت بنفسك أولاً، خشية أن تقابلك صعوبات، بينما أكون أنا موجودًا هنا". ثم يضيف الملك الإسكندر، إلى حديثه السابق، ما يلى:

"وأى صديق آخر غيرك سيبقى لى فى الدنيا، ويقف إلى جانبى ويساندنى، مثلما تفعل أنت بنفسك، وبخاصة وقت الأحزان". عندئذ يعلق فيلون على كلام الإسكندر بقوله:

"إنه إذا مات فيلون صديق الإسكندر، فإن الملك سيجد فيلونًا آخر، ولكنه إذا حدث مكروه للإسكندر، فإن العالم كله سيعيش فى تعاسة". وعندئذ أقنع كلام فيلون ومنطقه الملك الإسكندر الذى تركه ليبحر فى سفينة إلى الجزيرة التى وصل إليها ووجد أناسًا مثلنا، وكانوا يتكلمون اللغة اليونانية، وبعد أن قابلهم وتكلم معهم عاد أدراجه إلى المعسكر المقدونى وروى كل ما جرى للإسكندر، وبعد أن انتهى الإسكندر من سماع أخبار البراهمة فور المقابلة لهم. أخذ معه خمسين رجلاً، وأبحر تجاه الجزيرة، وترك القائد أنتيوخوس (Antiochos)، ليرأس القوات المقدونية، نيابةً عنه، حتى يعود، وأمره بأن يظل فى المكان نفسه، لأنه هو الأنسب لهم فى إطعام الجيش. ثم نزل إلى سفينة

هو ورفاقه حتى وصلوا إلى الجزيرة، حيث رأوا عليها غابات كثيرة، وأشجاراً وقابل البراهمة وناقشهم فى أمور كثيرة.

وما إن استمع إلى آرائهم ورآهم رأىَ العين أُعجب بهم وبحياتهم، بل وتأثر بكلماتهم وأحاديثهم الحكيمة والمخلصة، وبصفة خاصة زعيمهم، داندامیس (Dandamis). وبعد أن قبّله غادر الجزيرة، حاملاً معه هدايا كثيرة، كان البراهمة قد قدموها له، ورجع الإسكندر ورفاقه إلى المعسكر، فوجد جنوده فى انتظاره وقام بتقبيل كل جندى بسعادة حقيقية، ثم جلس معهم، وروى ما رأى وما سمع من داندامیس، وبعدها أعاد تشكيل قواته وترك ذاك المكان.

وظلت القوات المقدونية بقيادة الإسكندر تسير لمدة خمسة أيام حتى وصلت إلى النهر، وعندها أمر قواته بنصب الخيام ونشر الوحدات كالعادة، ولكن مع ضرورة الاستعداد بالتسليح الكامل، كما كانوا يفعلون غالبًا فى تلك الأصقاع. وكانت على شاطئ ذاك النهر أشجار تنمو فقط مع طلوع الشمس حتى الساعة السادسة عصراً، ولكنها من الساعة السابعة عصراً وما بعدها تبدأ هذه الأشجار فى التناقص والانكماش لدرجة أنها تصبح لا شىء، وغير واضحة للعيان!

لقد كان إنتاج تلك الأشجار من الراتينج (مادة صمغية) على هيئة ترابية، وفى لون شجرة التين، أما رائحته فكانت رقيقة، وذات درجة عالية جداً من الانتشار والذيوع، ولذا أمر الإسكندر جنوده بأن يقطعوا تلك الأشجار ويجمعوا الراتينج. ولكنه، فجأة، بدأت كائنات غير مرئية بضرب الجميع بالسياط، وكان هناك صدى صوت لهذه السياط مسموع بوضوح تام، فضلاً عن أن جروح الضرب على ظهور الجنود كانت سهلة التمييز والتحديد، مع أن أحداً لم يقدر على أولئك الذين كانوا يضربون الجنود! ثم سُمِع صوت كان يأمر بألا تُقطع الأشجار، وألا يجمعوا الراتينج! وجاء على لسان الصوت المجهول، تحذير، بأنهم إذا لم يتوقفوا عن ذلك سيفقدون أصواتهم للأبد، فخاف كل الجنود المقدونيين، والإسكندر الذى أمر - تبعًا لذلك - بأن يتوقفوا فوراً.

وفى تلك الأثناء حدث شيء آخر غريب جداً فى منطقة النهر يذكر، والذى كان مليئًا بأحجار سوداء، وهو أن كل مَنْ كان يستريح على تلك الأحجار كان يتحول لونه، فوراً وتلقائيًا، إلى لون الأحجار! فضلاً عن وجود طيور تشبه ما نعرفه، ولكنها إذا لمسها أحد أُصيب باللهب.

وفى اليوم التالى بدأ الجيش فى مغامراته، ولكن الأدلاء قالوا للإسكندر: "أيها الملك، إننا لا نعرف إلى أين نحن سائرون، حتى لا نجد أنفسنا فى أماكن أخرى أسوأ من هذه". ولكن لم يكن يريد أن يرجع ويوقف مسيرة حملاته الاستكشافية تلك.

وبعد مرور عشرة أيام على مسيرهم الجديد، وصلت القوات إلى مكان ما، كان اليوم دون نهار أو ضوء إلا لمدة ساعة واحدة. فقط عند الفجر! وهنا شاهدوا كائنات متوحشة: منها ما كان بستة أرجل وثلاث عيون! وكانت أطوالها لا تصل إلى عشرة أذرع. وظل الجنود وأصدقاء الإسكندر يلحون عليه حتى يعودوا ويتوقفوا عن المسير، إلا أنه كان يرفض ذلك، راغبًا فى أن يرى نهاية الأرض!

ومشوا جميعًا من هناك وساروا خلف الإسكندر، وعبروا صحراء بحثًا عن البحر، ولم يروا شيئًا قط فى تلك المنطقة، لا وحوش ولا طيور، ولكن فقط، السماء والأرض، والأرض والسماء، حتى الشمس لم يروها. وكان الهواء لمدة عشرة أيام أسود. وأخيراً وصلوا إلى مكان شاطئ على البحر مباشرة، فأمر الإسكندر بضرب الخيام وإقامة معسكر للجنود، ونزل هو مع بعض رفاقه فى عدة سفن صغيرة، وأبحر صوب جزيرة صغيرة كانت على مرمى أبصارهم، وتصدر منها أصوات آدمية تتحدث اللغة اليونانية، ولكن لم يستطع أحد أن يرى ويحدد مَنْ كان يتكلم بها. وعندئذ أراد بعض الجنود أن ينزلوا إلى الماء ليكشفوا سر ذاك الصوت الغامض، فما إن فعلوا حتى ظهرت لهم سرطانات البحر وأمسكت بهم، وجرفتهم معها إلى داخل البحر، فخاف الإسكندر وأمر رفاقه بالعودة من حيث أتوا. وكان جنود الإسكندر قد قتلوا واحداً من تلك السرطانات،

حين كان يمشى على البر، وذلك بضربه بالرماح، وعندما فتحوه وجدوا بداخله سبع لؤلؤات كبيرة، ذات قيمة مادية فائقة.

وفكر الإسكندر كثيراً حول تلك اللؤلؤات، وأيقن أنها تشكَّلت هكذا فى أعماق البحر العذرى، والتى لم يرتدها أحد قبله، وأمر بتصنيع صندوق حديدى ضخم، وأن يوضع بداخله إناء زجاجى عملاق وسميك جداً، وأن تترك فيه فتحة ضيقة فى هذه الآلة للغوص، لكى تتسع لمرور ذراع إنسان. كل ذلك كان بوحى من رغبة الإسكندر فى النزول إلى أعماق البحر، ليرى بنفسه ماذا يوجد فيه.

وتم بناء الصندوق الحديدى والإناء الزجاجى، كما أمر بصناعة سلسلة طويلة، نحو مائتى ذراع، لربط الآلة بها، ورفعها من الماء عند تحريك السلسلة. وهذا ما حدث، واستطاع الإسكندر مع الكثيرين جمع اللؤلؤ من أعماق البحر، بعد أن نزل إلى الأعماق، نحو مائة وعشرين ذراعاً.

وفى المرة الثالثة للمحاولة - تحت الأعماق - كان يرى من الزجاج أنه قد أحيط به من جماعات الأسماك وأسرابه، ولكن ظهرت فجأة سمكة كبيرة جداً وفتحت فاهاً وأطبقت على الصندوق كله، وذهبت به بعيداً" لمسافة ميل كامل عن سفن الإسكندر ورجاله الذين كانوا يبلغون مائة وخمسين جندياً لإنزال السلسلة ورفع الصندوق، ومعهم أربع سفن كل أولئك فشلوا فى إيقاف حركة السمكة العملاقة، التى رمت بالإسكندر على الشاطئ، فى حالة إغماء تام. وبعد الإفاقة، وسلامة النهاية شكر الإسكندر العناية الربانية العليا، ولام نفسه قائلاً لها: "يا إسكندر، لا تحاول، مرة أخرى، عمل المستحيل، لأنك يمكن أن تفقد حياتك نفسها". ثم أمر جنوده بالرحيل، فوراً، وتحرك الجيش، وسار فى اتجاه آخر.

ووصل الجيش المقدونى إلى مكان مستوٍ، فى وادٍ كبير، حيث وجد الجنود سداً كان يقسم المكان إلى نصفين. هنا قرر الإسكندر إنشاء كوبرى ليصل بين الجزءين من الوادى، وكَتّب عليه لوحة تذكارية باللغة اليونانية والمصرية والفارسية جاء فيها: أنه

"عندما مَرَّ الإسكندر من هنا أقام كوبريًا، سار عليه كل الجيش وذلك بدافع الرغبة فى أن يصل إلى كل أطراف الأرض، بالضبط كما ارتأت العناية الربانية العليا".

وبعد ثلاثة أيام من المسير المتصل، وصل الجيش إلى أماكن جديدة، لم تشرق عليها الشمس حتى حينه، ومن بينها بلد الأموات (الخالدين). هنا ترك الإسكندر معظم جيشه والشيوخ والعجائز من النساء، وأراد أن يأخذ معه، فقط، بعض الذين يختارهم بعناية، حتى يستطيع أن يرى ويكتشف تلك البلاد البعيدة من أطراف العالم. وقام شخص صديق للشباب يُدْعى نينيس (Nines) بنصحهم بأن يذهب معهم هناك، وبصحبتهم صديق ومائة طفل وألف ومائتان من الجنود. وكان الإسكندر على رأسهم، آمرًا إياهم بأن يأخذوا معهم أى عجوز. ولكن الشيخ صاحب الفضول، والذى كان لديه ولدان من الشباب الأقوياء الجادين، ألحَّ عليهما أن يأخذاه معهما، بعد أن يقصا شعره ولحيته، لأنهما سيحتاجان إليه لحظة ما، فى رحلتهما مع الإسكندر، فنفذ الشابان نصيحة والديهما وأخذاه معهما.

وظل الإسكندر يسير هو ورفاقه، حتى قابلوا مكانًا ضبابيًا مظلمًا، ولما لم يستطيعوا التقدم أكثر، فإنهم فككوا خيامهم، ورفعوها من ذاك المكان. ولكنه فى اليوم التالى تحرك الإسكندر ومعه ألف جندى آملاً فى أن يصل مكتشفًا أطراف الكون. ولما كان الإسكندر قد وجد عن يساره جزءًا أكثر إضاءة، بينما الجزء الآخر، عن عينيه كان أكثر ظلامًا فاحتار كثيرًا، ولكنه استعان هو ومجموعته، لكى يحددوا الوقت، فى غياب ضوء الشمس، بالحسابات الهندسية والمسافات. ولما كانت الخيول نفسها قد أُجهدت من طول السفر وبسبب الظلام، فقد كان من غير الممكن الاستمرار فى عملية الاستكشاف.

وعندئذ قرر الإسكندر توجيه خطاب لتوضيح الموقف لزملائه ورفاقه من الشباب، حيث أكد على قيمة الإرادة القوية فى كل فعل، وكيف أن الخبرة لا يستهان بها، وأنهم أمام موقف يحتاجون فيه إلى رأى شيخ عجوز، ليقترح عليهم أسلوب التعامل مع هذا

المكان المعتم جداً، ثم قال: "هل من بينكم شاب قوى شجاع يذهب ويعود ومعه رجل عجوز، ولسوف أكافئه، أنا شخصياً، بذهب كثير" ولما سمع الشابان، سالفا الذكر، طلبا السماح لهما بعدم التعرض للعقوبة، فسمح لهما الإسكندر ووعدهما بألا يمسهما بسوء، وهنا أخبره الشابان بقصة والدهما الذى معهما، فطلب الإسكندر منهما سرعة إحضار والدهما الشيخ العجوز. وعندما جاء فى حضرة الإسكندر، حياه باحترام، وقبَّله الإسكندر ورجاه أن ينصح لهم فى محنتهم تلك.

هنا اقترح العجوز عليهم أن يختار الإسكندر الإناث من الخيول ومعها مثلها من البغال الذكور التى ستظل فى المكان الموجودين هم فيه، سوياً إلى الجزء المعتم، ومعهم الإناث فقط، فنفذ الملك اقتراحه وعثر على مائة، فقط، من إناث الخيل ومعها مائة من البغال الذكور، وكما طلب الرجل العجوز من ابنيه الشابين، أن يجمعا فى حقائب معهما كل ما يجدانه فوق الأرض وتحتها. وكان الإسكندر قد شعر بالجوع وأمر طباخه بإعداد وجبة من السمك المشوى الناشف، ولكنه عندما ذهب ليغسله فى ماء النبع القريب، تحول السمك فجأة إلى الحياة من جديد، ودبَّت فيه الروح، وفرَّ من بين يدى الطباخ!

ولم يروِ الطباخ تلك الحادثة ويحيكها لرفاقه، بل أخذ معه عند عودته إلى المعسكر بعض الماء، من ذاك النبع أو تلك العين السحرية التى كانت مياهها تشع نوراً، واحتفظ بذاك الماء فى إناء فضى. ولقد كان ذاك المكان به مياه كثيرة، ومنها شرب الجميع، وارتووا تماماً. ولما أكل الإسكندر، تحرك إلى الأمام بنحو ثلاثين سخوينيا[٥٦] (Schoi-noi)، فوجد أمامه فجراً دون شمس، ودون قمر، ودون نجوم! كما شاهدوا ثلاث طيور لها شكل آدمى، وتطير فى السماء، بل وتصدر أصواتاً من الفضاء، وباللغة اليونانية، وتقول بوضوح ما يلى:

"إن البلد، الذى تطأه بقدميك، يا إسكندر، هى فقط للإله، عُد أدراجك أيها الجبان، لأنها أرض الأموات الخالدين، ولن يقدر أحد على أن يمشى فيها. وعليك – إذن –

العودة أيها الإنسان إلى أرضك المعروفة لك، ولا تجلب الضرر لنفسك". فابتعد الإسكندر عنها وكان يرتعش، وسارع بتنفيذ الأوامر التى سمعها من الطيور ثم جاءه طائر آخر، وقال له: "إن الشرق يدعوك، حيث ستحتل مملكة بوروس (Poros)". ثم طار عاليًا فى الفضاء.

وبعد أن طلب الإسكندر من العناية الربانية العالية أن ترحمه، أعطى لقائده الأعلى أنتيوخوس أمرًا ليبلغ جنوده جميعًا أن يأخذوا من المنطقة ما يقدرون عليه، وسواء كان حجرًا، أم طينًا، ولكن البعض اعتبر تلك الأوامر هى من وحى التخريف لقائدهم، فيما رأى البعض الآخر أنها سليمة ويجب الانصياع لها. ومن ناحية أخرى كان الشابان، ولدا الشيخ العجوز، عند حسن ظن أبيهما، فملأ كل منهما الحقائب الصغيرة التى كانا قد أحضراها معهما، ولا يقدران على السير من حمولة تلك الحقائب.

أما الإسكندر، فقد أطاع الأدلاء، واستمر فى السير قدمًا لعدة أيام قليلة حتى نجوا جميعًا، ووصل الجيش إلى أراضٍ تملؤها أشعة الشمس، وضوء النهار، وقد التقوا ببقية الجيش الذى كان ينتظرهم وهناك كانت المفاجأة الكبرى، حينما أراد كل واحد من الحملة السابقة أن يتحسس ما أحضره معه، إذ وجدها كلها لؤلؤًا وأحجارًا كريمة، ذات قيمة لا تقدر بمال! هنا شعر الآخرون الذين لم يأخذوا شيئًا معهم من قبل، بندم شديد، بينما الفائزون فقد شكروا الإسكندر وكذلك الرجل العجوز.

وعندما أظهر فيلون الحجر الذى كان قد أحضره، وكيف تحول إلى ذهب خالص، وقال الطباخ إن سمكته قد عادت إلى الحياة من جديد، غضب الإسكندر غضبًا شديدًا وهاج وماج، حتى إنه أمر أصحابه أن يضربوه بالسياط دون رحمة. ولكن الطباخ، عندئذ، قال له يلومه: "يا إسكندر، وماذا ينفع الندم على شىء حدث فى الماضى؟".

ولما أراد الإسكندر أن يعاقب الطباخ الماكر على فعلته، ولا سيما بعد أن أغوى بنت الإسكندر كالى (Kale)، من خليلته أونى (Oune) وجعلها تشرب من ماء النبع الخالد، فواجه الإسكندر ابنته بالحقيقة، وكيف أنها صارت حورية (Nereis)، ويجب أن

تجمع ملابسها وتغادر المكان إلى أرض الأموات الخالدين، فصدعت للأمـر الملكى! أما الطباخ، فقد أمر رفاقه بأن يربطوا حجراً فى رقبته، ويلقوا به فى البحر!

ومن كل ما سبق من مشاهد وأدلة، استنتج الإسكندر أنه كان قد وصل إلى أطراف الأرض، وعندما وصل الجيش، فى الاستكشاف الطويل، وهو فى طريق عودته، إلى الكوبرى الذى أقامه من قبل، توجه إلى اللوحة التذكارية التى كان قد نقش عليها بخنجره، حفراً على الحجر، ما يلى:

"إن الراغبين فى أن يدخلوا إلى بلد الأموات الخالدين يتجهون إلى اليمين".

ثم، من بعد ذلك، كان الإسكندر قد أمر جنوده بأن يمسكوا اثنتين من الطيور الكثيرة الموجودة فى المنطقة، وكانت تلك الطيور ضخمة جداً وقوية جداً، ولكنها كانت هادئة ومستأنسة، حتى إنها كانت ترى الناس ولا تهرب أمامها. كما أن بعض الجنود كان يركبون فعلاً على ظهورها وتطير هى بهم، وهم جلوس فوقها! الإسكندر نفسه أقدم على محاولة طيران بنفسه، مع طيور، قد أمسك بها، ووضع نيراً على رقابها وربطها، وحفزها بقطعة من لحمة الكبد، بعد حرمانها من الأكل لمدة ثلاثة أيام. وعندما طارت به فى السماء قابل، فى الحال، طائراً بوجه آدمى(٥٧)، فقال له الطائر: "يا إسكندر، إنك إذا كنت لا تعرف ما على الأرض، فكيف تطلب أن تفهم ما فى السماء؟ عُد سريعًا، إذن، إلى الأرض، فربما تلد هذه الطيور شيئًا فى غاية القذارة. وللمرة الثانية، نقولها لكنْ حذراً مما على الأرض عندك".

ولما أدرك الإسكندر كل هذا، وأنزلته الطيور على الأرض فى مكان يبعد مسيرة سبعة أيام عن موقع معسكره الرئيسى، لم تعد لديه أية رغبة فى البحث عن الغرائب والمستحيل لأنه كان خائفًا جداً. وبعد رحلة يوم كامل وصل إلى بحيرة، كان ماؤها كالعسل، أوقف الإسكندر جيشه، ليستريح الجميع. وبدافع الفضول دخل الإسكندر فى ماء البحيرة قليلاً. ولما كان الماء نظيفًا جداً وشفافًا لمحته سمكة ضخمة وهاجمته،

فتراجع، وضربها برمحه فقتلها عندما وقفت بعيداً على شاطئ البحيرة، ثم أمر بأن تفتح بطنها ليرى ما فى داخلها فإذا به يجد حجراً مشعًا، يلمع، فاعتقد الجميع أنه لمبة صغيرة. عندئذ أخذ الإسكندر السمكة وملأ بطنها واستخدمها فى الليل للإضاءة داخل خيمته. وفى تلك أيضًا، خرجت من البحيرة نساء حاصرن المعسكر المقدونى كله، حتى صار كل الجنود يرونهن ويسمعونهن عندما كن يغنين أغنية شجية للغاية، ولكنهن اختفين مرة أخرى!

وعندما ظهر نور الصباح واصل جيش الإسكندر سيره لمدة يوم كامل، حتى وصلوا إلى أرض مستوية، وفجأة ظهرت أمامهم كائنات غريبة برءوس آدمية وأجسام خيول بأقواس فى يدها، تقذف بها أحجاراً، وكانوا جاهزين، ولما رآهم الإسكندر أمر جنوده بأن يحفروا خندقًا حول معسكرهم ويغطوه بالبوص والعشب ويستعدوا بسهامهم ذات النصل الحديدى، فلا يستخدموا فى القتال سوى السوق الخشبية لتقذف بها الأقواس، مما يزيد من حماس تلك الكائنات فتهجم على المعسكر فى الحال، وعندئذ يتقهقر الصف الأول من الرماة المقدونيين للخلف، فيأتى العدو، حتى يصل إلى الخنادق فيقع فيها. وبتلك الخدعة استطاع الإسكندر أن يحقق مراده، وأن يأمر كل من فى المعسكر من جنوده ليهاجموا تلك الكائنات الغريبة، وهم فى قاع الخنادق، ويضربوهم بأسلحتهم الحقيقية وقضوا عليهم جميعًا، إلا البعض، وكانوا نحو خمسين، أمسك بهم الإسكندر وأخرجهم من الحفرة، وكان يريد أن يأتى بهم معه، واستطاع أن يجعلهم على قيد الحياة لمدة اثنين وعشرين يومًا، فقط، إلا أنهم ماتوا جميعًا فى النهاية، لأنه لم يكن يعرف ماذا يقدم لهم ليأكلوا! وهكذا انتهت رحلة الغرائب وعاد الإسكندر بجيشه إلى العالم المأهول والمسكون بالإنسان، ولكن بعد غياب عنه، لمدة ستين يومًا، ومن ثم كان عليهم أن يستريحوا ويستجموا.

٧ - خطابات الإسكندر إلى أمه وأستاذه

وجد الإسكندر أنه من الضرورى بعد كل هذا الذى جرى أن يكتب خطاباً لأمه، وكذا لأستاذه، فقال لهما فى خطاب واحد قسمه نصفين، الأول لأمه الملكة أوليمبياس، بينما النصف الثانى إلى أستاذه أريستوتيليس (Aristotéles) وهو كالتالى[٥٨]:

"من الملك الإسكندر إلى أمى أوليمبياس، وإلى أستاذ أرسطو، تحية.

لقد مر وقت طويل، يا أمى، دون أن أشعر تجاهك بشوق إليك، ولم أرسل إليك أخبارنا. أعرف أن ذلك يقلقك، وأنك تُصلين وتتضرعين للآلهة من أجلى. كما أن روحك تتقاذفها الشكوك الكثيرة، مثلما تفعل أمواج البحر مع السفينة. أعلم أنك تسهرين الليالى، وتفكرين فى حالى أنا، وكذلك فى الحرب. كم مرة كانت أحلامك تشير إلى أشياء تحدث! كما أعلم، أيضًا أن أحلامًا مزعجة إذ كانت تحمل لك الألم والشقاء، وتجعلك تفزعين من نومك، ولكنك كنت تفرحين عندما تدركين أنها جميعها غير حقيقية ومحض خيالات. لكننى أنا أعلم، يقينًا، بأنك تحزنين بسبب غيابى عنك، منذ أن بدأت الحملة العسكرية. وكذلك أعلم أنك - بالمثل - تسعدين عندما ترين أحلامًا سعيدة، فتمتلئ روحك فرحًا لأنك رأيت ابنك وهو سعيد. إننى، يا أمى، أفهم قلقك علىّ؛ كأى أم على ابنها الغائب، وأشعر بالأحاسيس نفسها، أنا كذلك، ولذلك فإننى أقدر مشاعرك تجاهى. اعذرينى، إذن، على تأخير الكتابة إليك، واقرئى عن الأحداث التى صادفتنى فى السطور اللاحقة لهذه الرسالة". ثم يواصل الإسكندر الخطاب نفسه قائلاً:

"لقد قلت لك فى خطابى السابق ما يخص داريوس، وكيف انتصرنا عليه فى ثلاث معارك؛ وكيف أننى بعد هزيمته أصبحت أنا سيد فارس كلها، واتخذت من ابنته زوجةً لى. ونجحت فى إتمام المصالحة بين المقدونيين والفرس. ثم أخذت جيشى واتجهنا صوب مصر[٥٩]، وبعد أن غزوت وأخضعت بلدانًا ومدنًا كثيرة، وصلت إلى أرض يوديا

(Ioudaia). إن الناس الذين يعيشون هنا، يبدون لى - أنهم يعبدون الإله الحق، وهو الذى جعلنى أواجه بثبات ومودة، حتى إن روحى نفسها تتوجه، بالكلية، إلى الإله. وفى رد مماثل منى - كما فعلوا هم أولاً - أهديت إليهم، ورفعت عنهم الجزية السنوية، كما أهديت إليهم، أيضًا، جزءًا من الغنائم التى أخذناها من الفرس.

وبعد أن تم إعلانى ملكًا وسيد العالم، وبعد أن عبرت الأراضى لأيام كثيرة وصلت إلى مصر التى مكثت فيها وقتًا قصيرًا وأخضعتها كلها، ولقد دخلت إلى عاصمتهم حيث أعلنونى، هم أيضًا، ملكًا وسيدًا للعالم (Kosmokrator)، وبفضل وحى ونبوءة هناك، أعطيت اسمى لمدينة بمصر[٦٠]، قمت أنا بنفسى بتأسيسها وبناء جدرانها، وهى التى زخرفتها وزينتها بأعمدة كثيرة جدًا، فضلاً عن إقامة التماثيل. **وهناك سَخِرتُ من الآلهة الاثنى عشر على أنها غير موجودة، وأعلنت أن الإله الوحيد، هو ذلك الذى يقدمه اليهود باسم سيرافيم(*).**

وفى هذه المدينة التى أنشأتها أقمت أربع لوحات تذكارية؛ واحدة لى والأخريات لتكريم أصدقائى سيليوكوس، وأنتيوخوس، وفيليبوس. وبعد ذلك أردت أن أصل إلى أطراف الأرض، وفى هذا الشأن فقد حولت أفكارى إلى أفعال، ولما عبرت كل الأرض المعمورة وصلنا إلى أماكن برية، وصعبة الاجتياز والعبور. ولقد عبرناها خلال ثلاثين يومًا ووصلنا إلى مكان مستوٍ تمامًا، حيث وجدنا فيه آدميين متوحشين، ونجحنا فى الإجهاز عليهم. ثم واصلنا سيرنا وقابلنا أعمدة هيراكليس، وقصور سميراميس.

(*) وهى أخطر إدانة. بالكذب والتزييف حول الإسكندر وعبادته للآلهة الأوليمبية اليونانية الأصل، ومحاولة مستمرة لتأكيد عبادته لإله اليهود، مما يؤكد - بما لا يدع مجالاً لأدنى شك - أن المؤلف كان يهوديًا، منحازًا لديانته، ويصر على تزييف التاريخ بطريقته الخاصة!

وهناك استـرحنا لعدة أيام قليلة وبعدها أكملنا حتى وجدنا آدميين بأياد ست وأرجل ست، وما إن أجهزنا عليهم كذلك حتى تقدمنا إلى أعماق الفيافى التى أوصلتنا إلى مكان شاطئ، وعندما استرحنا ظهر لنا سرطان بحرى عملاق، أخذ، فجأة، حصانًا نافقًا، واختفى به داخل مياه البحر، ثم فجأة، أيضًا، امتلأ كل المكان بمثل تلك السرطانات التى لم نفلح فى قتل واحد منها، ولكننا أشعلنا نيرانًا كثيرة، ففروا هاربين، وأنقذنا أنفسنا. هنا تركنا ذاك المكان، ووصلنا إلى مكان آخر، وكان كذلك شاطئيًا، وكانت هناك جزيرة قريبة من الشاطئ فصنعنا سفينة وذهبنا إلى هناك، فقابلنا آدميين، كانوا يتكلمون اليونانية من ناحية، وحكماء، من ناحية أخرى، كانوا جميعهم عرايا، كما ولدتهم أمهاتهم. ثم السكان هناك، واصلنا المسير لعدة أيام أخر، فوجدنا آدميين بستة أرجل وثلاث عيون كما قابلنا آدميين آخرين برءوس الكلاب. ومن بعد ذلك وصلنا إلى واد منبسط كان فى وسطه أخدود، وعبرنا عليه جميعنا. وهناك لم نجد قط ضوءا، وبعد مسيرة عدة أيام وصلنا إلى بلد كلها ظلام تام، وكانت هذه هى بلاد الأموات الخالدين! وهناك جاء تنى طيور بوجوه آدمية، وتكلمت بالرمزية، ومنها: "يا إسكندر، إنك لن تستطيع أن تتقدم أكثر من ذلك". وعندئذ عدنا أدراجنا، وطلبت من الجميع أن يأخذوا شيئًا من أرض تلك البلاد، فاستمع إلىَّ قليل منهم، وأطاعونى، وندم كل من لم يفعل وتوجهنا، فى طريق العودة، إلى ناحية اليمين، ثم حاربنا الكائنات ذات الرءوس الآدمية وأجساد الخيل (كنتاوْروس: Kéntauros)، وأجهزنا عليهم، وبعد مسيرة خمسين يومًا، إجمالاً، وصلنا إلى العالم المأهول المسكون، بعد أن تعرضنا لأخطار عديدة. أما الآن، فنحن نستعد لمحاربة بوروس، ملك الهنود، وكما تشاء لنا العناية الربانية للآلهة، فليكن. وفى خطابى يوجد وصف للأشياء الغريبة التى رأيناها، وعندما تقرأنها ستعلمان كل ما جرى لنا. أتمنى أن تكونى فى أحسن حال، يا أمى، وكذلك أنت، يا أستاذى، فأنتما اللذان تتضرعان للآلهة من أجلنا". هذه كانت الرسالة التى أرسلها الإسكندر إلى أمه وأستاذه.

٨ - الإسكندر والهنود

وظل الإسكندر، هناك، لمدة خمسة أيام، وأعاد تشكيل جيشه وبدأ حملته ضد الهنود. لقد استولى على مدينة الشمس ودخلها، وهى المدينة التى يقولون عنها إنها مكان مقدس ومعبد للشمس، كما أن هناك بعض الأشجار المقدسة فيه، ويعطى ذلك المكان نبوءات باسم الإله أبوللون. واستمر الإسكندر فى مسيرته، ثم توقف، وفجأة سمع صوتًا، ولكنه لم ير أحدًا. لقد كان هو صوت الوحى والنبوة، وكان يلوِّح ويشير إلى موت الإسكندر. ولما غضب الإسكندر وتألم فإنه غادر فورًا ثم وصل إلى مكان قفر صحراوى. وعندما انتشرت قوات الإسكندر فى المكان، خرج بعض الآدميين الأقزام، كقطعان من بين الأشجار الكثيفة، وكانت لهم رجل واحدة، وذيل كقطعان الأغنام، أما الأيدى والرأس، وكذلك الرجل الواحدة فكانت آدمية، وقامت القوات المقدونية بطردها، وجرى الجنود وأمسكوا ببعضها، وساقوها أمام الإسكندر الذى أمر بأن يقتربوا منه أكثر، وبدأوا فى الرجاء والتوسل إلى الإسكندر: "أيها السيد ارحمنا، فنحن رفاق فى الإنسانية، واجعلنا نعيش فى هذه الفيافى". وعندها تعاطف الملك لكلماتهم، وأمر بأن يتركوا أحرارًا، وبدأوا - من بعيد - يتهكمون على الإسكندر، وكانوا يقولون: "أيها الإنسان الوضيع، الغبى، إنك جدير بأن تتعلم منا حكمتنا. إن كل من لا يملك عقلاً، مثلكم أبدًا لن يهزمنا! وكانوا يقولون ذلك ويرقصون طربًا، ويسخرون من الإسكندر الذى رأى ذلك واستمع إليه، ثم بدأ فى الضحك منشرح الصدر. وكانت تلك هى المرة الأولى، منذ أن تلقى الوحى والنبوءة الخاصتين بموته، التى يضحك فيها الملك الإسكندر، لأن كل ما قاله الأقزام، كان بالضرورة، للضحك فقط.

الهوامش

(١) يذكر النص الأصلى، المتن اليونانى القديم، لفظة (Trískakos)، أى أنه كان شراً مضاعفًا ثلاث مرات! وهى صفة تعكس حجم الشر داخله، وذلك فى نظر الأثينيين، مما جعلهم يعادونه ويهجونه فى خطبهم على الملأ، كما فعل أشهر خطبائهم ديموسثينيس فى (ta philippika).

(٢) هذه إضافة منا، لأنها متضمنة فى التعبير اليونانى السابق عليها، فأتينا بها، لمزيد من فهم الصورة البلاغية المقصودة.

(٣) CF. S.C.D., op. cit., pp. 199-200, s.v. Ecclesia.

(٤) أحمد عتمان، الأدب الإغريقى، (تراثًا إنسانيًا وعالميًا)، الطبعة الثالثة القاهرة، ٢٠٠١، أيسخينيس، ص ص ٤٤٥، ٥١٦، ٥١٨، , ٥٢٠ كان بينه وبين الخطيب الأثينى الأشهر ديموسثينيس خلاف سياسى.

(٥) CF.S.C.D., op. cit., P. 106, "Boule".

(٦) Ibid., pp. 390 - 91, s. v. "Phocis".

(٧) Ibid., pp. 548, s.v "Zacynthus".

(٨) هكذا يحاول المؤلف لهذه السيرة أن يبرز دائمًا علمه الغزير بالتاريخ اليونانى القديم فى جزيرة فى البحر الأيونى، غرب اليونان وكانت جزءًا من الإمبراطورية البحرية لأثينا فى القرن ٥ ق.م، واحتله قادة مقدونيا لاحقًا فى شمال اليونان وعاصمتها دلفى كأشهر مدينة فيها بفضل وحى معبد الإله أبوللون منذ القرن ٦ ق.م، وهو الإقليم الملاصق لأيتكى جنوبيًا. وكانت أثينا قد احتلته عسكريا فى عام ٤٦١ ق.م ولكنها طردت منها فى ٤٤١ ق.م، وشهرتها تعود إلى مدرستها الفلسفية التى كان على رأسها أيوقليديس (Eukleides).

(٩) هذا كلام حكيم، لا يصدر إلا عن حكيم، وهو الكاتب الكاهن، مؤلف هذه السيرة الذاتية التى بين أيدينا لأهداف محددة، لم يفصح هو عنها. ويوازى لهذا القول ما نقوله نحن: "كل وقت وله أدانه" وكذلك: "لكل عصر زمانه ورجالاته!

(١٠) هذا هو الخلط بعينه، والإصرار على تزييف التاريخ والأعراق، ولذا فإن الكاتب المؤلف / الكاهن، يقع فى التناقض البين، مع ما سبق أن قاله مرات عديدة بأنه مقدونى وبين فيليب المقدونى، وهذا هو أحد أهدافه من مؤلفه!

(١١) هناك إصرار من المؤلف/ الكاتب (صاحب هذه السيرة الذاتية الخيالية والمزيفة للإسكندر) على اعتبار الإسكندر يونانيًا، مرات عديدة، ولكنه – أيضًا – ينسى ذلك مرات أخرى، فى أماكن كثيرة من المتن، ويؤكد أنه مقدونى ابن فيليب المقدونى. فلماذا كل هذا التناقض وكل هذا التزييف التاريخى؟ لقد كشفنا عن سر ذلك فى تقديمنا لهذه الترجمة وعند تصديرنا لها.. حاول الرجوع إليها من فضلك!

(١٢) وهذا كلام الكاتب نفسه، وجاء به على لسان الإسكندر زورًا وبهتانًا حيث طالما كان تاريخ العسكرية المصرية عظيمًا، منذ العصر الإمبراطورى للفرعون تحوتموس الثالث (نابليون الشرق)، كما سماه جيمس هنرى بريستيد (J.H. Breasted) عندما جاءته بالهدايا وفود الشرق والغرب، وخاصة (kefti) من البحر الأيبجى من يونانيى ذاك الزمان.

(١٣) ما زال المؤلف / الكاهن/ السكندرى (المجهول) مصممًا على أن الإسكندر كان يونانيًا، مما يشكك فى نيَّاته وحكايته الكثيرة المزيفة، حتى سماه الباحثون "المزيَّف".

(١٤) لم يذكر النص الأصلى، اليونانى، مادة صنع هذا الإكليل، ولكنه ذكر وزنه بـ خمسين لترًا.

(١٥) وكأن الإسكندر قام بحملته العسكرية ضد الشرق القديم لحساب اليونانيين ولمصلحتهم، وهذا غير صحيح بالمرة!!! راجع كتابنا تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، القاهرة ٢٠٠٠، ص ص ٥، ١٠ فرانك ولبانك، العالم الهيللينستى، ترجمة وتقديم آمال محمد الروبى، القاهرة المركز القومى للترجمة ١٢٥٧، ٢٠٠٩ ص ص٤٠، ٤١، ٤٤ .

(١٦) S.O.C.D, op. Cit.p. 28, s.v.Alcibiades,.

(١٧) S.O.C .D ., op.cit., p. 28,s.vAlcibiades.

(١٨) Ibid., pp. 175-76, s.v., "Cyrus".

(١٩) Ibid, pp 469-70, s.v' "Socrates".

وكان القائد بيريكليس صديقًا قويًا للفيلسوف سقراط، وأنقذ كل منهما الآخر من الموت فى معارك ٤٣٢، و ٤٢٤ ق.م توفى عام ٤١٥ قاد حملة ضد صقلية، ومن هناك إلى إسبرطة ثم إلى فارس، وعاد إلى أثينا فى ٤١١ وكان فليسوفا من تلاميذه سقراط أصله يرجع إلى مدينة ميجارا، غادر أثينا فى عام ٣٩٩ ق. م حتى مات أستاذه لجأ إلى بلده وأسس فيها مدرسة فلسفية، Euclides P. 210 op. cit., S.C.D.,

(٢٠) ليس هناك فى المصادر الكلاسيكية الشهيرة، ذات العلاقة بسيرة الإسكندر (فيما قبل السيرة الخرافية التى بين أيدينا للكاهن السكندرى المجهول (المدعو: كاليسثينيس/المزيف)، أية إشارة، من أى نوع، إلى زيارة الإسكندرية ومروره بإقليم إسبرطة (لاكيدايمونيا) راجع ولبانك فرانك ولسبانك، العالم الهيللينيستى- المرجع السابق – ص ص ٤١–٤٨ .

(٢١) S.C.D., op. cit., P. 147, s.v. Cilicia، وهنا قفزة جغرافية غريبة، من جنوب اليونان الشرقى إلى أقصى جنوب آسيا الصغرى! فهل هذا نتيجة لعدم دراية المؤلف بطبوغرافية تلك الأقاليم ومواقعها؟

(٢٢) S.O.C.D, op .ct.cit , p. 323,s.v.MEDIA.

(٢٣) هنا خطأ جغرافى رهيب أو سوء ترتيب للقصة، لأنه انتقل من إسبرطة باليونان إلى آسيا دون إبحار! قبل غزو الإسكندر لها، كيف؟ كانت تحت حكم الملك الفارسى دارا، الثانى منذ عام ٤٠٨، قبل غزو الإسكندر لها كيف؟

(٢٤) تم الكشف عن أول عملة بطلمية، فى مصر عليها اسم بطليموس (الأول) بأنه ساتراب (Satrapes) ومؤرخة بالعام ٣٢٢ ق.م.

(٢٥) S.C.D., op. cit., pp. 125-126, s.v Cappadocia.

(٢٦) وكانت فى القصور الكلاسيكية ثلاثة أقسام IBID ., PP.58-59 هى أربيا بترايا (Arabia Petraea) أبريا وسيريا (الصحراء السعودية) وأربيا فيلكيس (Arabia Felix) وهى غرب الجزيرة العربية وجنوبها.

(٢٧) v. Antiochia'. ولم تكن هذه المدينة وذاك الإقليم فى سوريا. قد تسمى بعد بهذا الاسم، إلا بعد عام ٣١٦ ق.م، مع تأسيس مملكة السيلوكيين، خلفاء الإسكندر.

(٢٨) وهى التحية نفسها، بلفظها ومكانها فى ترتيب أجزاء الرسائل الرسمية فى العصر البطلمى والرومانى لما عرفناها فى الرسائل البردية المكتشفة من مصر، راجع محمود السعدنى - نصوص تاريخية بلغة أوربية القاهرة ٢٠٠ ص Ibid.,, P: 40& 63.

(٢٩) هنا، مثلما الحال فى برديات القرون الميلادية، الأولى، بعد انتشار المسيحية يدعو إلى المرسل إليه بالصحة ودوامها فى كلمة واحدة، هى (Ygiaine)، بينما البرديات الأقدم كانت تستخدم كلمة (Erro-so) بمعنى (فلتسعد)، راجع محمود السعدنى المرجع السابق، ص P. 55

(٣٠) لم يذكر المؤلف - هنا - اسم العاصمة الفارسية، ولا ندرى لماذا؟

(٣١) هذا افتراء محض وكذب صراح، ومبالغة ممجوجة من المؤلف السكندرى، الكاهن، وذلك لإبراز حجم إنجاز الإسكندر وعبقريته أمام أعدائه.

(٣٢) كما أن هذا الخبر لا يستقيم منطقيًا فى الحرب وأنها دائمًا خدعة!

(٣٣) هو الإله اليونانى، الشاب الجميل، رسول الآلهة بينها وبين السماء والأرض، المزود بأجنحة عند قدميه انظر S.O.C.D ., PP.257- 258.

(٣٤) هذه واحدة من مبالغات الكاتب، الكاهن، الذى يروج للثقافة اليونانية القديمة، ويفرضها فرضًا على كل العالم القديم، حتى الشرق!

(٣٥) أى ما يقرب من ١٩٠ - ٢٠٠ متر، لما كانت أطول ملاعب الاستاد اليونانى القديم، فى دلفى وإبيداوروس فى العصر الكلاسيكى.

(٣٦) هذه حكمة بالغة لا يملكها إلا الحكماء والفلاسفة، وأراد الكاتب هنا أن يعلمنا إياها بوصفها واحدة من خبراته الحياتية.

(٣٧) هذا اللفظ يستحيل أن يكون واقعًا تاريخيًا، وبالتالى فكرة الخطاب كله عند هذا الكاتب الذى يتحامل كثيراً على الفرس، فسر صورة مليك، لأنهم عنصر - كان ولا يزال حتى اليوم - يعتز بنفسه، ولا ينحنى أبداً، ويكفيه موقفهم الآن من الأمريكان.

(٣٨) هذه استحالة تاريخية وأثرية، ومبالغة مقصودة من الكاتب، إذ إن تلك الأشياء والملك البابلى نبوخذ نصر، تؤرخ ذكراهم بالقرن السادس ق.م، أى قبل الإسكندر بأكثر من قرنين!

(٣٩) هذا الأثر المهم لم يتم الكشف عنه، حتى الآن، ولا يعلم أحد مدى مصداقية هذا الوصف الغريب عن كاتبنا المزيِّف.

(٤٠) ربما كان هذا الموقف الإنسانى الرائع من الإسكندر من قبيل الدعاية التاريخية من الكاتب.

(٤١) هذه عادة شرقية، فقط لا يأتيها الأجانب، فى الغرب، لأن ذلك وفق تراثنا إعلان وتمجيد من الأهل والأقارب للحمية، فى قلوبهم، للمتوفى، ومن ثم فهذه مبالغة ودعاية مقصودتان لصالح الإسكندر.

(٤٢) تقال هذه الدعوة الطيبة، الآن، بين يونانيى اليوم للتمنى القائل للمخاطب، وكأنه يقول عندنا فى شرقنا، "كان الله فى العون".

(٤٣) هذه المعلومة التاريخية الواردة هنا هى الوحيدة - خلافًا لكل المؤرخين القدماء - بأن غزو مصر تم بعد مقتل داريوس وغزو فارس، وأن قائد الحملة على مصر، هو سيليوكوس، وليس الإسكندر! وهى كلها رواية أحادية غريبة من كاتب تلك السيرة، حياة الإسكندر، ولسوف نناقش أدوات الكتابة التاريخية وأهدافها عنده فى تقديمنا لهذه الترجمة، راجع محمود السعدنى، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، الأنجلو المصرية، القاهرة ٢٠٠٠، ص ص ٥٥ - ٧٦ .

(٤٤) كل هذا القسم من الرواية، وهى خالصة لكاتب تلك الرواية التى بين أيدينا، المؤلف المجهول (Pseudo-Kallisthenes) - مما قد ينم عن أصله اليهودى، كما سبق وأن خلصنا فى تقديمنا لهذا العمل الخيالى.

(٤٥) هذا كلام فى غاية الغرابة، وتزييف متعمد من المؤلف/ الكاهن (اليهودى الأصل)، والمنحاز لعبادته، وهو يسير خلف المؤرخ اليهودى الأقدم يوسيفوس، من أواخر القرن الأول الميلادى، راجع محمود السعدنى "يوسيفوس والقدس"، تاريخ مصر فى عصر الرومان، القاهرة ٢٠٠٨ .

(٤٦) هذه كذبة كبرى، إذ يستحيل أن يلبس الجيش كله ذلك من ذهب، ولكن للمؤلف خياله!

(٤٧) لم يثبت حتى الآن على حسب علمى المتواضع فى علم المصريات، أثريًا، أن هناك قصرا لهذا الفرعون فى منف، عاصمة البلاد، أنذاك. فلعله لا يزال تحت الرمال إلى يومنا هذا.

(٤٨) على الأرجح، إنه تمثال وليس رسما أو نحتا بارزا أو غائرا فحسب، بل هو تمثال كامل الاستدارة (OlÓglypho ágalma)، لأن المكان - كما ذكر المؤلف لهذه الرواية - هو أم البوابات.

(٤٩) يبدو أن الراوى / اليونانى - الكاهن / قد نسى أنه كان يكتب عن منف، وقال بذلك قاصدا الإسكندرية.

(٥٠) لم يشر أى مؤرخ من المصادر الكلاسيكية (اليونانية أو اللاتينية) إلى المدة الزمنية التى قضاها الإسكندر فى مصر، وغالبًا ما كانت لمدة عام واحد فقط.

(٥١) هذه الأوصاف للإله الحق، هى الإشارة الوحيدة هنا، دون كل المؤرخين الآخرين المعاصرين للإسكندر أو اللاحقين عليه، وبالتالى هى نتاج خيال واختلاق الكاتب وتزييفه هنا - المجهول الهوية - اليهودى الأصل غالبًا كما ستأتى إشارات أخرى عنده!

(٥٢) وهنا نجد الدليل الأقوى على يهودية الأصل، للإله الواحد الذى نادى به الإسكندر خلافا لكل المصادر التاريخية، ولذلك سمى العلماء مؤلف روايتنا بـ"المزيف".

(٥٣) ربما كانت هذه الإشارة لثلاثية التقديس للإله المزعوم (اليهودى) هى أول دعاية يهودية، بقلم كاتب يهودى، مجهول، من الإسكندرية اليونانية، ضد الديانة المسيحية التى كانت قد بدأت تنتشر فى مصر أنذاك (القرن الثالث الميلادى).

(٥٤) هكذا يحاول المؤلف أن يظهر لنا علمه بالتراث اليونانى الأقدم، الهومرى، حيث أشارت الملاحم إلى كائنات كيكلوبس (Kyklops)، أصحاب العيون الواحدة!

(٥٥) وهو ما نعرفه فى تراثنا العربى القديم باسم "العماليق" عند بعض المصادر العربية التاريخية، مثل الطبرى والمسعودى وابن خلدون.

(٥٦) هو معيار ومقاس للأطوال والمسافات، فيما بين الاستاد (Stadion) الذى كان يساوى نحو ١٨٠ - ١٩٠ مترًا، وكذلك الـ بليثرون (Plythron)، الذى كان نحو ٤٠ مترًا.

(٥٧) ليس هناك فى تاريخ الفن القديم، فى حضاراتنا القديمة، شكلاً بهذا الوصف سوى لروح الميت المصرى، عند البعث والنشور، والتى نقلها اليونانيون عن مصر، ورسموها فى آثارهم أثناء بداية نهضتهم فى القرنين ٧، ٨ ق.م.

(٥٨) إنه أثريًا لم يتغير (حتى الآن)، سواء فى حفائر مقدونيا أو مصر أو فارس، أو أفغانستان التى تم العثور فيها حديثًا على مدينة كاملة من عهد الإسكندر، وفيها آثار متنوعة كثيرة (هى موقع أى خانوم) على أية رسالة للإسكندر موجهة لأمه أو لأستاذه.

(٥٩) وهو الخبر التاريخى غير الصحيح والأحادى المصدر هنا فقط، إذ تجمع المصادر القديمة على عكس ذلك.

(٦٠) الإسكندرية القديمة، التى وضع مخططها وأساساتها الإسكندر، نحو عام ٣٣٢ ق.م.

الكتاب الثالث

(Biblion III)

نهاية الإسكندر الدرامية(*)

بعد ذلك، أخذ الإسكندر جيشه، وسار به قاصداً محاربة بوروس، ملك الهنود، وقد مر بصحراء كبرى وأماكن جدباء ليس فيها ماء، بل مليئة بالأخاديد. وعندها قال قائد الوحدات العسكرية للإسكندر: "إنه يكفى أن قد وصلنا إلى فارس وحاربنا وأخضعنا الملك داريوس، فماذا سنكسب لو أننا حاربنا الهنود فى أراضٍ موحشة، وغير اليونانيين؟ إنه إذا كان الإسكندر محاربا عبقريا يريد كل الأجانب، وأننا يجب علينا أن نتبعه، فليذهب هو وحده ليحارب!

وعندما علم الإسكندر بذلك، استبعد الجنود الفرس ليوجه حديثه للمقدونيين وبقية اليونانيين الآخرين، وقال: **"أيها الرجال، رفاق الجندية والتحالف، المقدونيون، اليونان، كان الفرس هم أعدائى وأعداءكم، والآن أنتم تتذمرون، وتعترضون على استكمال الحملة، وقلتم أن أذهب أنا وحدى لكى أحارب الأجانب، إننى أذكركم بشىء واحد فقط، كما أذكر مَنْ كان قبلك، بأننى أنا وحدى الذى انتصرت على الأعداء، وأنا وحدى الذى**

(*) هذا العنوان، لهذا الجزء من حياة الإسكندر، هو من عندى أنا المترجم، ولم يرد فى المتن اليونانى الأصلى، كما فعلنا ذلك كثيراً من قبل.

إذا أردت أن أخضع أى أجانب، فإننى، أيضًا، وحدى الذى سأفعل ذلك: إن أمرًا واحدًا منى أنا لجنودى بالحرب والقتال، هو الذى يحفزهم ويلهب حماس نفوسهم ضد الأعداء، بالحرب والقتال، هو الذى يحفزهم ضد الأعداء. وإنكم عندما خفتم من الأعداد الغفيرة لجيش دارا، فإننى كنت أنا وحدى الذى ساعدت وساندت فيالق جيشنا فى المعارك" ثم أضاف بانفعال:

"إننى لم أذهب أنا وحدى لقتال داريوس مبعوثًا لنفسى. ألم أعرِّض نفسى، شخصيًا، للخطر؟ فكيف، إذن، تريدون أن تعودوا وحدكم إلى مقدونيا؟ فلتذهبوا ولتنقذوا أنفسكم، ولكن لا تشككوا فى نجاحات الآخرين، ولتعلموا أنه دون حكمة الملك القائد فليس هناك جيش ما يستطيع أن يفعل أى شىء".

وبعد أن أنهى الإسكندر، مباشرة، خطابه رجاه جنوده أن يهدأ، ويحتفظ بهم إلى جانبه حتى آخر الحملة.

ولما وصل الإسكندر بقواته كلها إلى حدود الهند، جاءته الوفود المرسلة من يوروس، وسلمته خطابًا. هنا تسلَّم الخطاب وفضَّه أمام جنوده وقرأه عليهم، وجاء فيه من ملك الهنود بوروس إلى الإسكندر الذى ينهب المدن. أن تذهب بعيدًا، فإن إنسانًا مثلك أنت، لا يستطيع أن يفعل شيئًا أمام إله! فلماذا تُرهق نفسك وجنودك، وتعتقد أنك أقوى منى أنا؟ فبينما أنت أضعف بكثير! إننى لا أُهزم! كما أنى لست ملكًا للناس فحسب، بل ملك للآلهة كذلك! إننى، أنصحك، فقط، بل آمرك أن تعود بأسرع ما يكون لأن نصرك على دارا لم يخفنى، ولا ما كسبت، بالحظ، من أمم أخرى، مستغلاً عدم مقدرتهم. لا تظن أنه يوجد أقوى منى أنا! ولما كنتم أمة قديمة، ليست لكم أى قيمة، فليس لأى ملك رغبة فيكم، ولذلك لم نحاربكم. ولكن كل واحد منا يرغب فى الأفضل، ولا يريد الأسوأ".

لما قرأ الإسكندر خطاب بوروس، على الملأ، علق عليه قائلاً لجنوده وضباطه: "أيها الرجال، يا رفاق السلاح لا يجب أن تستثيركم كلمات بوروس، ولتتذكروا ماذا كان دارا قد كتب إلينا. **إن الأجانب لهم حكمة واحدة، وهى عدم الإحساس**، وبالضبط مثلما تُحيِّد الحكمة الآدمية، بسهولة ويسر، الوحوش التى يملكها الهنود مثل الفهود والأسود والأفيال، **فإن حكمة اليونانيين، بالمثل، هى فى كيفية إخضاع ملوك الأجانب بسهولة! وهم الذين يتفاخرون بالأعداد الكبيرة لجيوشهما**". بهذه الكلمات حاول الإسكندر، أن يُحمِّس جيشه، ثم كتب خطاباً إلى بوروس بعد ذلك، جاء فيه ما يلى:

"من الملك الإسكندر إلى الملك بوروس، تحية. إنك بقولك إن اليونان ليس عندها أى شىء ذى بال لملك من الملوك، وأنكم قد استوليتم على كل البلدان والمدن، فقد جعلنا هذا الكلام أكثر رغبة وحماساً لأن نهجم عليكم، فى معركة، ونعلن الحرب عليكم. إنك، إذن، تعلم بأن كل إنسان يود الأفضل، ولا يريد الأسوأ. ولما كنا نحن اليونانيين(*)، ليس لدينا أى شىء من هذه، بينما أنتم، أيها الأجانب، فإنكم تملكون كل شىء ولذا فإننا نريد أن نستولى على كل ما لديكم، ما دام كل إنسان يسعى إلى الأفضل. أنت تتحدث عن نفسك على أنك إله، وملك كل الناس وأنك تقدر على فعل أشياء أكبر من الإله! ولكننى أنا أخوض حرباً ضد إنسان صغير، وليس ضد إله! ولذلك فاجمع، من كل المعمورة، ما لا يمكن أن يتحمل التسليح الكامل لإله، مثل: صوت الرعد ووميض البرق وغضب الصاعقة"[1]. وبمجرد أن قرأ بوروس خطاب الإسكندر، غضب غضباً شديداً، وجمع فى الحال أعداداً كبيرة من الأجانب، فضلاً عن أفيال وكائنات برية متوحشة،

(*) إصرار وتكرار غير مبررين، من المؤلف، الكاهن السكندرى المجهول، من أن يستنطق الإسكندر بلسان اليونان وحضارتهم، ومع ذلك يؤكد فى مواقف أخرى كثيرة - فى متن هذا العمل نفسه - أنه مقدونى الأصل.

والتى استخدمها الهنود فى المعركة. وعندما اقترب الإسكندر بقواته من المقدونيين والفرس من قوات الهنود، خاف وخشى من الحيوانات المتوحشة، وليس من جنود الملك بوروس، ذلك لأنهم كانوا- أى المقدونيين - قد تعلموا وتعودوا على قتال الآدميين، وليس الحيوانات المفترسة.

وعندما بدأ الإسكندر يفكر فى المعركة القادمة، وتحديداً تلك الحيوانات المفترسة التى رآها، وهداه تفكيره العبقرى جداً، أمر بتجميع كومة من كل التماثيل البرونزية التى لديهم. ومن بقايا أسلحة الجنود المعدنية، وقام بتسخين هذه الأشياء بحذر شديد، حتى وصلت الطبقة الخارجية للبرونز إلى درجة الاحمرار. بعده وُضعت هذه الأشياء أمام القوات، كحائط صد حربى أول. وما إن سمع بوروس بوق الحرب، أمر بوروس فى الحال، ببداية الهجوم على جيش الإسكندر، بأن يتم تحرير الوحوش المفترسة، وأن يُطلق سراحها، فبدأت هذه بالهجوم على المقدونيين، ولكنها وقعت على البرونز الساخن فاحترقت أفواهها وجلودها، وعادت أدراجها هاربة للخلف. وهكذا واجه الإسكندر عدوانية الحيوانات المفترسة، وأعطى الفرصة سانحة لبقية جيشه للتعامل مع الجيش الهندى، فاستطاع الفرس بسهامهم أقواسهم ومعارك الخيل، أن يتفوقوا على الهنود. لقد مات الكثير من الجانبين، وخاض الأعداء معارك شرسة ليتسيدوا المعركة، وكان بوكيفالوس، حصان الإسكندر، قد أصيب فى القتال، ووقع على الأرض، ولذلك ترك الإسكندر شئون القتال الذى ظل مستمراً لمدة عشرين يوماً!

ولكن عندما أدرك الإسكندر حقيقة بداية استسلام بعض جنوده خوفاً من الهزيمة، أمر بإيقاف الحرب، وتوجَّه صوب بوروس، قائلاً له: "إن انتصار أحدنا على الآخر هو شىء ذو بال، ذلك لأننا نكون قد خربنا جيوشنا. وبالعكس فإن الشجاعة ستكون لنا، فقط، إذا نَازَل أحدنا الآخر، تاركين الجيوش لتستريح". عندئذ، زاد حماس بوروس بهذا الاقتراح والدخول فى منازلة مباشرة مع الإسكندر، اعتماداً على أنه كان

يتفوق على منافسه، لأنه هو نفسه كان طويلاً يصل إلى خمسة أذرع، بينما الإسكندر لم يكن طوله يبلغ حتى ثلاثة أذرع!

وعندئذ اصطفت الجيوش، من الفريقين، ليتابعوا النزال ولكنه فجأة حدث بعض الاضطرابات فى الجيش الهندى، فرجع بوروس، ليرى ماذا كان يجرى عنده. وهنا يثنى الإسكندر رجليه، ويقفز قفزة كبيرة ليسقط على بوروس ويخرق بطنه بسيفه، ويقتله فى الحال. ولذا، فقد بدأ الجيشان المتحاربان فى القتال، حتى وَجَّه الإسكندر حديثه للهنود، فقال لهم: أيها الهنود الغلابى لمَ تحاربوننا بينما أقتل ملككم؟ فجاء ردهم عليه كالتالى: "حتى لا نقع أسرى، ولهذا نحاربكم" ثم كانت كلمات الإسكندر لهم، تعليقًا على ردهم، ما يلى: **"توقفوا عن الحرب وعودوا إلى مدينتكم، وستكونون أحرارًا، ذلك لأنكم لم تهاجمونا أنتم، بل كان بوروس هو السبب".**

وما إن انتهى الإسكندر من خطابه، ومدركًا بأن جيشه لم يكن قادرًا على أن يستمر فى القتال ضد الهنود، أمر بأن يُدفن بوروس، بكل مظاهر التكريم، فى المكان نفسه الذى قُتل فيه، ثم استولى على كل الأشياء الثمينة فى قصر بوروس، واحتل مدينته وعاصمته.

بعد ذلك كله تحرك الجيش المقدونى وواصل سيره فى اتجاه البراهمة الذين ليسوا محاربين، بل هم فلاسفة ومفكرون عرايا، كانوا يعيشون داخل كهوف أو أكواخ.

١- الإسكندر والبراهمة

ولما علم البراهمة بقدوم الإسكندر إليهم، أرسلوا إليه أفضل فلاسفتهم ليقابلوه، وليسلموه خطابًا، قرأه الإسكندر فى الحال، وجاء فيه ما يلى: "إننا نحن الفلاسفة العرايا نتوجه إلى الإسكندر الإنسان؛ إنك إذا كنت قد أتيت إلينا بنيَّة الحرب فإنك لن

تكسب شيئًا، ذلك لأننا لا نملك شيئًا يمكن أن نعطيه لك. وإذا حدث أنك تريد أن تستحوذ على ما لدينا فإن الأمر لا يحتاج إلى قتال، ويكفى فقط، أن تطلبه من العناية الإلهية ليس منا نحن. وإنك إذا أردت أن تعلم مَنْ نحن، فإنما نحن العرايا الذين خلقتهم العناية الربانية، وليس من تلقاء نفسك، فأنت مشغول بالحرب، بينما نحن مشغولون بالفلسفة".

عقب قراءة الإسكندر لهذا الخطاب، توجَّه مباشرة إلى بلاد بشكل سلمى، وهناك قابل غابات كثيرة، وأشجارًا من كل نوع، وجميلة الشكل كذلك. وجد نهرًا يحيط بالمكان كله مياهه شفافة، وبيضاء مثل اللبن! كما رأى محل مكان، غاصًا بطرْحه الكبير من البلح الناضج، فضلاً عن الكروم التى تحمل آلاف العناقيد التى تثير شهيتك عند رؤيتها لكى تقطعها. لقد قابل الإسكندر البراهمة عرايا تمامًا، وكانوا يقيمون داخل أكواخ وكهوف، ورأى الإسكندر - بعيدًا عنهم بمسافة كبيرة - نساءهم وأولادهم وهم يرعون قطعان الأغنام والماعز، عندئذ توقف الإسكندر، واقترب منهم، وبدأ يسألهم:

س: أليست لديكم مقابر؟

جـ: هذا المكان الذى نحيا فيه ونعيش، هو قبرنا أيضًا، لأن الأرض تلدنا، والأرض هى التى تمنحنا الأكل، وتحت هذه الأرض سوف ننام، نومتنا الأبدية، حينما نموت.

س: مَن الأكثر عددًا، الأحياء أم الأموات؟

جـ: إن الأموات، من ناحية، هم الأكثر، ولكن الذين لا يحيون من ناحية أخرى لا يمكن أن يحصوا. ولذلك، فإن الموجودين على السطح، وهم ظاهرون، هم الأكثر من أولئك الذين لا يظهرون أمام الناس.

س: وما الأقوى، الحياة أم الموت(٢)؟

جـ: الحياة، لأن الشمس لها أشعة قوية، عندما تشرق، وضعيفة عندما تغرب.

س: وما أكبر شيء في الوجود: اليابسة أم البحر؟

جـ: اليابسة، لأنها هي التي تحيط بالبحر.

س: وأي حيوان هو الأكثر مكرًا؟

جـ: الإنسان.

س: لماذا؟ سأل الإسكندر مستغربًا.

جـ: هذا ما يمكن أن تقرره بنفسك أنت، لأنك أنت شخصيًا، وأنت حيوان، فلتنظر كم من الحيوانات تملك، ويأتمرون بأمرك، وذلك حتى تخطف لنفسك وحدها حياة حيوانات أخرى.

غضب الإسكندر، وثارت ثورته، ولكن هدأ بعدها وقصر الأمر على الموقف ذاته، وابتسم، ثم سأل مرة أخرى:

س: ما المُلك، والنظام الملكي؟

ج- إنه قوة غير عادلة وطامعة، والتي تتحول إلى جرأة عندما تسمح لها الظروف. إنه عبء من ذهب!

س: ما الذي حدث أولاً: الليل أم النهار؟

جـ: الليل، ذلك لأن كل ما يجري في ظلمات البطن ينمو ويكبر، حتى إن الأطفال يُولدون عند الفجر.

س: وأي جهة هي الأفضل، الشمال أم اليمين؟

جـ: اليمين، ذلك لأن الشمس نفسها تشرق من اليمين، وتستمر في حركتها في اتجاه اليسار. هذا، فضلاً عن أن المرأة ترضع طفلها الوليد أولاً من اليمين،

ثم بعد ذلك من ثديها الشمال. ثم استمر الإسكندر، بعد ذلك فى أسئلة الفلاسفة البراهمة، وقال لهم:

س: هل عندكم ملك؟

جـ: نعم، لدينا حاكم (رئيس)، بهذا أجاب الفلاسفة العرايا.

س: لقد كنت أود أن أراه وأُقبِّله.

عندئذ، أشار البراهمة للإسكندر على رئيسهم دانداميس الذى كان مُمدداً على الأرض، فوق فرشة من ورق الأشجار، وكان موضوعًا أمامه بعض الفاكهة من تين وشمام وأنواع أخرى. وما إن رآه الإسكندر حتى أحنى ظهره ليتمكن من تقبيله، وقال دانداميس للإسكندر: "تحية" (أهلاً). ولكن دون أن يقوم من مكانه، أو أن يحييه كملك! وبعدها سأله الإسكندر، عما إذا كانت لديهم أراضٍ، فجاءه الرد التالى: "أراضينا هى الأرض نفسها، والأشجار المثمرة، والشمس، والقمر، ودوران النجوم، والمياه.. وعندما نجوع، فإننا نذهب إلى الأشجار المورقة، ونأكل من ثمارها التى تنمو عليها وتنضج دون أى مجهود منا أو رعاية، ومع كل قمر جديد فإن كل أشجارنا تمتلئ بالثمار، كما يوجد لدينا نهر الفرات العظيم وعندما يصيبنا العطش، فإننا نذهب إليه ونشرب من مياهه حتى نرتوى. كما أن لكل منا زوجة، ومع كل قمر جديد يضاجعها حتى تنجب طفلين، وإننا نعتبر أحد الطفلين هو لأبيه بينما الآخر للأم.

بعد أن استمع الإسكندر إلى حديث رئيس البراهمة قال لهم: "اطلبوا منى ما تريدون ولسوف أعطيكم إياه". فصرخ جميع الفلاسفة الرعايا، فى صوت واحد: "امنحنا الخلود". فردَّ عليهم الإسكندر بقوله: "إننى لا أملك الصلاحية والمقدرة، إذ إننى أنا نفسى من الفانين". فقال له الفلاسفة الهنود: "طالما أنك ميت لماذا تقوم بكل هذه الحروب؟ هل لكى تستولى على كل الناس وكل شىء، وتصل إلى ماذا، وأين؟ ألن تترك أيضًا، بدورك، كل هذه الأشياء لآخرين غيرك؟".

فقال لهم الإسكندر: "**إن كل هذه الأمور تحددها العناية الإلهية للآلهة، ولذلك فإنكم، أيضًا، ستخضعون لسيادتنا. إن الإنسان لا يستطيع أن يفعل أى شىء دون أن يأخذ موافقة الآلهة**(*). إننى أنا شخصيًا أريد أن أوقف الحرب، ولكن الإلهة التى تحدد رأيى لا تتركنى لأفعل ذلك! إننا إذا كنا جميعنا متفقين، وذوى رأى واحد، فإن العالم لم يتطور، ولن يكون هناك نشاط مختلف على وجه الأرض، مثل ركوب البحر، وفلاحة الأرض، وإتمام الزواج، وإنجاب الأطفال. وكما أن حروبى تسببت فى تعاسة البعض وخسارتهم لأملاكهم، فإن هناك، أيضًا، سعداء آخرين، **لأننا كلنا نأخذ شيئًا ونترك شيئًا آخر! وهكذا، فإن أحدًا لا يملك كل شىء فى الواقع الحياتى**"[٢].

واتبع الإسكندر تلك الإجابات الشافية، وتقدم إلى رئيس البراهمة، دانداميس، بعدة هدايا من مال وملابس وخمر وزيت.

"**أيها النبى، خذ هذه الأشياء حتى تذكرنى**". فرد عليه دانداميس وقال للإسكندر: "**إن كل هذه الأشياء هى غير مفيدة لنا. ولكننا، حتى لا نبدو أمامك مبالغين، نحتفظ بالزيت**". ثم قام؛ بعدها مباشرةً، بأن جمع كومة من الخشب وأشعل فيها النار، ثم سكب الزيت عليها، أمام أعين الإسكندر وفى حضوره!

٢ - خطاب الإسكندر إلى أرسطو

مِنْ الملك الإسكندر إلى أرسطو، تحية. إنه من الضرورى أن تعلم عن كل الأشياء الغريبة التى حدثت لنا فى الهند. لقد وصلنا إلى مدينة براسياكى (Prasiake) التى تبدو أنها عاصمة الهنود، مما جعلنا نفهم كيف أنها عبارة عن نتوء فى اليابسة، أو لسان

(*) هذا قول الإنسان المؤمن، حقًا، مما يؤكد يهودية الكاتب، الموحد، ويساوى لدينا نحن - المسلمين - قول الحق سبحانه وتعالى: "وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ".

داخل البحر، تضربه الأمواج كثيراً. ولما أخذت معى عدداً قليلاً من الجنود، وقررت مهاجمتها، رأينا بحذر أنه كان يسكن فيها هناك أناس لهم شكل أنثوى، ويعيشون على أكل الأسماك. وعندما قمنا بدعوة البعض منهم، اكتشفت أنهم يتكلمون بلغة أجنبية، غير يونانية، وعندما أردت أن أعلم من أين أتوا إلى هذا المكان، أشاروا لى على جزيرة أمامهم، كنا نراها فى وسط الخليج، وكما قالوا لنا، فإنها كانت قبراً لملك من ملوكهم القدماء، وحيث توجد بها تقدمات جنائزية ذهبية كثيرة. وفى تلك الأثناء، اختفى هؤلاء الأجانب فى التو واللحظة، تاركين سفنهم التى كانت اثنتى عشرة سفينة. ولم يتركنى أصدقائى، فيلون، أعز صديق لدى، وكذا هيفايستيون، وكراتيروس، وآخرون. وذهب فيلون نيابة عنى - كما طلب هو منى - قائلاً: **"إذا مات فيلون، فإنك ستجد أصدقاء آخرين، أما إذا مُت أنت، فإن العالم كله، المعمور، سيصبح تعيساً، يا إسكندر".**

ولقد أقنعنى فيلون بكلماته وتركته يذهب ويُبحر إلى الجزيرة وحده، أولاً. وبعد أن أبحر إلى هناك ومر وقت طويل عليه فى طريقه إلى ما نعتبره نحن جزيرة، ظهر، فجأة، وحش فوق سطح الماء فى الحال، من داخل الأعماق! وجرينا لمساعدة فيلون، لكن الوحش كان قد اختفى تماماً، ولم يعد له أثر يذكر. وكان كثيرون منا، مع فيلون، قد ماتوا مع أعز الناس وألمَّ بنا الحزن العميق لمدة طويلة، وظللنا على هذه الحالة أياماً عدة، ولم أجد، أيضاً، الأجانب الذين كنت أبحث عنهم.

ومن الغرائب التى واجهناها، كالأبطال، مع خسارتنا لبعض رجالنا، كانت الوحوش الغريبة التى ظهرت آخر الليل، والتى خرجت من الغابة وتجمعت لتشرب من مياه البحيرة، فكانت هناك عقارب ضخمة، منها الأبيض ومنها الأحمر، عندما صرخ رجالنا تعالت صيحاتهم، شاهدنا وحوشا من ذوات الأربع، تتجمع فى البحيرة، وكان من بينها حيوان أسود وعملاق، فى حجمها، من الثيران التى نعرفها داخل الأحراش

الكثيفة، وخنازير برية، وضباع وفهود، وأفيال، هذا فضلاً عن رجال الست أياد، والأرجل الكثيرة. ولم ينته صراعنا معهم وقتالهم لنا، وقد دافعنا عن أنفسنا دفاع الأبطال ضد كل هذه الوحوش. ومن الرمال، ظهرت لنا ذئاب الليل، بأحجام ضخمة جداً، وخرجت، كذلك، التماسيح من وسط الطين، وأكلت كل الحيوانات الزاحفة. وقد رأينا، أيضًا، فراشات أكبر من الحمام، ولها أسنان، كما أمسكنا ببعض ديوك الليل التى كانت تقف حول البحيرة وذبحناها وأكلناها.

وعندما استرجعنا هدوءنا وانتهينا من الوحوش، قررنا أن نترك المكان، عبر ممر طبيعى، وكنا مستعدين لذلك، فإذا برياح عاتية، فى الساعة السادسة، وذلك للمرة الثالثة، خلال شهر، وعندئذ، هبت الرياح قوية جداً، لدرجة أنها خلعت خيامنا وألقت بنا نحن على الأرض!

ولكن بعد مرور خمسة أيام وصلنا إلى العاصمة مدينة براسياكى فاستولينا عليها، كما استولينا على كنوز بوروس التى كانت كثيرة جداً، والتى كتبتُ لك عنها من قبل. وبعد أن استقرت الأوضاع وعادت إلى سابق عهدها الطبيعى، جاءوا طواعية، وقالوا لى: "أيها الملك الإسكندر، إنك ستخضع المدن، والممالك، والأمم والشعوب، وكذا الوديان والجبال، حيث لم يكن أحد قد ذهب إليها، حتى من الملوك الأحياء"، وجاءنى – كذلك – هنود آخرون من مدن كثيفة العدد والسكان، وقالوا لى: "أيها الملك، إنه يجب علينا أن نريك (نُظهر لك) شيئًا جديرًا بك، وهى نباتات تتحدث بلغة آدمية، كالإنسان!".

ثم قادنا الهنود إلى حديقة مذهلة، حيث يقدسونها، ويوجد وسطها القمر! كما كانت هناك حراسة مقدسة من الكهنة، للشمس والقمر، اللذين هما – فى الواقع – ليسا سوى شجرتين من الصفصاف، وحولهما توجد أشجار أخرى تشبه أشجار الدوم المصرية، وكذلك كانت ثمارها. إنهم يظنون أن الشجرتين كانتا واحدة ذكرا والأخرى أنثى، وكانتا تفكران تفكيرًا آدميًا، كما كانتا تتكلمان بالصوت نفسه.

لقد كانت تلك الشجرتان محوطتين بجلود الحيوانات من كل نوع، الشجرة الذكر بجلود حيوانات ذكرية، أما الشجرة الأنثى فكانت محاطة بجلود حيوانات أنثوية. ولم يكن لأولئك الناس معادن، لا حديد، ولا نحاس، ولا حتى طين الفخار، حتى يستطيعوا أن يصنعوا شيئًا تشكيليًا (فنيًا). وكانت تلك الجلود، غالبًا، هى لأسود وفهود. كما أن هذا المكان، ليس لأحد فيه حق تملُّك قبر. كما كانت الشجرتان تصدران أصواتا كل صباح ومساء.

وعندما دعانى كهنة المكان للدخول إلى الموقع، قالوا لى: "**ادخل، إلى وسط المكان، نظيفًا، واسجد، ولسوف تتلقى وحيًا (نبوءة)**". فأخذت معى بعض أصدقائى، كان من بينهم بارمينيون وكراتيروس وإيولاس، فضلاً عن أحد عشر رجلاً آخرين. وعندها، قال لى أحد الكهنة: "**أيها الملك، إن السيوف لا تناسب دخول المعبد**". فأمرت أن يترك زملائى سيوفهم فى الخارج. وكان إجمالى من دخل معى إلى وسط المعبد نحو ثلاثمائة رجل، كما أمرت بعض الهنود أن يتجمعوا عند الوحى وأقسمت لهم بالإله زيوس الأوليمبى، وبالإله أمون، والإلة أثينة، وبكل آلهة النصر، كما أقسمت بأنه إذا لم يتم الوحى ويصدر إلى قبل غروب الشمس، فإننى سأحرقهم جميعًا! وبالفعل، فإنه عند الغروب، سمعنا صوتًا صادرًا عن الشجرة التى كانت تتكلم باللغة الهندية!

ولما طلبت من الهنود المرافقين لى أن يترجموا لى ما قالته فى نبوءتها لى، كان أولئك خائفين، ولم يرضوا أن يفعلوا، ففهمت أن شيئًا قد حدث، فَدعوْتهم بصورة شخصية، فقال لى الهنود: "**إنك ستموت سريعًا، وعلى يد (رجالك)! وكنت وقتها، أنا نفسى، وكذلك معى صحبتى، قد خيم علينا صمت غريب**، ولم نتكلم ببنت شفة، وأردت أن أتلقى وحيًا آخر جديدًا، فى نبوءة المساء بمجرد أن يظهر القمر. وبعد أن علمت وسمعت مستقبلى، دخلت إلى وسط المعبد، وطلبت أن أعرف عما إذا كنت سأرجع إلى مقدونيا، وأُقبِّل أمى، أوليمبياس، والخلصاء من أصدقائى. وبينما كانوا جميعًا

موجودين معى، تكلمت الشجرة، مرة أخرى، ولكن باللغة اليونانية هذه المرة، عندما ظهر القمر، فقالت: "أيها الملك الإسكندر، إنك ستموت فى بابل، وسوف يقتلك رجالك أنفسهم، ولن يحدث أن تُنقل إلى مقدونيا، حتى تراك أمك، أوليمبياس!".

عندها ظللت أنا وأصدقائى فى دهشة، وفكرت فى أن أقدم قربانًا للآلهة أفضل الأكاليل المتاحة، ولكن الكاهن قال لى: "إنه لا يمكن أن يحدث شىء من هذا، ولكن إذا صممت، فافعل ما تشاء. إنه فيما يخص الملوك، فلا ينطبق أى قانون. وعندما كنت فى غاية الحزن، ولقد رجانى كل من بارمينيون وفيليبوس أن نذهب لننام، ولكننى رفضت وظللتُ مستيقظًا حتى الصباح".

وقبل شروق الشمس تحركت ومعى عشرة من أصدقائى والكاهن وبعض الهنود، فى الطريق إلى المعبد، وطلبت أن نكون منفردين ودخلت إلى ساحة المعبد وحدى مع الكاهن، ثم ركنت يدى على جذع الشجرة، وقلت: "إذا كانت سنوات عمرى وحياتى قد اكتملت، فإننى أريد شيئًا واحدًا أن أعرفه منكم، وهو عما إذا كنت سأصل إلى مقدونيا وأحضن أمى وأقبلها، الملكة أوليمبياس، وكذلك زوجتى، حتى ولو سأموت بعد ذلك.

وبمجرد أن ظهرت الشمس وألقت بأشعتها على قمة الشجرة سمعت صوتًا كان يتكلم بأسلوب قاطع يقول: اكتملت سنوات عمرك، ولن يحدث أن تصل إلى أوليمبياس، إنك ستموت فى بابل، وبعد وقت قليل، أيضًا، ستموت أمك وزوجتك، من الناس أنفسهم، وسيلقون نهاية تراجيدية، وكذلك أخواتك، ولا تطلب أن تعرف شيئًا آخر عن هذه الأخبار، وذلك لأنك لن تسمع أى شىء أكثر من ذلك".

"وغادرتُ المكان فى نحو الساعة الواحدة، ومن عاصمة الهنود "براسياكى"، وصلت إلى فارس، وكنت مستعجلاً لكى أصل إلى قصور سميراميس، وهو أمر اعتبرته ضروريًا، لكى أكتب إليك خطابى هذا. أتمنى أن تكونى فى أحسن حال".

٣ - الإسكندر وكانداكى

وبعد أن انتهى الإسكندر من كتابة خطابه إلى أرسطو، ذهب بجيشه إلى قصور سميراميس التى كان يرغب، بشدة، فى زيارتها وكانت مشهورة جداً سواء فى فارس أو فى اليونان. لقد كانت هناك امرأة جميلة جدًا، فى منتصف العمر، تحكم المدينة، وكانت إحدى حفيداتها هى الملكة كانداكى التى كتب لها الإسكندر الخطاب التالى: "**من الملك الإسكندر إلى الملكة كانداكى (Kandáke) ملكة مروى(٤)(Meroe)، وإلى القادة الذين تحت زعامتها، تحية**".

عندما كنت فى مصر سمعت من الكهنة المصريين هناك حديثًا عن المقابر، وكذلك عن المبانى وعن آمون. وبعد وقت قصير وبينما كان آمون قد أعطانى نبوءة، كنتم قد عدتم إلى مدينتكم، ولهذا فإننى الآن أرسل إليكم هداياى النذرية للمعبد ومعها التمثال الخشبى. تعالوا إلى الحدود، حتى نقدم القرابين لآمون. ولكن إذا كنت ترغبين فى ذلك، فأعيدى النظر فى الموضوع، وأشيرى علىَّ بالمكان الذى تعتبرينه مناسبًا. متعتم بالصحة.

بعدها ردت كانداكى على الإسكندر، وكيف أن آمون كان قد أعطى وحيًا بقيام حملة ضد مصر، ولكن أعطى أخرى بألا يفعلوا، وأن ندافع عن أنفسنا ضد أى عدوان على أراضينا. وأخبرت كانداكى الإسكندر، بأنهم، وإن كان لون البشرة هو نقيصة فيهم، فإن أرواحهم بيضاء صافية. ثم راحت تحصى له قواتها وهدايا إليها، التى جاء فيها:

- ثمانون فيلقًا لتدمير القوات المعتدية عليها.
- مائة لوحة من الذهب المطروق حملها سفراء الإسكندر إليها.
- خمسمائة من الأطفال الإثيوبيين غير البالغين.

- مائتا تمثال لأبى الهول (Sphinges)(*).

١ - تاج من الأحجار الكريمة واللؤلؤ للإله آمون.

- عشر سلاسل مقفولة.

- ثمانون علبة (خزانة) من العاج.

أما هدايانا إليك:

- ثلاثمائة وثمانية من الأفيال.

- ثلاثمائة ضبع.

- ثلاثة عشر خرتيتا.

- ثلاثمائة من الثيران المقاتلة فى المعارك.

- ست قطع من أسنان الأفيال العاجية.

- ثلاثمائة قطعة من جلود الضباع.

- ألف وخمسمائة عصى من الأبنوس.

- ثلاثمائة كلب من آكلى لحوم البشر.

وراحت تكمل خطابها إلى الإسكندر، فقالت: "وأرسل أى إنسان تريد، حتى يتسلم تلك الأشياء فى الحال. واكتب إلينا عن كيفية بسط سيادتك على كل أطراف الدنيا، دمت بالصحة".

(*) بقراءة يونانية قديمة، فى حالة الجمع من الفرد "Sphinx".

ولما تسلم الإسكندر الخطاب وقرأه، أرسل إليها كليومينيس[٥] (Kleomenes)، الحاكم الإدارى لمصر، لكى يتسلم هدايا كانداكى المرسلة إليه. ولكنه هو شخصياً فقد سار بجيشه فى اتجاه الجنوب. وعندما علمت كانداكى ذلك وكيف أن الإسكندر كان يستخدم الملوك الذين يرفضون سيادته وسطوته، طلبت رساماً يونانياً، فى قصرها، وأمرته بالتخفى وبالذهاب لمقابلة الإسكندر، وعمل صورة شخصية له، دون علمه، وهذا ما حدث، ثم وضعت تلك اللوحة المرسومة، كصورة شخصية للإسكندر، فى مكان سرى.

وبعدها بعدة أيام، كان ابن كانداكى يواجه طاغية كان قد خطف زوجته، عندما كان فى طريقه إلى أداء الطقوس السرية، وعندما أراد أن يتقهقر للخلف وقع أسيراً بين أيدى حرس قوات الإسكندر الذين أسلموه إلى القائد بطليموس (Ptolemaios)، الذى كان يُسمى "المنقذ"[٦]، الإسكندر لا يزال نائماً فى خيمته، وقام بطليموس بالتحقيق مع ابن كانداكى، وعرف منه أنه ابنها، فأبلغ الإسكندر وأيقظه. أخذ الإسكندر خوذته ووضعها على رأس بطليموس، وألبسه عباءته، وأجلسه على كرسيه، ليقوم بدوره وكأنه هو الملك، بينما قام هو بدور أنتيجونوس، ليحكى هو الموضوع على بطليموس، ويطلب منه النصيحة ثم أدخلوا ابن كانداكى الذى خشىَ أن يُقتل، وقام بطليموس بدوره، وكذا الإسكندر، وأدوا تمثيلية على الشاب، الأسير وبأنهم سيذهبون ليحرروا زوجته من الطاغية، وذلك تكريماً لأمه كانداكى، ففرح كانداوليس، الشاب، بذلك فرحاً شديداً.

وحدث بالضبط ما خطط له القادة المقدونيون الذين حرصوا على الهجوم المباغت على الطاغية فى الليل، وحرقوا بيوت مدينته، وأثاروا الشعب ضده، وحرروا زوجة ابن كانداكى الذى ركع وسجد عند قدم أنتيجونوس، قائلاً: "يا لعبقريتك، يا أنتيجونوس، ليتك كنت أنت الإسكندر، وليس نائبه!". ثم شكره وحضنه، قائلاً: "يا أنتيجونوس، صدقنى، فإننى سأقدمك إلى الملكة كانداكى، ولسوف أكافئك بهدايا ملكية، تليق بك".

هنا سعد الإسكندر بهذا التطور، وبنتيجة تخفِّيه تحت اسم أنتيجونوس! فرد قائلاً: "اطلب هذا من الإسكندر، لأننى أنا شخصيًا أود كثيراً أن أزور بلدكم. ثم طلب من بطليموس أن يذهب هو مع ابن كانداكى، رسولا للقائد المقدونى، وعندئذ رد كانداوليس على بطليموس القائم بدور الملك الإسكندر، قائلاً: "أيها الملك، لسوف أسلك سلوكًا طيبًا للغاية مع أنتيجونوس، وكأنه هو الإسكندر نفسه". وأضاف على التو: ولسوف يعود إليك مُحملاً بهدايا ملكية.

وبعد كل هذا، غادر الإسكندر (متقمصًا شخصية أنتيجونوس) يصحبة ابن الملكة كانداكى، وكان معهما جنود كثيرون، وخيل وعربات نقل، وهدايا. وأبدى الإسكندر دهشته من كثرة المرتفعات المتنوعة، والتى تحمل فى تربتها أحجار الكريستال، وتصل إلى عنان السماء، وتحوطها السحب(٧). كما لاحظ الإسكندر ثماراً كثيرة على أشجارها العالية، ليست مثل تلك التى تعرفها اليونان، وهى - فى الحقيقة - معجزات حقة. ولنضرب لذلك مثلا، وهى أشجار التفاح التى كانت تلمع كالذهب، أما العنب فكان ضخمًا جداً، وكانت حبات عين الجمل مثل الشمام! هذا فضلا عن ضخامة القرود التى كانت مثل الغوريللا الكبيرة. أما بعض الأماكن الأخرى، فكانت مليئة بالمرتفعات والكهوف، يستخدمونها سكنى للآلهة.

وعندما واصلوا رحلتهم إلى مثل تلك الأماكن أخبر كانداوليس، ابن كانداكى، الإسكندر بأن ملكية الأماكن هى منازل الآلهة الذين يؤثرون فقط فى أصحاب الحظوظ، وليس كل الناس، وكيف أن البعض دخلوا إلى أعماق تلك الكهوف، ولكنهم خرجوا منها كالمجانين، ولذلك كان عليهم أن يتوقفوا، ثم دعا للإسكندر، بعد أن احتضنه وقبَّله قائلاً "يا صديقى أتمنى ألا أراك أبداً تعيساً! فمن حماسى لك، وحرصى عليك أقول لك هذا. إننى، على يقين، من أنك إذا دخلت إلى تلك الأماكن فلن يمسك سوء. كما أن الإسكندر، وهكذا يبدو لى، وأعتقد اعتقاداً قوياً، هو الذى كان يجب عليه الخوف حتى من الآلهة!".

ويدخل الإسكندر إلى أحد هذه الأماكن المقدسة، ويقدم قربانًا جنائزيًا سائلاً، كما تقضى العادة المحلية، فيرى ضبابًا كثيفًا، مليئًا بنجوم وأشباح، ورجالاً يلتفون حول مدفأة، لهم عيون تلمع مثل المشاعل الزيتية، وقال أحدهم للإسكندر "يا إسكندر، تحية. هل تعرف من أنا؟ فأجابه: لا؟ فقال للإسكندر،: "أنا أوخوس (Ochus)، سيد العالم، والذى أعلن نفسه إلهًا، بفضل قوتى وكنت أريد أن أصعد إلى السماء حتى اكتشفتُ نهايتها. والجموع الغفيرة، هنا فى هذا البلد، وهى التى قتلت جيشى وهربتُ منهم، ووصلت إلى هذه البحيرة التى تراها الآن بنفسك، ثم انتابتنى حالة اكتئاب، وأصابنى مرض، وفقدت حياتى رغمًا عنى، وأحضرونى أسيرًا إلى هنا، حيث كل الناس الذين أعلنوا أنفسهم آلهة، وهم الآن يقضون فترة عقوبتهم التى قررها الإله! يا إسكندر إنك أنت كذلك، فقد ثبت فعلاً اسمك بوصفك رجلاً خالدًا!

عندها سأله الإسكندر، وماذا تعنى؟ فرد عليه أوخوس: "إننى أنا شخصيًا، وقد أخضعت كل العالم لسلطانى، غير معروف، بينما أنت ستظل مشهورًا، ببنائك لمدينة الإسكندرية الشهيرة فى مصر. فادخل إلى وسط المكان لترى حامينا. وكانت مفاجأة للإسكندر عندما رأى وسط الضباب شخصًا جالسًا على عرش، كان قد رآه من قبل، عندما كان الناس الأحياء يسجدون له. إنه سارابيس[8] (Sarapis).

ومن هول المفاجأة، قال الإسكندر: "إنه هو الذى رأيته يتعبدون له بوصفه ملكا للآلهة، فى ليبيا، ومصر، وها أنذا أراه مرة أخرى هنا، أى أننى أراك بنفسك، أيها الإله الأعظم! وهكذا استمع سارابيس للإسكندرية، ثم قال له: "إننى مثل السماء أبدو فى كل مكان".

وهنا سأله الإسكندر، "هل تعلم، يا ترى، كم سنة سأعيش؟ فرد عليه الإله قائلاً: "مَنْ كان مِنْ الأموات يطيب له ألا يعرف متى سيموت، لأنه يموت كل يوم منذ لحظة معرفته بذلك، انتظارًا لتلك الساعة. وإن المدينة التى بنيتها ستطعم كل الناس، وسيهجم عليها ملوك كثيرون، لكى يدمروها، ولكن لن يفلحوا إنك ستسكن فيها هناك، حيًا وميتًا،

وستصبح هذه المدينة هى قبرك! وخرج الإسكندر من الكهف، ووجد ابن كانداكى يبكى ويندب، ظنًا منه أنه (أى أنتيجونوس) لن يخرج مرة أخرى، جرى عليه وحضنه وقبَّله، وقال له: "الآن، عرفت أن عالم الآلهة يخشى الإسكندر، ما دام أن نائبه عاد سليمًا من عندها!".

استمر الاثنان فى مسيرهما صوب مملكة كانداكى، حتى وصلا إلى قصر الملكة، واستقبلهما أخو كانداوليس، جاء دور الملكة حيث استقبلت ابنها، بعد أن علمت بدوره الكبير فى إنقاذ ابنها وزوجته، ونظرت إلى الإسكندر وتفحصت ملامحه وشدَّها جماله الواضح، فاقتربت منه، واحتضنته، وكذلك فعل ابناها الآخران. وفى اللحظة التى قد أحست أنها أمام الإسكندر نفسه، لهذا قالت له: "**أنتيجونوس، أتمنى ألا تريد العودة إلى الإسكندر وأن تظل معنا، ومعى أنا شخصيًا ومع أولادى. ولما كان ذلك مستحيلاً، فتعالى الآن، إلى جزء من مملكتنا، ولسوف أهدى، أنا بنفسى، لك ما تشاء، ما دمت أنك أنقذت ابنى**". وجلس الجميع، فى المساء، إلى مادبة عشاء فخمة فى القصر الملكى.

وفى اليوم التالى، أمسكت كانداكى بيد الإسكندر اليمنى، وأشارت له على بعض الاستراحات التى كانت مصنوعة من حجر فريد، يُظهر شروق الشمس من خلال ما يعكسه من وهج وضياء! وكذلك أشارت له على منزل مصنوع من الخشب، بأسرة ثلاثة فقط، وغير قابل للحريق إذ كانت أركانه على قطع حجرية ضخمة مربعة، وليست متصلة بالأرض! وهى التى تُسحب على عجل من عشرين فيلا خشبيًا أيضًا! وكان الملك الإسكندر قد أقام فى هذا المنزل. وأبدى الإسكندر دهشته من مظاهر الثراء الفاحش، وكيف أن الملكة تملك كل مصادر تلك الثروة بجانبها فى المرتفعات المختلفة. وجاء رد الملكة عليه، مباغتًا، فقالت له: "معك حق يا إسكندر ونادته باسمه الحقيقى ولما حاول الإسكندر إنكار حقيقته، وبأنه هو أنتيجونوس، نائب الملك، أمسكت بيده، وقالت له بأنها عندها الدليل على شكها، وذهبا معًا إلى استراحتها، وقدمت له صورته التى كانت محتفظة بها فى مكان سرى، وسألته: "**ألا تتعرف إلى نفسك!**"، فاضطرب الإسكندر

وبدأ يرتعش، وأضافت أنه هو هازم الفرس، والهنود، والميديين، والبارثين، وكيف أنها الآن تضع يدها على الإسكندر دون حاجة إلى حرب، ثم نصحته بحكمة وقالت: "إنك، إذن، لابد أن تعلم، يا إسكندر، إن مَنْ يظن أنه يعلو كثيرًا على كل الناس الآخرين، فإن العناية الربانية هي التي تُذله، وتعطي الفرصة لآخرين أن يُذلوه، ذلك لأنه لا أحد كامل من البشر[٩].

وهنا، كاد الإسكندر أن يتفجر من الغضب الشديد واصطكت أسنانه من الانفعال، وفاجأته الملكة كانداكي بقولها: "وماذا يمكنك أن تفعل، عندما تكون أنت بنفسك، كملك مثلك، يُقبض عليك، وتصبح بين يدي امرأة. وكاد الإسكندر أن يُجن، وأراد أن يسحب سيفه من غمده ويقتل الملكة، ثم يقتل نفسه وينتحر. ولكن الملكة سارعت بقولها - وكأنها قرأت أفكاره - "وهذا أيضًا تصرف ملكي، وشجاع، وأرجوك، يا إسكندر، يا بني، ألا تقلق على نفسك، لأنك كما أنقذت ابني وزوجته، فلسوف أحميك، أنا أيضًا، من الأجانب، وسأظل أناديك بـ أنتيجونوس"؛ لأنهم لو عرفوا حقيقتك لقتلوك؛ فورًا، ما دامت أنك قتلت بوروس، وزوجة ابني الأصغر هي ابنة بوروس".

وتطورت الأمور إلى صدام بين رغبة الأخوين، الأكبر كانداوليس الذي يشعر بواجب الوفاء تجاه الإسكندر، ونائبه أنتيجونوس، والأصغر الذي يعبر عن رغبة زوجته أربيسا (Arpyssa)، ابنة بوروس، في الانتقام من نائب الإسكندر، الموجود بينهم، حتى وصل الأمر إلى المواجهة بينهما في شكل نزال بينهما، واتفقا على ذلك، واستعدا للقاء المصيري!

وهنا طلبت الملكة كانداكي من الإسكندر التدخل، بأية فكرة، لكي يوقف النزال بين ابنيها، فطمأنها أنه سيصلح بينهما، وكان وعده لها حقًا، إذ وجه حديثه لهما، وعرض عليهما حلاً، بأن يستبقوه، على أنه أسير فيظل معهم، وأن يطلبا من الإسكندر الحضور لاستلام هداياه الملكية بنفسه، وعندها يمكن أن يثأرا منه. وهكذا تصالح الأخوان واقتنعا بفكرة الإسكندر (القائم بدور نائب الملك في شخص أنتيجونوس)، وسعدت

كانداكى كثيراً بذكاء الإسكندر وعبقرية حله المشكلة، وظلت محتفظة بالسر، وتمنت لو أنه كان أحد أبنائها.

وبعد عدة أيام قليلة، أعطت كانداكى للإسكندر هدايا ملكية، مثل: تاج بالألماس، وصديرية للتشريفات والمناسبات مصنوعة من الأحجار الكريمة القيمة، وعباءة مذهبة، وخمسة أفيال لحمل الهدايا الكثيرة داخل برج من الخشب صغير، موضوع على ظهورها. هذا فضلاً عن أربعة أجراس فضية كبيرة، معلقة بالأفيال، ومصحوبة بثمانية رجال لكل فيل.

٤ - الإسكندر والأمازونيات

وجمع الإسكندر رجاله واستعد للسير قاصداً بلاد الأمازونيات[١٠] (Amazones)، وقابل، فى الطريق بعض الولاة الذين ألبسوه التاج الملكى لديهم. وعندما اقترب من إحدى الأمازونات أرسل لهن خطاباً يذكرهن فيه بأعماله وانتصاراته وغزواته، ضد داريوس، والهنود والبراهمة، وكيف أن كل ذلك كان بمساعدة العناية الربانية، ثم انتهى بقوله: " **وعندما تستقبلن جيشنا عليكن أن ترحبن به بفرح وحماس، ذلك لأننا لم نأت إليكن لكى ندمركن، ولكن لنرى بلدكن ونتفضل عليكن، ونحسن إليكن. دمتن فى صحة**".

قرأ الأمازونيات خطاب الإسكندر، وكتبن الرد التالى إليه: "**من القائمات على قيادة الأمازونيات إلى الملك الإسكندر، تحية. نحن نكتب إليك لكى تتعرف على بلدنا قبل أن تأتى إلينا. إننا نعيش حياة سعيدة، ونسكن داخل الأمازون، فوق جزيرة فى وسطه، والنهر يحيط بنا دون بداية معروفة. ويصل عدد سكاننا إلى ٢٧٠ ألفًا من الفتيات العذراوات المسلحات تسليحًا كاملاً فلا يوجد رجل واحد بيننا. أما الرجال، فإنهم يسكنون بعيداً عن النهر، ويمتهنون حرفة الرعى لقطعان من الحيوانات والأغنام لصالحنا نحن**". ثم أضافت الرسالة نفسها ما يلى:

"كما أن لنا، فى كل عام، طقوسا واحتفالات حيث تقدم القرابين للإله زيوس، وبوسيدون، وهيفايستوس. وكذلك للإله آريس، لمدة ثلاثين يومًا. وإذا ما أرادت واحدة منا أن تنتقل إلى الرجال وتختلط بهم، فإنها تظل هناك ولا ترجع للأبد، وإذا أنجبت الواحدة منا - هناك - بنتًا، فإنهم يستمرون فى تربيتها حتى تبلغ سن السابعة من العمر، وبعد ذلك يرسلونها إلينا. أما إذا وقع علينا اعتداء فإننا نجند ١٢٠ ألفًا من الأمازونيات الفارسات، والبقية تحمى جزيرتنا، وعندما نهم نحن بالمواجهة عند الحدود، فإن الرجال، ينظمون أنفسهم فى مجموعات خلفنا. وإذا قُتِلت واحدة منا فى الحرب، فإن أقاربها يتسلمون أموالاً كافية. أما إذا تمكنت إحدانا من الإمساك بأسير وأحضرته إلى جزيرتنا، فإنها تُكافَأ بالذهب، والفضة، ومصاريف الإنفاق عليه، حتى إن هذا الإجراء أصبح لدينا حافزا لمجدنا الشخصى.

"إذن، فلتنظر، يا إسكندر، وتقرر، إننا نعرض عليك أن نتوِّجك كل عام، طيلة سنوات عمرك، وفكر، وأجب علينا، ولسوف نتقابل عند الحدود. دمت بالصحة".

ولما وصل خطاب الأمازونيات إلى الإسكندر، قرأه وضحك، وأرسل لهن خطاباً شديد اللهجة، وأخبرهن أنه وجيشه قد تسيَّدوا ثلاثة أرباع الأرض المعمورة، ولن يتأخر عن مواجهتهن وحربهن. وخيرهن بين القتال والدمار وفقدان وطنهن، وبين التراجع خلف الحدود للتفاوض. وأقسم لهن، بأبيه وأمه، أنه لن يمسهن بأذى، إذا اتبعون ما قاله لهن، وكذلك لرجالهن، وأنه سيقبل بدفع الجزية منهن إليه، كما يقدرونها هم. وأنه عليهن أن يُرسلن إليه أقوى المحاربات الفارسات ليحتفظ بهن لديه لمدة عام رهائن لضمان دفع الجزية.

وعندما قرأت الأمازونيات رسالة الإسكندر لهن بحذر شديد، دعَوْن إلى اجتماع الجمعية الشعبية واتخذن عدة قرارات، كتبوها فى الخطاب التالى:

"من القائمات على قيادة الأمازونيات إلى الملك الإسكندر، تحية. إننا نسمح لك بأن تأتى إلينا لترى بلدنا، ونَعدُك أن ندفع لك كل عام مائة تالنت من الذهب، وسنرسل

أفضل المحاربات منا لمقابلتك عند الحدود، ليدفعوا لك أموال الجزية، فضلاً عن مائة من أفضل خيولنا، ليظلوا معك لمدة عام، وأى واحدة منهن ستضاجع جنديًا من جنودك، ستظل عندك للأبد. وإننا نعتبره أمرًا مسلمًا به، وسليمًا، أن نظل نقيم على أرضنا. وأن نلتزم بتعليماتك، سيدا لنا، دمت بالصحة".

وبدقة نفذت الأمازونيات ما وَعدْن به، وراح الإسكندر يسجل وقائع الأحداث التى تمت بينه وبينهن، وكتب بها خطابًا إلى أمه، الملكة أوليمبياس، موضحًا فيه كل ظروف السير والتحرك صوب بلد الأمازونيات، وكيف واجه جيشه المطر الغزير المنهمر، دون توقف، وحدوث البرق والرعد، ومشاكل التقدم لبعض الجنود المشاه، هذا فضلاً عن إعجابه الشديد بالفتيات المحاربات، من قوة البنية الجسدية، أو الجمال، ورشاقة القوام. كما أضاف أيضًا، أنهن كن يستخدمن أسلحة من فضة. ولم يَكنَّ يعرفن لا الحديد ولا النحاس، فضلاً عن التزامهن وذكائهن، ثم كيف وصل معهن لاتفاق على دفع الجزية السنوية. كما روى لها أيضًا هذه الغرائب التالية:

٥ - الإسكندر وغرائب أسطورية شتى

لقد ذهب الإسكندر، بجنوده، بعد ذلك، وسار طويلاً فى اتجاه البحر الأحمر ونهر تينون (Tenon)، ثم وصلوا إلى نهر أطلس (Atlas)، حيث لم يستطيعوا رؤية الأرض أو السماء! هنا كان يسكن عدد من القوميات من كل جنس، ورأوا - هنا أيضًا - أناسًا دون رءوس، ولهم - فى صدورهم عين واحدة، وفم واحد! فضلاً عن أُناس آخرين بست أياد، وغيرهم، بوجوه ثيران، أو بأرجل معكوسة، هذا فضلاً عن آدميين متوحشين، عليهم شعور، مثل الجديان، أو برءوس الأسود، وحيوانات أخرى كثيرة، من كل نوع، ومن كل شكل.

وبعد ذلك سار الجيش المقدونى لمدة طويلة، قطع مسافة مائة وخمسين ستاداً، من البر، حيث وجدوا جزيرة كبيرة، وعثروا على مدينة الشمس. وهى ذات اثنى عشر برجاً مصنوعًا من الذهب، أما الجدران فكانت من الحجر الهندى. أما محيط تلك المدينة ومساحتها الكلية فقد بلغا مائة وعشرين ستاداً، ويقع فى وسطها مذبح من الذهب والياقوت، ويتم الصعود إليه عن طريق سبع درجات سلم. وكانت فوقه عربة وسائقها، ولم يكن سهلاً أن يرى أى إنسان تلك الأشياء بسبب الضباب. كما كان كاهن الشمس إثيوبيًا، وكان يلبس رداءً أصفر نظيفًا، وتكلم مع جنود الإسكندر بلغة أجنبية، وأمر الجيش بأن يغادر المكان. وظلوا يسيرون لمدة سبعة أيام، حتى قابلوا أماكن مظلمة، حيث لا ضوء بالمرة!

وبعد مسيرة طويلة أخرى وصل المقدونيون إلى ميناء ليسوس (Lysos)، وفوق جبل مرتفع كانت هناك منازل فخمة مليئة بالذهب والفضة، فضلاً عن معبد مستدير، يتم الصعود إليه بواسطة مائة وخمس درجات سلم، وفى داخل الحرم المقدس للمعبد، توجد تماثيل لأنصاف الآلهة، مثل: باكخيس، وساتيروى، وفى وسط المعبد كانت هناك سلسلة من ذهب، ضخمة جداً، يتدلى منها إكليل من الذهب الناصع. وبدلاً عن النار، للإضاءة، كان يوجد حجر كريم ثمين يشع ضوءًا فى كل المعبد. ثم وجدوا الأغرب وهو طائر صغير يتكلم بصوت آدمى، وباليونانية، وقال للإسكندر: **"يا إسكندر، كف، إذن، عن مضايقة الإله، وعُد أدراجك إلى قصورك، ولا تحاول أن تصعد إلى الطرق السماوية"**.

وهنا أصدر الإسكندر أوامره إلى الجيش لمزيد من المسير، حتى وصلوا إلى مكان عسكروا فيه، استعداداً لتناول العشاء. وهناك وجدوا بيتًا كبيرًا جداً وأكوابا كثيرة من أحجار كريمة.

ويحكى الإسكندر لأمه، أيضًا، عن غرائب أخرى، غير محددة الزمان والمكان، فأخبرها قائلاً: "وبينما كنا جميعًا، نحن والجنود، ممددين للاستحمام، واستعداداً للاستمتاع بالعشاء، حتى سمعنا، فجأة، ضوضاء مزعجة من الفلوت، والصاجات

الكثيرة، والمزامير، والطبول، والقيثارة! وكان الجبل - أمامنا - يلفه الدخان، وكأن صاعقة ما وقعت على رءوسنا! لقد خفنا، وهربنا من هناك، ووصلنا إلى حدود مملكة قورش (Kyros)، واستولينا على مدن صحراوية كثيرة، حيث عثرنا على منزل كبير كان الملك يتقبل فيه النبوءات.

ثم يواصل الإسكندر سرد بعض الغرائب الأخرى، فحدَّث أمه عن طائر - كما قالوا له هناك - بصوت آدمى ويعطى وحيًا أو نبوءة، وكان يفعل ذلك للملوك، وهو طائر مقدس. وكذلك وصف لها عن صومعة ضخمة، حافظة "كراتير" (Krater) كانت تسع ستين إناء "أمفورياس (Amphoreus).

لقد كانت صنعة هذا الكراتير (الصومعة) تستدعى الإعجاب بها: حيث يُوجد، على حافتها العليا (الشفة) تماثيل محفورة عليها، كما تم رسم معركة بحرية، فى الجزء الأعلى منه، بينما فى وسطه رسم منظر تقديم الطقوس. وهنا قال الإسكندر، صراحة: "لقد قالوا لى إن هذا الكراتير (الصومعة) كان مصنوعًا فى منف (Memphis) بمصر، وأنهم أحضروه معهم، أولئك الفرس الذين كانوا يحتلون مصر. وأنهى الإسكندر خطابه إلى أمه أوليمبياس، بقوله: **"ماذا أقول لك، حول كل الأشياء الأخرى المبهرة والعجيبة؟ إنها كثيرة جدًا، وبسبب حجمها الكبير وعددها لا أستطيع أن أصف جمالها الصارخ فى يوم واحد".**

ويستكمل الإسكندر حملته، ويرى ويسمع خوف الناس من بطشه، وسيفه، وكيف واجه اثنين وعشرين ملكًا بجيشه وحده، وراح يقتفى أثرهم عند فرارهم، فتحصنوا خلف جبلين كبيرين، حيث لا مدخل ولا مخرج إلا فى وسط تلك الجبال. وكان الجبلان أكثر ارتفاعًا من مستوى السحب نفسها. **وعندئذ يصلى الإسكندر، فى الحال للآلهة، راجيًا؛ من كل قلبه، عنايتها ورعايتها له، ويقرر هو بنفسه، بأن العناية الإلهية استمعت إلى مناجاته. وبعدها أمر الجبلين فتحركا والتصقا ببعضهما، وأغلقا الممر بينهما،**

واستطاع الإسكندر أن يبنى فى تلك البقعة أعمدة وبوابات من النحاس والقصدير (برونز) بعرض اثنين وعشرين ذراعًا، وارتفاع ستين ذراعًا، وجعل خلالها، من الداخل والمخارج، الجبس، حتى لا يستطيعون أن يفتحوها أو يخرقوها، حتى ولو بإضرام النيران، أو بالحديد، أو بأى طريقة أخرى، ذلك لأن الجبس، يطفئ النيران، ويكسر الحديد! وخارج هذه البوابات المخيفة، بنيت - كما قال الإسكندر - بناء آخر بأحجار قوية، كانت كل قطعة منها بعرض أحد عشر ذراعًا، وبارتفاع عشرين، وطول ستين ذراعًا، **ثم صببت على الأحجار معدن القصدير، الذى قمت بخلطه بالرصاص (moLy-bi)، وذلك حتى لا يتمكن أحد، أبدًا**، من أن يفتح تلك البوابات، وسميتها أبواب كاسبيا (Kaspia)، ودعيت، إلى هناك، اثنين وعشرين ملكًا، وكانت أسماء هذه الأمم، هى مأجوج[١١] (Magog)، وجوث (Goth)، أصحاب ورءوس الكلاب (Kynekephali)، ونونى (Nouni)، وأصحاب القرون القاتلة (Phonokerati)، سيرياسورى (Syriasori)، وايونيون (Iones)،.. وآخرون.

وهكذا "فإننى (يستطرد الإسكندر سرده لتطور الأحداث العجيبة التى رآها وعايشها هو وجيشه فى طريق العودة إلى بابل) **نظفتُ الأجزاء الشمالية من أولئك الناس، عديمى الأدب، وبنيت حائطين اثنين عظيمين: واحد فى الشرق، عرضه مائة وعشرين ذراعًا، وآخر فى الغرب، عرضه ثمانون ذراعًا، بينما طوله أربع عشرة ذراعًا.** ثم عبرت الأراضى الواقعة فى جنوب شرق آسيا الصغرى[١٢] ومن هناك، بدأتُ هجومى عليهم، مثل الأسد على فريسته، وقتلتهم جميعًا، بسيفى، وحتى ملكهم نفسه، المدعو كانو (Kano) نهبت منازله، ودخلت إلى قصوره، حيث وجدت ابن كانداكى، ملكة الهنود[١٣] فى حجرة، هو وزوجته، فحررتهما من الأسر.

ثم واصل الإسكندر كلامه مع كانداوليس ابن كانداكى ليحكى له كيف تم أسره هناك، عندما كان خارجًا فى رحلة صيد مع زوجته، وكانت بصحبته، ليقوم على خدمته، خمسمائة طفل، وعدد من الفهود، والصقور، والكلاب، وفجأة تعرض الجميع للهجوم

عليهم وقتلوا كل من كانوا معه، ثم أسروا الأمير وزوجته، وقدموهما لملكهم، **"الذى احتفظ بنا ليقدمنا قربانًا للإله"**. كما قال كانداوليس للإسكندر، بعد أن شكره على حُسن صنيعه الذى لولاه ما كانوا قد عرفوا مصيرهم.

وعندهم وصل الإسكندر إلى بابل (Babylon) كتب خطابات أخرى إلى أمه، قائلاً فى بعضها ما يلى: **"أمى، يقولون كيف أن وحى الآلهة يتنبأ لى أنا بمصير صعب جدًا، إذ إن امرأة ولدت طفلاً، جزءه الأعلى على هيئة إنسان، بينما نصفه السفلى له رءوس وحوش**، ويشبه - ما نعرفه باسم - سكيللا[١٤]. (Skylla)، برءوس أسود، وكلاب مفترسة، **وكان النصف الآدمى، للطفل، ميتًا لا حياة فيه، بينما بقية الأعضاء فى النصف السفلى حية ومتحركة. لقد أحضرته أمه إلىّ، عقب ولادته، وطلبت منى رؤيته لغرابته الشديدة"**.

وكان الوقت فى منتصف النهار، وكان الإسكندر يستريح فى حجرته، وعندما استيقظ من نومه عرف بالموضوع، وطلب، أمرًا رفاقه، أن يحضروا المرأة بالطفل، وجاء فورًا ودخلت فى حضرته، وأمر بإخراج كل الناس من الحجرة، ليرى ذاك الوحش الآدمى، وعندها ظل مبهورًا، وطلب إحضار قائمة الطوالع، والسحرة، والفلاسفة.

وما إن وصل المفسرون إلى حجرة الإسكندر، أمرهم أن يفسروا ماذا يعنى ميلاد هذا الطفل الغريب، فى بابل، مُحذرًا إياهم بالقتل، إذا لم يقولوا له الحقيقة. وكان من أكثر العرافين علمًا ومقدرة وخبرة هم خمسة من الكلدانيين، ولكن كان يغيب عنهم، آنذاك، أشهرهم. فشرح له الحضور منهم أنه سوف يستولى على، ويتسيد، كل العالم.

ولكن، بعد أن أعطوا هذا التفسير، وصل على التو خامسهم وأقواهم الذى ما إن رأى الطفل حتى صرخ صرخة مدوية، وبكى ومزق ملابسه من فرط اضطرابه مما رأى! وهنا شعر الإسكندر بقلق شديد، وأمر قارئ الطوالع أن يشرح له ماذا يعنى هذا المولود الغريب، فقال له بإيجاز. **"أيها الملك، إنك لن تستطيع أن تتحكم فى نفسك، من**

الآن، وسط الأحياء!". فطلب منه الإسكندر أن يزيدها إيضاحاً، فقال له، أيضاً: "إنك يا سيدى الملك، تتحكم فى كل العالم وأن الشكل الآدمى فى الطفل هو أنت نفسك أما أشكال الوحوش، فهى لآدميين (لأناس) محيطين بك. فإذا كان الجزء الآدمى من الطفل حيًا ويتحرك، مثل الوحوش، كان ذلك فألاً حسنًا، ولكنه، ما دام الجزء الأعلى توقف عن الحياة، فإن ذلك يعنى أنك ستموت أنت كذلك، أيها الملك. ولسوف يكون من حولك مثل الوحوش، فى الجزء الأسفل من الطفل، لأنهم يحملون فى داخلهم مشاعر عدائية ضدك". ثم خرج العرّاف الكلدانى، بعد أن أمر بأن يحرقوا الطفل، ولذا فقد بدأ الإسكندر، منذ تلك اللحظة التى كان يتابع تفسيرها بحرص شديد، يرتب يوميًا أشياءه وأموره التى تخصه شخصيًا.

٦ - ملابسات قتل الإسكندر بالسم[١٥]

عندما وقعت خلافات بين أوليمبياس، والدة الإسكندر، والقائد العام للجيش، ونائب الإسكندر فى مقدونيا، أنتيباتروس، كانت الأم تكتب خطابات كثيرة إلى ابنها تشتكيه بسبب تعنته معها وتضييق حركتها، حتى عندما أرادت أن تذهب إلى أهلها فى إبيروس، فإنه قد منعها. ولذا فإن الملك الإسكندر، كان يتسلم خطابات أمه، ويتألم لها، وقرر إرسال القائد، كراتيروس (Krateros) إلى عاصمة ملكه فى مقدونيا، ليحكم إلى جانب أنتيباتروس، وبالتالى يُحد من سلطاته! ولما فطن أنتيباتروس لخطة الإسكندر بوصول كراتيروس. كما أنه عندما علمه بأن الإسكندر يقود بعض القوات المقدونية فى اتجاه مقدونيا نفسها وتساليا[١٦]، فارتعد خوفًا على نفسه، وفكر فى قتل الإسكندر بسبب ما كانت تكتبه الأم، الملكة، لابنها أو أنه توقع أن يحبسه الإسكندر ويعذبه عذابًا شديدًا. هذا فضلاً عن أنتيباتروس قد علم بأن الإسكندر اعتبر ما جرى لأمه خدشًا لكبريائه، وانتقاصًا لسلطته.

ولهذا كله، إذن، وتقديراً للموقف الصعب الذى وضع نفسه فيه، أعدَّ سمًا، (ليس كالعادة فى داخل إناء فخارى، أو برونزى أو زجاجى) بل وضعه فى حافظة صغيرة من الرصاص، محاطة بأخرى، أكبر، من الحديد، وأعطاها لابنه، ليعطيه إلى إيولاس (Iollas) الذى أرسله إلى بابل، وكان هو سائق عربة الإسكندر الحربية، مؤكداً عليه بخطورة السم، وفاعليته السريعة جداً، بهدف استخدامه له هو نفسه، عند الضرورة، إذا ما تعرض لاعتداء أو هجوم مباغت، فى معركة ما، حتى تكون له نهاية طيبة!

ووصل ابن أنتيباتروس إلى إيولاس، إلى بابل، وكان الوالد قد حذره مراراً من السم، ولما حدثت مشادات بين إيولاس والإسكندر، وكان حزينًا أسفًا، غير راضٍ، عن تدهور تلك العلاقة المصيرية مع الملك الإسكندر، لأنه كان، منذ أيام قليلة، قد ضربه على رأسه بعصاه مما أحدث به جرحًا عميقًا، عقب خطأ ما وقع فيه إيولاس. ولذا فقد تآمر ضد الإسكندر مع ابن أنتيباتروس على قتل الملك. واستطاع الاثنان أن يُجنِّدا ثالثًا معهما، وكان رجلاً من الفُرس، وكان هو الآخر، على غير وفاق مع الإسكندر، وقرروا جميعًا أن يدسوا له السم عندما تساعدهم الظروف على ذلك.

وفى يوم من الأيام، كان الإسكندر يستريح فى حجرته، انتظاراً لعشاء ضخم، مع بعض رفاقه، عندها ظهر ذلك الفارسى (الميدى) الذى ادعى رغبته فى الدخول إلى القصور الملكية، وتحت وطأة إلحاح ورجاءات الفارسى، وافق الإسكندر على طلبه، وقبل حضوره، معهم، فى مأدبة العشاء وكان مع الإسكندر، فى تلك الليلة، يجعلون إلى جواره عن يمينه وشماله، عددا لا بأس به من أصدقائه وقادته، مثل برديكاس (Perdikkas)، وبطلميوس (Ptolemaios)، وأنتيجونوس (Antigonos)، وفيليب (Philippos)، وسيليوكوس (SeLeukos)، وليسيماخوس (Lyşimakhos)، وإيومينيس (Eumenes)، فضلاً عن كاساندروس (Kassandros) الذين لم يعرفوا شيئًا قط عن محاولة قتل الإسكندر التى كانت على وشك الوقوع! بينما كان كل الآخرين، الجالسين بعيداً،

يعرفون ذلك، وأعطوا ثقتهم للفاعل الأساسي إيولاس، بعد أن أقسموا جميعًا على ذلك.

لقد كان كل أولئك المتآمرين يودُّون موته، وذلك طمعًا في أن يحصدوا ثروة الإسكندر، وأن ينالهم حظ من مملكته. وعندما حضر الإسكندر إلى مكان المأدبة جلس وتحدد على الأسرة المعدة لذلك، مع رفاقه وقادته، إيولاس في تقديم الشراب له، في كأس للخمر كالعادة. وبعد مرور وقت، ليس بالقليل، كانت المناقشات بين الرفاق قد تصاعدت حدتها، وعلت أصواتها، بينما كان الإسكندر قد أفرغ كأسه، وأعطاه إيولاس كأسًا أخرى، والتي كان فيها السم. فأخذ الإسكندر الكأس الثانية، لحظِّه السيئ، وشربها، وفجأة كان يعوي ويصرخ من الألم، وكأنه قد أُصيب بسهم! وبعد وقت قليل، حينما أصبح قادرًا على تحمل الآلام، انسحب من المكان، آمرًا الآخرين أن يظلوا في أماكنهم، وأن يستكملوا العشاء.

ولما أحس ضيوف المأدبة بالقلق، أنهوا العشاء سريعًا، وظلوا واقفين منتظرين تطور صحة ملكهم الإسكندر. وفي تلك الأثناء، وبينما كان لا يزال مريضًا، نادى الإسكندر على زوجته روكسانا، وقال لها. "روكساني، اجلسي إلى جانبي، بعض الوقت"، ثم اعتمد عليها وساندته في السير حتى القصور الملكية، وهناك استلقى على ظهره، ومدد رجليه.

وفي صباح اليوم التالي، أمر أن يأتيه قائداه بطلميوس وبرديكاس، وألا يدخل إليه أحد غيرهما، حتى إشعار آخر. وفجأة حدث هرج ومرج، انتشر في المكان كله، عندما أعلن الجنود المقدونيون أنهم سيثأرون لموت ملكهم، وهددوا بقتل حرس القصور، إذا لم يدخلوا إلى حيث الإسكندر، وإذا لم يروه! وعندما سمع الإسكندر، وهو في النزع الأخير الضوضاء الخارجية، أخبره برديكاس بما يطلبون، وهم المقدونيون. عندئذ أمر الإسكندر بأن يرفعوا سريره ويضعوه فوق منصة عالية، حتى يتمكن كل الجيش من رؤيته، ولكن سُمِح للمقدونيين، فقط، أن يروه مباشرة عن طريق الدخول من باب،

والخروج من باب آخر[١٧]. وقد نفذ برديكاس كل ما أمره به الإسكندر، وعندئذ دخل عليه، فقط، كل المقدونيين، والذين لم يكن من بينهم واحد لم يبكه الإسكندر الملك، الذى كان وقتها يموت ببطء، وهو ممدد على سريره. وكان من أولئك، رجل سيئ المظهر، والذى لم يكن جنديًا، كان قد خرج عن الطابور، واقترب كثيرًا من سرير الإسكندر، وقال له:

"أيها الملك الإسكندر، أنت، وأبوك فيليب، اللذان حكمتما حكمًا طيبًا، وأنت الذى أحضرتنا إلى هنا، ولذا فإننا يجب أن نموت معك أنت، لأنك جعلت مقدونيا حرة[١٨]!".

هنا دمعت عينا الإسكندر، ومد يده اليمنى مشيرًا لرغبته فى أن يصلى ويتضرع إلى الآلهة. ومع تداعيات الأحداث، بإيقاع سريع، أمر الإسكندر بأن يُحضروا كاتب العقود والمواثيق، وقال له. "إذا ولّدت زوجتى روكسانى ولدًا ذكرًا، فليصبح ملك مقدونيا، أما إذا وضعت أنثى، فليختاروا مَنْ يشاءون".

ومن مظاهر تجاوب الدنيا مع الحدث الجلل، مع ما قاله، الإسكندر عندئذ من كلمات أخرى كثيرة، فإننا نرصد، مثلاً انتشار الضباب فى الهواء، وظهور نجم كبير نزل من السماء، متوجهًا صوب البحر، هذا فضلاً عن رؤية نسر مصاحب للنجم الذى هوى فى البحر. كما سمع الناس عن تحرك تمثال زيوس الموجود فى بابل. والغريب أن النجم عاد ثانية، إلى السماء وتبعه النسر كذلك! وما إن اختفى النجم فى السماء، حتى راح الإسكندر، ونام نومته الأبدية الخالدة!

ولقد حاول الفرس أن يكسبوا، بصداقتهم، المقدونيين أن يوافقوا على دفن الإسكندر فى بلدهم، حتى يستطيعوا تكريم المتوفى بما يليق، وأنهم سيعلنونه "الإله ميثراس" ولكن المقدونيين كانوا يرون بضرورة نقل جثمانه إلى مقدونيا. وعندئذ تدخل الجنرال بطلميوس وقال بالحرف:

"إن هناك وحياً ونبوءة، هناك فى بابل، للإله زيوس، ومنه سنتسلم نبوءة تقرر أين سندفن جثمان الإسكندر. وكان الوحى قد سُئل وأجاب فى معبد زيوس، بتلك الكلمات التالية:

(١) "إننى سأقول لكم ما هو فى الصالح العام، فى ثلاثة سطور:

(٢) توجد مدينة، فى مصر، تسمَّى منف.

(٣) هناك يجب أن يُدفن، ويعتلى عرشه".

وعندما تم إعطاء الوحى السابق، لم يتكلم أحد قط، **ووافق الجميع على أن يحمل بطليموس الجثمان المضمَّخ بالعطور، وبكل أنواع الطيب، إلى منف (Memphis)، وموضوعًا داخل تابوت من الرصاص.** وكان بطلميوس قد وضع خيمة الإسكندر فوق عربته الحربية الملكية. وتحرك الركب وموكب الجثمان الملكى من بابل إلى مصر. وعندما علم سكان منف بقرب الموكب من مدينتهم، خرجوا لاستقباله، حتى داخل منف. ومن بين الصمت المطبق على الجميع، أعلن كبير كهنة منف، قائلاً ما يلى: **"لا تدفنوه هنا، ولكن فى المدينة التى أسسها هو بنفسه، فى ضاحية رافودة[١٩]، وذلك لأن المدينة التى ستُبتلى بذلك، ستكون دائمًا عرضة لاضطرابات، وتهزها المعارك والحروب".**

وبعد ذلك مباشرة، قاد بطلميوس الموكب إلى الإسكندرية، وأنشأ قبراً فى المعبد الرئيسى المقدس الذى يُسمَّى اليوم سُوما (Soma) الإسكندر. وهناك تم قبر الجثمان، أى الرفات[٢٠]، الخاص بالملك الإسكندر.

الهوامش

(١) هذه بعض أزمات الحرب والقتال لدى الإله بوسيدون، إله البحر، عند يونانيى العصور القديمة، فى أساطيرهم.

(٢) كان المؤرخ/ الكاهن/ اليهودى الأخطر، وهو يوسيفوس (Josephus) (النصف الثانى من القرن الأول الميلادى) قد استخدم الحكم بعتباره تكنيكًا للسرد؛ من الملك الفارسى لحراسه، وانتهى إلى أن الحقيقة هى الأقوى.

(٣) هنا يلقى علينا الكاهن بخبرته فى الدنيا، على لسان الإسكندر، وهى رؤية متزنة إيمانية محمودة، وهو حريص – دائمًا – على ذلك.

(٤) هى إحدى مدن السودان الحالية، وكانت إقليمًا شماليًا، بين مصر والسودان، وتعتبر امتدادًا للحضارة الفرعونية، راجع محمد إبراهيم بكر، حضارة السودان القديمة، القاهرة.

(٥) المعلومة هنا تاريخية مؤكدة من المصادر الكلاسيكية، لأنه كان عامل الإسكندر على مصر فيما بين ٣٣٢ – ٣٢٣ ق.م، راجع السعدنى، تاريخ مصر فى عصرى البطالمة والرومان، القاهرة ٢٠٠٥.

(٦) هذا خطأ تاريخى، غير مقصود، من الكاتب، لأن بطليموس لم يطلق عليه (Soteras)، إلا بعد وفاة الإسكندر ٣٢٣ ق.م، وكانت رودوس، فى شرق البحر الإيجى هى التى أطلقت عليه هذا اللقب لمساعدته لها ضد القائد أنتيجونوس وابنه ديميتريوس.

(٧) حقيقة جيولوجية، وأخرى طبوغرافية دقيقية، لا أدرى من أين استقاها الكاتب، وليس أمامه سوى كتب المصادر الجغرافية.

(٨) هنا خطأ تاريخى، ربما كان مقصودًا نوعًا من الدعاية لرمز وثنى للإسكندرية، القديمة، أمام زيوع المسيحية البطىء، الهادئ، فى مصر، مما يعكس مدى تمسك رحالات الوثنية، وخاصة الكهنة، بدينهم القديم، ذلك لأن سيرابيس لم يكن قد ظهر بعد عهد الإسكندر، بل بعد تولى بطلميوس الأول بوصفه ملكا عام ٣٠٥ ق.م.

(٩) ويمكن صياغة هذه الحكمة البالغة بألفاظ أخرى، مثل: "مَنْ يتعالى على بقية العباد، أذله رب العباد".

(١٠) هذه فذلكة معلوماتية من الكاتب/ المجهول/ الكاهن، حيث يريد أن يعكس للقارئ مدى علمه التام بالمادة الأسطورية فى تاريخ الديانة اليونانية القديمة، راجع "S.V "Amazonai S.O.D., op. cit., p.

(١١) ويقصد بها، فى التاريخ الحديث، كلاً من تركيا وأرمينيا.

(١٢) وهنا تطابق غريب (يعلمه الله وحده) مع الرواية القرآنية، وخبر المولى عز وجل، عن هؤلاء فى سورة "الكهف". راجع محمود السعدنى، الإسكندر الأكبر وذو القرنين، القاهرة ٢٠٠٥ (طبعة غير تجارية).

(١٣) هنا خلط آخر، ومعلومة مناقضة لما سبق أن رواه الكاتب، على أن كانداوليس كان ابنًا للملكة كانداكى، ملكة مروى!

(١٤) هى أسطورة يونانية خالصة، تم تصويرها ورسمها على الفخار اليونانى من العصر الأرخايكى (٧٠٠ - ٥٠٠ ق.م).

(١٥) هنا ينفرد الكاتب بهذه التفاصيل الدقيقة، ولا ندرى مصدره عنها!

(١٦) هى الإقليم الشمالى الشرقى الكبير الذى يضم مقدونيا، مملكة الإسكندر. راجع محمود السعدنى، تاريخ اليونان وحضارتهم، القاهرة.

(١٧) هذه شهادة بأن هناك، فى كل زمان ومكان، أناسا على قدر كبير من الوفاء، ولكنه فى أبسط صوره، فقط عند البسطاء!

(١٨) هنا تتجلى، بوضوح، روح التميز للاستعلاء المقدونى على كل أجناس جيش الإسكندر، وممارستهم حق السيادة للحملة، وهو أمر كان يخالف سياسات الإسكندر العالمية، لو صحت الروايات عن بعض المؤرخين الكلاسيكيين الأقدم، مثل: أريانوس وأبيانوس وبلوتارخوس.

(١٩) هناك شبه إجماع بين المؤرخين الكلاسيكيين على ذلك، أى فى داخل الإسكندرية، راجع محمود السعدنى، تاريخ وقبر وآثار الإسكندر، سلسلة قادة العالم، المكتبة التاريخية، دار الفكر العربى ٢٠٠٧.

(٢٠) وهكذا وجدنا مؤرخًا عاليًا بمكان قبر الإسكندر، فى الإسكندرية، مؤكدًا ذلك بقوله: تسمى الآن سوما، أى حتى زمانه، راجع محمود السعدنى، الإسكندر الأكبر: سيرته وقبره وآثاره، (نسخة غير تجارية) القاهرة ١٩٩١.

المؤلف فى سطور

كاالليسثينيس : Kallisthénes

- الاسم الأصلى هو لأحد فلاسفة وعلماء زمان الإسكندر، وهو المؤرخ الوحيد الذى كان قد رافق الإسكندر الأكبر فى حملته على آسيا، وهو ينحدر إلى مدينة أولينثوس، وتربطه علاقة نسب أو قرابة بالفيلسوف الأشهر، آنذاك، أرسطو. وكان قد أدين فى مؤامرة على حياة الإسكندر الذى أدخله السجن لمدة ٧ شهور، ثم حكم عليه بالإعدام أو مات بسبب مرضه، ولم تبق من أعماله إلا شذرات معدودة.

- بينما مؤلفنا هنا "كاالليسثينيس، المزيف" - كما أطلق عليه النقاد فيما بعد - (تمييزاً له عن سابقه الأصلى)، هو أحد الكهنة اليونان، السكندرى الأصل، والذى كتب مادته الأسطورية، منذ نحو عام ٣٠٠ ميلادية، باللغة اليونانية القديمة، قاصداً بذلك الجمهور اليونانى، والناطقين بتلك اللغة.

- ولما كانت الشذرات الباقية الأصلية للمؤرخ الذى عاصر حملة الإسكندر، تؤرخ بنحو عام ٣٢٥ ق.م، وكان قد مر عليها (وكانت تسمى: أعمال الإسكندر: Alexándrou Práxeis) - نحو ستة قرون، وأضافت الأجيال عليها، من عندها، تفاصيل كثيرة من خيالاتها وطموحاتها وبعض أمجادها، فإن النسخة المزيفة، التى بين أيدينا، والتى سماها صاحبها الماكر المجهول باسم: "حياة الإسكندر: Alexándrou Bios"، هى إضافة أخرى تنقل إلينا بعضاً من روح مطلع القرن الرابع الميلادى، وقبل اعتماد الديانة المسيحية بوصفها ديانة رسمية فى الإمبراطورية الرومانية، عام ٣١٣م، على يد الإمبراطور قسطنطين.

المترجم فى سطور

محمود إبراهيم السعدنى

- حصل على الدكتوراه من جامعة أثينا، باليونان، وباللغة اليونانية الحديثة، عام ١٩٨٢م.
- كان أستاذًا فى جامعة حلوان.
- وكان عضو اللجنة الدائمة للترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات، منذ عام ٢٠٠٧م حتى وفاته (فى لجنتى التاريخ والآثار / التاريخ والآثار اليونانية - الرومانية).
- وكان عضوًا فى مجلس إدارة اتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة، وعاملا فى اتحاد الآثاريين العرب بالقاهرة.

من أهم ترجماته:

(أ) قصة البردى اليونانى فى مصر، تأليف: ريتشارد هاريس، المشروع القومى للترجمة.

(ب) أثينة السوداء / الجزء الثانى (فى مجلدين) تأليف: مارتن برنال المشروع القومى للترجمة، ٢٠٠٦ .

التصحيح اللغـوى : وجيه فاروق
الإشـــراف الفنـــى : حسن كامل